

# رسالة التربية وعلم النفس

سلسلة  
علمية  
محكمة



تصدرها

الجمعية السعودية للعلوم  
التربيوية والنفسية

## قواعد النشر

### أولاً: الخصائص العامة للسلسلة :

- ١- تلتزم السلسلة في جميع ما ينشر فيها بما يتمشى مع النهج الإسلامي القويم .
- ٢- المقتبسات لا تكتب على هامش الصفحات، وإنما يفرد لها صفحة مستقلة في مؤخرة البحث.
- ٣- تهتم السلسلة بالبحوث والدراسات التي تعالج المشكلات التربوية والنفسية.
- ٤- تهتم بالبحوث ذات الطابع التجديدي والتي تساهم في توسيع آفاق المعرفة .
- ٥- تنشر السلسلة عرض الكتب التي تدور حول مجالات التربية وعلم النفس والتي يرى أنها ذات قيمة علمية في هذين المجالين.
- ٦- تصدر السلسلة بشكل غير دوري.
- ٧- تقبل السلسلة الإعلانات حول الكتب والوسائل التعليمية والأجهزة التي تخدم العملية التربوية والنفسية.

### ثانياً: أهداف السلسلة :

تهدف هذه السلسلة إلى تحقيق مAILY:

- ١- يرسل البحث أو الدراسة إلى اثنين من المختصين في مجال البحث أو الدراسة لتحكيمه دون ذكر اسم الباحث.
- ٢- في حالة وجود اختلاف بين نتائج تقرير المحكمين يرسل البحث إلى حكم ثالث.
- ٣- يتأصل الفكر التربوي وال النفسي الإسلامي ونشره عن طريق البحث .
- ٤- تصرف مكافأة رمزية مقدارها ثلاثة ريال سعودي لكل واحد من المحكمين.

### خامسًا: هيئة التحرير :

تتولى هيئة التحرير المهام التالية:

- ١- رسم السياسة العامة للسلسلة والتتأكد من متابعة تنفيذها.

٢- العمل على تطوير السلسلة والارتقاء بمستواها.

- ٣- الإعلام والتعریف بالسلسلة واستقطاب الباحثين للمشاركة ببحوثهم.

- ٤- التنسيق مع الهيئة الاستشارية للاستفادة من خبراتهم فيما يحقق أهداف التربية وعلم النفس .

### ثالثاً: قواعد النشر في السلسلة :

- ٥- استقبال البحث ومراجعتها وتحديد مدى انطباقها مع شروط النشر في السلسلة.
- ٦- إبلاغ أصحاب البحث عن تسلم أحبارهم وإمكان نشرها من عدمه.
- ٧- إرسال البحث إلى المحكمين واستقبالها منهم.
- ٨- التنسيق مع الباحث في حالة حاجة البحث إلى بعض التعديلات.
- ٩- اتخاذ القرار بشأن نشر البحث من عدمه بعد مراجعة آراء المحكمين واستجابة الباحث لها.
- ١٠- استقبال طلبات الاشتراك في السلسلة.
- ١١- التنسيق مع الناشر.
- ١٢- مراجعة النسخة الأولى للتأكد من سلامتها من الأخطاء الفنية.
- ١- تلتزم السلسلة في جميع ما ينشر فيها بما يتمشى مع النهج الإسلامي القويم .
- ٢- المقتبسات لا تكتب على هامش الصفحات، وإنما يفرد لها صفحة مستقلة في مؤخرة البحث.
- ٣- تهتم السلسلة بالبحوث والدراسات التي تعالج المشكلات التربوية والنفسية.
- ٤- تهتم بالبحوث ذات الطابع التجديدي والتي تساهم في توسيع آفاق المعرفة .
- ٥- تنشر السلسلة عرض الكتب التي تدور حول مجالات التربية وعلم النفس والتي يرى أنها ذات قيمة علمية في هذين المجالين.
- ٦- تصدر السلسلة بشكل غير دوري.
- ٧- تقبل السلسلة الإعلانات حول الكتب والوسائل التعليمية والأجهزة التي تخدم العملية التربوية والنفسية.



رسالة التربية وعلم النفس، ع، ٥، ص ١٩٢-١٩٣، الرياض (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)

المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

## رسالة التربية وعلم النفس

سلسلة علمية محكمة

تصدرها

الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية



جمادى الأولى ١٤١٦هـ

العدد الخامس

السعر: عشرة ريالات

## المؤسسة الاستشارية

الأستاذ الدكتور محمد بن علي الحبشي	معالي الأستاذ الدكتور حمود بن عبدالعزيز البرد
الأستاذ الدكتور سعد محمد الحريقي	معالي الأستاذ الدكتور محمد الأحمد الرشيد
الدكتور عبدالله عبدالحميد محمود	معالي الأستاذ الدكتور عبدالله العبيد
الدكتور حسن علي مختار	معالي الأستاذ الدكتور سهيل أحمد قاضي
الدكتور زهير أحمد الكاظمي	الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد الشافعى
الدكتور سليمان بن محمد الوابلي	الأستاذ الدكتور مصطفى عيسى فلاتة
الدكتور علي بن محمد التويجري	الأستاذ الدكتور محمد إسماعيل ظافر
الدكتور عبد الرحمن بن سليمان الطريبي	الأستاذ الدكتور محمد بن حجر الغامدي
الدكتور ناصر بن عبدالعزيز الداود	الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالله المنيع

## أعضاء هيئة التحرير

رئيساً (أستاذ)	الأستاذ الدكتور عبدالله النافع آل شارع
عضوأً (أستاذ)	الأستاذ الدكتور إبراهيم بسيوني عميرة
عضوأً (أستاذ مشارك)	الدكتور راشد بن محمد الكثيري
عضوأً (أستاذ مشارك)	الدكتور محمد بن حسن الصايغ
عضوأً (أستاذ مشارك)	الدكتور عمر بن عبد الرحمن المقدى
عضوأً (أستاذ مشارك)	الدكتور محمد بن حسن المبعوث
عضوأً (أستاذ مشارك)	الدكتور علي بن سعد القرني

© ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية

جميع حقوق الطبع محفوظة . لا يسمح بإعادة طبع أي جزء من المجلة أو نسخه بدون  
الحصول على موافقة كتابية من رئيس التحرير أو رئيس الجمعية .

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

رسالة التربية وعلم النفس : ص. ب: ٢٤٥٨

الرياض ١١٤٥١ - المملكة العربية السعودية

جميع الآراء في هذه السلسلة تعبّر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية

## تقديم

يتضمن هذا العدد خمسة أبحاث ومقالات علمية تركز على جانب مهم في التأصيل الإسلامي للدراسات التربوية والنفسية الذي أصبح يمثل هدفاً لكثير من المتخصصين في التربية وعلم النفس بعدما تبين أن كثيراً من المفاهيم والأفكار المتضمنة في هذه العلوم لا تتفق مع بعض المبادئ والقيم الإسلامية. وأن هناك أفكاراً ومفاهيم بديلة يمكن استخلاصها بالرجوع إلى تراثنا الفكري وثقافتنا الإسلامية.

وقد تناولت الدراسة الأولى الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم حيث أبرزت هذه الدراسة الأبعاد الستة المكونة للشخصية المتمثلة في: **البعد الإيجابي، والبعد الروحي، والبعد العقلي، والبعد الأخلاقي، والبعد الاجتماعي، والبعد النفسي الوجداني، وأخيراً البعد الصحي.**

وتضمنت المقالة الثانية تقديم أسلوب مقترن لتأصيل المقررات الدراسية في علم النفس مبرزاً المهام الأساسية التي ينبغي أن يبني عليها توصيف المقررات مع إعطاء نموذج تطبيقي لمقرر علم النفس التربوي.

وحاول الباحث في الدراسة الثالثة استخلاص تصور للشخصية من خلال استقراءه لفكرة الإمام ابن قيم الجوزية، كما تبدو في مؤلفاته العديدة التي درسها الباحث ليحدد مكونات الشخصية ونموها وأضطراباتها.

وفي الدراسة الرابعة حاول الباحث إيجاد خطة منظمة ومتكاملة للتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية تضمنت مقترنات وتوصيات للتكامل، والتعاون بين المتخصصين في المجالات المختلفة لدراسة التأصيل في جوانبه المتعددة.

و

## تقديم

وفي المقال الخامس والأخير في هذا العدد حاول الباحث تحديد الأسس والمبادئ  
الواجب توافرها لتأصيل المناهج التعليمية . والله نسأل التوفيق والسداد .

## رئيس التحرير

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
ه .....	تقديم
ز .....	المحتويات
١ .....	الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم الدكتور عبد الرحمن عبدالخالق حجر الغامدي
٤٣ .....	تأصيل المقررات الدراسية في علم النفس الدكتور صالح بن إبراهيم الصنيع
٧٧ .....	التصور الإسلامي لشخصية المسلم (جانب من مؤلفات الإمام ابن القيم) الدكتور محمد محروس الشناوي
١٣٣ .....	نحو خطة منظمة ومتكاملة للتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية الدكتور عبدالحليم محمود السيد
١٧١ .....	الأسس والمبادئ الواجب توافرها لتأصيل المناهج التعليمية الدكتور زين محمد شحاته محمد

## الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم

الدكتور عبد الرحمن عبدالخالق حجر الغامدي

قسم ..... ، كلية التربية، جامعة الملك سعود

### ملخص البحث

يهدف البحث إلى إبراز أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم وإظهار بعض التوجيهات الصائبة في تنمية تلك الجوانب المكونة للشخصية. وقد تناولت هذه الدراسة أهم هذه الجوانب وكانت عبارة عن الجانب الإيماني، الجانب الروحي، الجانب العقلي، الجانب الأخلاقي، الجانب الاجتماعي، الجانب النفسي (الوجوداني)، والجانب الصحي (الجسمي). وقد توصلت الدراسة إلى أن نمو أي جانب من هذه الجوانب لا يتم بشكل منفصل عن بقية الجوانب الأخرى، بل هو متداخل معها ومرتبط ارتباطاً وثيقاً، و يؤثر فيها ويتأثر بها، وأن أي جانب من هذه الجوانب مفظور عليه الإنسان ويولد وهو مزود باستعداد أو نزعة تدفعه إلى تحقيق هذا الجانب وهذا الاستعداد ينمو شيئاً فشيئاً على طريق المداية والصلاح أو على طريق الضلال والانحراف وذلك حسب ما يتلقاه الفرد من تربية وتوجيه خارجي.

وقد أثبتت الدراسة أن الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم وتميزها تكسب أفراد الأمة الإسلامية سمة مميزة عن بقية أفراد الأمم الأخرى، لا وهي سمة الإيمان والفضيلة كما أرادها الله عز وجل.

### مقدمة

الحمد لله الذي جعل الشخصية المسلمة متميزة على غيرها، والصلة والسلام على من كان ومازال أفضل مربٍ لإنماء الشخصية الإنسانية على نحو متكامل متوازن، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

من الموضوعات التي اهتم بها الفكر التربوي عبر التاريخ هو موضوع الشخصية وبنائها، وينطوي من يظن أن موضوع الشخصية من الموضوعات الحديثة في علم النفس، كما ينطوي من يظن أن الموضوع يختص علماء النفس وحدهم؛ فهو وثيق الصلة بغيره من

فروع العلم الأخرى، كعلم الاجتماع والتربية وغيرها من العلوم، كما أن الاهتمام بنواحي الشخصية ومشكلاتها يرجع تاريخه إلى زمن بعيد، فسقراط مثلاً (٤٦٩ - ٣٣٩ م.) كان يعتبر الوظيفة الأساسية للإنسان هي : «أن يعرف نفسه»<sup>(١)</sup>، وأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ م.) قدم الكثير من الأفكار، وقال : «إن العقل يولد صفة بيضاء خالية من كل نقش»<sup>(٢)</sup>. وتواترت النظريات والفلسفات والمذاهب، فاعتبر البعض أن الشخصية تتحدد أساساً بالعوامل البيئية والاجتماعية والخبرات المختلفة، واعتبر الآخرون أن نظرية التطور «الداروين»<sup>(٣)</sup> (١٨٠٩ - ١٨٨٣ م.)، «نقطة تحول ملحوظة في تفكير الإنسان وفي نظرته لطبيعته الخاصة»<sup>(٤)</sup>، وراح «فرويد» يضع الجنس قاعدة الحياة الإنسانية، ويرى أنها السمة الأساسية التي تتركز عليها الشخصية.

وقد ذهب العديد من مدارس علم النفس الغربية إلى تفسير طبيعة الإنسان تفسيراً جزئياً، وأخذت كل مدرسة تفسر الطبيعة الإنسانية بالجزء الذي تهتم به<sup>(٥)</sup>. فقد راحت المدرسة السلوكية تفسر الإنسان على أنه مجموعة من العادات، وردود الفعل الشرطية المعكسبة، وراحت المدرسة المكانية تشبه الحياة كلها - بما فيها الحياة الإنسانية - بالجهاز الآلي، كما راحت المدرسة التجريبية تضع النفس البشرية في المعمل مع أن الطريقة التجريبية لا تستطيع أن تتناول من طبيعة الإنسان إلا جانبها الجسدي، والفيزيولوجي والمظاهر السلوكية.

ولم يقف خطأ النظرية الجزئية عند إعطائهما صورة غير كاملة للطبيعة الإنسانية، «بل تضع كذلك فرصة الاستفادة من الحقائق الجزئية في مكانها الصحيح، ويزيد الخطأ حين تنشأ على أساس هذه النظرة الجزئية نظريات في الاقتصاد والمجتمع، والأخلاق والسلوك، والجريمة والعقاب .. وينتهي الأمر - كما قال «الكسيس كاريل» - إلى تدمير الإنسان بسبب جهلنا المطبق بحقيقة الإنسان»<sup>(٦)</sup>.

(١) سيد محمد غنيم. سيكولوجية الشخصية. مصر، دار النهضة العربية، ١٩٧٨ م، ص ٦.

(٢) سيد محمد غنيم. المصدر السابق. ص ٧.

(٣) سيد محمد غنيم. المصدر السابق. ص ١٢.

(٤) محمد قطب. دراسات في النفس الإنسانية. بيروت، دار الشروق، ط٥، ١٤٠١ هـ، ص ٢٠-٢٢.

(٥) محمد قطب. المصدر السابق. ص ٢٣.

وإذا كان مبحث الطبيعة الإنسانية ومكوناتها مبحثاً مهّماً تناولته معظم المذاهب والفلسفات، فإن تعاليم الإسلام الخالدة قد بينت بوضوح بعضًا من خصائص الإنسان ومميزاته ومكونات شخصيته، ودعت إلى النظر والتأمل والبحث في خصائص هذا الإنسان العجيب، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفْلَامٌ يَبْصُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد استطاع الإسلام نفسه أن يحدث تغييرًا شاملًا في شخصية الفرد العربي، فقد حوله من الوثنية والكفر وعبادة الأصنام ووأد البنات والنسب والعصبية القبلية إلى التوحيد والإيمان وعبادة الله والأمانة والتسامح. الأمر الذي جعل التاريخ يسجل لتلك الشخصيات الفذة في القرون الأولى في عصر الإسلام درجة عظيمة من المكانة والرفعة، وهذا لم يكن لولا نجاح التربية الإسلامية في تنمية جوانب تلك الشخصيات الرائعة.

فكان ظهور الإسلام نقطة تحول حقيقي، وليس كما تدعى نظرية «دارون»، وأصبحت السمة العامة التي ترتكز عليها شخصية الفرد المسلم الإيمان لا الجنس كما تدعى نظرية «فرويد».

وما هذا البحث المتواضع إلا مناقشة جزء يسير من تلك التعاليم الإسلامية التي قد تسهم إن شاء الله في إبراز الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم.

### مشكلة البحث

من الأمور التي تقوم عليها عملية التربية والتعليم هو تحديد الجوانب المكونة لشخصية الإنسان ووضوحاها، ولما كان الإنسان الذي نبحث عن شخصيته هو الإنسان المسلم، فإن الحديث عن الجوانب المكونة لشخصية الإنسان ستكون من وجهة نظره إسلامية، وفي ضوء ذلك تأتي هذه الدراسة لتوضيح تلك الجوانب.

وتتلخص مشكلة الدراسة في السعي الجاد لتحديد أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم.

### أهداف البحث

- ١ - إبراز أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم.
- ٢ - إبراز بعض التوجيهات الصائبة في تنمية تلك الجوانب المكونة للشخصية.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

### أهمية البحث

- ١ - إن معرفة الجوانب المكونة لشخصية الإنسان أمر مهم وضروري لأن الإنسان ركن أساسي في عملية التربية والتعليم، وعلى ضوئها تتحدد مفاهيم التربية وأهدافها ووسائلها وطرقها.
- ٢ - إن تحديد الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم تفتح أبواب البحث والدراسة أمام الدرس بغية دراسة كل جانب على حدة، وتحليله وتقديره وتدعيمه بالأدلة العقلية والنقلية الإسلامية، وتساعد الدرس في التنظير والمقارنة بين تلك الجوانب وبين الجوانب المكونة للشخصية لدى الفلسفات الأخرى، لأن هذا الموضوع أصبح يؤلف فيه العديد من المؤلفات ولكنها من منظور غير إسلامي.
- ٣ - إن معرفة الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم وتنميتها تعطي صورة مشرقة للإسلام، فكم من شخصيات محسوبة على الإسلام أساءت إلى الإسلام وذلك لما يصدر منها من سلوك يتنافي مع تربتنا الإسلامية فيحكم الباحث بالإسلام بأن هذا هو الإسلام.
- ٤ - إن معرفة الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم وتنميتها تكسب أفراد الأمة الإسلامية سمة مميزة عن بقية سمات أفراد الأمم الأخرى، ألا وهي سمة الإيمان والفضيلة لتبقى أمة متميزة كما أراد لها الله تعالى في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ﴾<sup>(٧)</sup>.

### حدود البحث

اقتصرت هذه الدراسة على تحديد أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم، وقد أورد الباحث الشواهد الإسلامية في القرآن الكريم والسنّة المطهرة في كل جانب تناولته هذه الدراسة، كما أورد في نهاية كل جانب بعض التوجيهات الصائبة في تنميته، حسبما يسمح به حجم البحث دون التوسيع في شرح تلك المجالات لأن ذلك يحتاج إلى دراسات لاحقة تستغرق فترة طويلة، ولا يتسع لها مثل هذا البحث الموجز.

---

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

### مصادر البحث

عمد الباحث في جمع المعلومات المتعلقة ببحثه إلى المصادر العامة الأساسية وهي القرآن الكريم والسنّة المطهرة، ثم إلى المصادر التخصصية وهي كتابات في العلوم الإنسانية وخاصة كتب التربية الإسلامية.

### منهج البحث

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي القائم على جمع المعلومات ثم تصنيفها وتنظيمها وتحليلها، وقد رأى الباحث أن هذا المنهج لا يكفي وحده في هذا البحث، وقد أكد أحد الباحثين المختصين في مجال مناهج البحث: «أن جمع الحقائق وحده لا يكفي، فبدون الاستنباط تكون معظم معالجتنا للحقائق غير متمرة»<sup>(٨)</sup>، ولهذا فقد استخدم الباحث المنهج الاستنبطاني واستنبط آراءً وأحكاماً تربوية من النصوص الشرعية حسب القواعد والضوابط ودلالات النصوص المتعارف عليها لدى علماء المسلمين، والمنهج الاستنبطاني لا يقل استخداماً عن المنهج السابق في الدراسات الإنسانية، يقول أحد الباحثين: «لقد تغلغل المنهج الاستنبطاني في كل دوائر العلم والمعرفة الإنسانية»<sup>(٩)</sup>.

وقد تناولت الدراسة الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم من خلال مناقشة أبعادها السبعة الآتية:

- أولاً: الجانب الإيماني
- ثانياً: الجانب الروحي
- ثالثاً: الجانب العقلي
- رابعاً: الجانب الأخلاقي
- خامساً: الجانب الاجتماعي
- سادساً: الجانب النفسي (الوجداني)
- سابعاً: الجانب الصحي (الجسمي)

(٨) ديوس بولد ب فان دالين. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. (ترجمة محمد نوبل)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م، ص ٣١.

(٩) محمد الدسوقي. منهج البحث في العلوم الإسلامية. دار الأوزاعي، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٤.

## مصطلحات البحث

### الشخصية

المعنى اللغوي للشخصية مشتق من فعل شخص، فنقول شخص الشيء: أي عينه، وميزه عما سواه<sup>(١٠)</sup>.

أما المعنى الاصطلاحي، فهو من الألفاظ الدارجة على لسان معظم الناس وفي الكتب والمجلات والصحف اليومية، فيقال مثلاً شخصية قوية، أو شخصية ضعيفة... الخ، ولكن تحديد لفظ شخصية تحديداً علمياً دقيقاً ليس بالأمر اليسير، فله تعاريفات متعددة و مختلفة، فقد أورد أحد الباحثين «ما يقرب من خمسين تعريفاً أو معنى مختلفاً للشخصية، وبعض هذه المعاني لاهوقي، وبعضها فلسفياً، وبعضها اجتماعي، وبعضها سيكولوجي»<sup>(١١)</sup>.

وفيما يلي يشير الباحث إلى بعض هذه التعريفات:

١ - «يقصد بالشخصية ذلك النظام الكامل من النزعات الثابتة نسبياً: الجسمية والنفسية التي تميز فرداً معيناً، والتي تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع بيئته المادية والاجتماعية»<sup>(١٢)</sup>.

٢ - «إنها التنظيم الفريد للأفكار والمعتقدات والاتجاهات والقيم والعادات التينظمها الفرد في شكل أدوار ومراكز يستغلها في تفاعله مع الغير ومع نفسه»<sup>(١٣)</sup>.

٣ - «إنها مجموعة الصفات الجسمية والعقلية والخلقية التي يتتصف بها الإنسان»<sup>(١٤)</sup>. والباحث يرجع التعريف الأخير ويعتبره تعريفاً مناسباً للشخصية المسلمة، لأن اتجاه هذه الدراسة يتفق مع مضمون هذا التعريف إلا أن هناك بعض الصفات يجب أن تضاف

(١٠) جلال الدين الزمخشري. أساس البلاغة. بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ، ص ٣٢٣.

(١١) سيد محمد غيم. سيكولوجية الشخصية. مصدر سابق، ص ٤٢.

(١٢) أحمد زكي صالح. علم النفس التربوي. ط ٩، مصر، ١٩٦٦م، ص ٤٧.

(١٣) سعد جلال. المرجع في علم النفس. الاسكندرية، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، ص ٥١٣-٥١٤.

(١٤) سعد جلال. المرجع في علم النفس. الاسكندرية، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، ص ٥١٣-٥١٤.

للتعريف ليصبح التعريف على النحو الآتي: «إنها مجموعة الصفات الإيمانية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والعقلية والوجدانية والجسمية التي يتتصف بها الإنسان».

### الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم

جاء الإسلام مبيناً أن الإنسان كل متكامل لا انفصال بين مكوناته، فهو من المنظور الإسلامي ليس جسماً فقط ولا عقلاً فقط ولا روحًا فقط، وهذا ما توصل إليه بعض علماء التربية المعاصرين في عدم اعترافهم بالفصل التقليدي بين الجسم والعقل والروح، فهم ينظرون إلى «طبيعة الإنسان على أنها وحدة متكاملة لا فصل بين جوانبها الجسمية والعقلية والروحية»<sup>(١٥)</sup>.

وقد وازن الإسلام بين حاجات الإنسان المادية والروحية والاجتماعية وسعت التربية الإسلامية إلى تكامل الشخصية المسلمة في كافة أبعادها وجوانبها الروحية منها والاجتماعية والبدنية، كما سَعَت إلى ترابط نمو هذه الجوانب وتناسقها بحيث لا يطغى منها جانب على آخر. وهذا ما نهجه مربi هذه الأمة محمد، ﷺ، في تربية أصحابه، كما رواه أنس بن مالك، رضي الله عنه، حيث قال: « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي ، فلما أخبروا كأنهم تقالوا : وأين نحن من النبي وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم أما أنا فإني أصلى الليل أبداً ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعزّل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ، ﷺ ، فقال : أنتما الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم الله ، وأنتقاكم له ، لكنني أصوم وأفطر ، وأصلِي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١٦)</sup>. والنظرة إلى الشخصية الإنسانية بهذا الشكل المتراصط الأجزاء لها آثارها الإيجابية على العملية التربوية في الإسلام، لأنها تعطي كل جانب ما يحتاجه من التربية ، وعندما يعبر الإسلام عن بعض هذه الجوانب يوحى إلى السامع بأن هذا هو الأهم حتى إذا ما انتقل الحديث إلى الجانب الآخر، شعر

(١٥) عمر الشيباني. تطوير النظريات والأفكار التربوية. ط٢، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٧هـ، ص٣٤٠.

(١٦) البخاري. صحيح البخاري. تركيا، استنبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م، كتاب النكاح، ج٦، ص١١٦.

السامع بأن هذا الجانب هو الأهم من سابقه، وكما قال محمد قطب: «نعم توجد لحظات لأنها لحظة جسد خالصة أو لحظة عقل خالصة أو لحظة روح»<sup>(١٧)</sup>.

وفي إطار هذه النظرة الشاملة للشخصية الإنسانية، وفي ضوء الأفكار الإسلامية تناول الباحث الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم من إيمان وروح وعقل وأخلاق واجتماع ووجودان وجسم كلٍ على حدة تيسيراً لدراسة كل جانب، وحتى يتضح مفهوم كل جانب من جوانب مكونات الشخصية وأهميته وتحقيق نموه، وهي كالتالي:

### أولاً: الجانب الإيماني

#### ١ - مفهوم الجانب الإيماني

معنى الإيمان في اللغة هو التصديق، يقال: آمن بالشيء: أي صدق به، وضده التكذيب، وأمن به صدقه. والإيمان: الثقة وقبول الشريعة<sup>(١٨)</sup>.

أما الإيمان في الاصطلاح فله عدة معانٍ، كما في قوله تعالى: «ليس البر أن تولوا وجهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين»<sup>(١٩)</sup>، وقد ذكر جمهور المفسرين أن أبا ذرٍ عندما سأله رسول الله، ﷺ، «ما الإيمان؟ تلا عليه: «ليس البر أن تولوا وجهكم . . . إلى آخر الآية»<sup>(٢٠)</sup>، وقد أوضح رسول الله، ﷺ، معنى الإيمان في حديثه الذي قال فيه: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث»<sup>(٢١)</sup>. ومفهوم الإيمان عند السلف: «هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان وعمل بالأركان»<sup>(٢٢)</sup>.

(١٧) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية. ط٤، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٠هـ، ج١، ص٢١.

(١٨) انظر (أ) محمد الرازبي. مختار الصحاح. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٩هـ، ص٣٨. (ب) الطاهر الزاوي. مختار القاموس. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٣هـ، ص٣٠.

(١٩) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢٠) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٢٠٧.

(٢١) البخاري. صحيح البخاري. مصدر سابق، كتاب الإيمان، ج١، ص١٨.

(٢٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري. بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت. ، ج١، ص٤٦.

وقد أودع الله في الطبيعة الإنسانية نزعة التدين، فالإنسان مفطور على التساؤلات عن الخالق والموت والبعث، وعن العالم وعن سر وجوده وعن الغاية من حياة الإنسان، وعن الغاية التي ستنتهي إليها حياته، وقد ورد في عدد من الأبحاث ما يدل على أن النفس الإنسانية مفطورة على التدين والخضوع إلى الذات الإلهية، والتسليم لها بالعلم والقدرة والكمال، يقول أحد الباحثين: «إن الدين قانون ثابت في أعماق نفوسنا مستمد استمداداً حقيقياً من هو مصدر جميع القوانين وهو الذي يحكم بيننا وسيطر علينا»<sup>(٢٣)</sup>.

وهناك شواهد من النصوص الدينية على وجود دافع التدين عند الإنسان منها قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ»<sup>(٢٤)</sup>. وقال تعالى: «وَإِذَا أَخْذَ رَبَّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلْسُنَتِ بَرِّبِّكُمْ قَالُوا بَلِّ شَهَدْنَا»<sup>(٢٥)</sup>.

وقد سُئل ابن تيمية عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة» فأجاب بقوله: «إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطّرهم عليها يوم قال: «أَلْسُنَتِ بَرِّبِّكُمْ قَالُوا بَلِّ»<sup>(٢٦)</sup>. وهي السالمة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة». وقد يسأل سائل ويقول: إذا كان المولود يولد على فطرة الإسلام فلماذا ينحرف البعض عن الإسلام في كبره؟ والإجابة عن ذلك ما أورده ابن تيمية في موطنه آخر، وقال: «ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، ولكن سالمة القلب وقبوله وإرادته للحق: الذي هو الإسلام»<sup>(٢٧)</sup>.

(٢٣) كانت. كتاب التربية. (ترجمة طنطاوي جوهرى)، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٥هـ، ص ٨٤-٨٥.

(٢٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢٦) ابن تيمية. مجموع فتاوى ابن تيمية. إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين، د. ت. ، كتاب مفصل الاعتقاد، ج ٤، ص ٢٤٥.

(٢٧) ابن تيمية. المصدر السابق. ص ٢٤٧.

فالإيمان بدين معين ليس مغروزاً في الطبيعة الإنسانية، ولو كان كذلك لما أمكن تحويله إلى أديان، أو تبديله بدين آخر، والرسول ﷺ، بين أن أبوه يجعلنه يهودياً أو نصرانياً أو مجوسيّاً.

ومعنى فطرية التدين هو وجود استعداد وقابلية وميّل إلى البحث عن الخالق، وهذا يعبر عن حاجة أساسية من حاجات الإنسان لا تتم سعادته بدون تحقيقها، كما أنه لا ينemo بمفرده دون مساعدة وتوجيه خارجي، فهو بحاجة إلى توجيه وتنمية وحماية دينية.

## ٢ - أهمية الجانب الإيماني في بناء الشخصية

يعد الجانب الإيماني من أهم الجوانب في تكوين شخصية المسلم وتشكيلها، لما للإيمان من أثر واضح على النمو النفسي والأخلاقي والاجتماعي والعقلي والانفعالي والصحي . فالعقيدة الصحيحة أساس الفكر المستقيمة والرأي السديد والخلق الفاضلة، وهي تسيطر على أقوال الإنسان وأفعاله، يقول أحد الباحثين : «وكلما زاد تمكّنا - أي العقيدة - من القلب قوي أثراها، وازداد المرء اندفاعاً بها حتى تصبح مثلاً أعلى لصاحبتها فتحمله على اقتحام الأخطار، وتحطي العقبات، فكل عمل مرتبط بعقيدة، يقوى بقوتها، ويضعف بضعفها . ولذلك نجد من يعملون أعمالهم بناء على عقيدة راسخة، يعلمون جادين حريصين على إتمام ما يعلّموه، والذين يكلفون عملاً على خلاف ما يعتقدون، أو تضطّرّهم الظروف إلى عمله، يعتزمون الوهن والضعف ويتعلّمون الفرص للفرار من القيام به»<sup>(٢٨)</sup>.

وقد بين القرآن الكريم في أكثر من موطن أن عقيدة التوحيد توحد نوازع الإنسان وطاقاته النفسية، ونجد ذلك جلياً في هذا المثال القرآني الرائع ، قال تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً في شركاء متشاركون ورجالاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾<sup>(٢٩)</sup> .

وقد ربط القرآن الكريم الجانب الإيماني بحقيقة جوانب مكونات الشخصية والشهادة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر، ربط الجانب الإيماني بالجانب العقلي، كما

(٢٨) د. محمد أمين المصري . لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها . ط٤ ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ ، ص ٩١ .

(٢٩) سورة الزمر ، الآية: ٢٩ .

في قوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوحهم ويتفكرُون في خلق السموات والأرض﴾<sup>(٣٠)</sup>، ومنها ربطه بالجانب الروحي ، كما في قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتِهم خاشعون﴾<sup>(٣١)</sup>، وكذلك بالجانب الأخلاقي ، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغْصُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فَرِوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكِيُّهُمْ﴾<sup>(٣٢)</sup> ، والجانب الاجتماعي ، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ﴾<sup>(٣٣)</sup> ، والجانب الانفعالي ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>(٣٤)</sup> . والحقيقة أنَّ الجانب الإيماني من أهم صفات الشخصية المؤمنة ، لأنَّه يعد من الكرامة الخاصة التي كرم الله بها الإنسان المؤمن وفضله على غيره ، لأنَّ هناك كرامتين ، كرامة عامة لجميع ذرية بني آدم ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بْنَ آدَمَ وَهَلَّنَا هُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَا هُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَا هُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٣٥)</sup> ، وكرامة خاصة لعباده المؤمنين ، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَنَاكُم﴾<sup>(٣٦)</sup> ، وهذا الجانب - أي الجانب الإيماني - من أشرف وأفضل ما يمتلك به الفرد ، وقد امتدح الحق سبحانه الفتية الذين قال فيهم: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾<sup>(٣٧)</sup> .

### ٣ - تحقيق نمو الجانب الإيماني

يُعد تكوين الجانب الإيماني من أولى الجوانب في تكوين الشخصية المؤمنة ، بل يُعد المركز الأساسي في تكوين جوانب الشخصية كافة ، لأنَّ رسول الله ، ﷺ ، أول ما بدأ في تكوين شخصيات أصحابه بالجانب الإيماني ، فبدأ بغرس العقيدة الإسلامية ثم هاجم ما

(٣٠) سورة آل عمران ، الآية: ١٩١.

(٣١) سورة المؤمنون ، الآيات: ١ ، ٢.

(٣٢) سورة النور ، الآية: ٣٠.

(٣٣) سورة الماعون ، الآيات: ١ ، ٢.

(٣٤) سورة البقرة ، الآية: ١٥٦.

(٣٥) سورة الإسراء ، الآية: ٧١.

(٣٦) سورة الحجرات ، الآية: ١٣.

(٣٧) سورة الكهف ، الآية: ١٣.

يقابلها من العقائد الباطلة لإزالتها من القلوب، لأن العقیدتين المتناقضتين لا تعيشان في قلب واحد، وإذا بقيتا حدث صراع مريض، وهذا ما نلمحه في معظم الآيات التي نزلت في أول نبوة بمكة المكرمة، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْعَكِمْ شَيْئاً وَلَا يُضْرِكُمْ أَفِّ لَكُمْ وَلَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفْلَأُ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣٨)</sup>.

كما أن سيدنا لقمان عليه السلام أول ما بدأ في تكوين شخصية ابنه بدأ بغرس العقيدة وتنمية الاستعدادات الدينية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لَقَمَانَ لَابْنِهِ وَهُوَ يُعْظِهِ يَا بْنِي لَا تَشْرُكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرَكَ لِظُلْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣٩)</sup>، ويتم تحقيق إيمان صحيح راسخ في نفس الفرد، وذلك بتزويده بالمعرفة والأفكار الصحيحة عن العقيدة، لأن المعرفة بالشيء مطلب أساسى لجميع المعتقدات والأعمال والمناشط لراولتها والاعتياض عليها، وقد قال أحد الباحثين: «العلم هو مفتاح الوصول إلى الله عزّ وجلّ»<sup>(٤٠)</sup>، فالفرد بقدر معرفته بالله يزداد خصوصاً لأحكامه، وتطبيقاً لها والتزاماً بها، وصدق الله حين يقول: ﴿إِنَّمَا يُخْشِيَ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٤١)</sup>، والإيمان إذا لم يقم على علم ومعرفة صحيحين فهو إيمان ناقص، بل إن ذلك قد يؤدي بصاحبها إلى التقليد الأعمى دون وعي ، وهذا ما لا يقره الإسلام ، وقد أنكر القرآن الكريم في أكثر من موطن على الذين بنوا إيمانهم على التقليد الأعمى ، ولم يبنوه على العلم الصحيح ، والعقل السليم ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنْهَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقُلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٤٢)</sup> . والعلوم التي تسهم في تنمية العقيدة عند الفرد لا تقتصر على العلوم الشرعية وحدها فحسب ، بل ينبغي أن تشمل العلوم الأخرى كافة ، فعلم الأحياء مثلاً ، أو علم النبات ، أو علم التشريح ، أو علم الفلك ، أو علم التاريخ ، أو غيرها من العلوم تسهم في تنمية عقيدة الفرد إذا صاحبها دراسة خلق الله ، وأثار قدرته.

(٣٨) سورة الأنبياء، الآياتان: ٦٦، ٦٧.

(٣٩) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٤٠) سعيد حوى. تربيتنا الروحية. بيروت ، دار الكتب العربية ، ١٣٩٩هـ ، ص ٨٢.

(٤١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

كما ينبغي استخدام الأدلة في دعم عقيدة الفرد، فقد عرض القرآن الكريم عقائد الإسلام عن طريق الحجة والبرهان، وهذه خير وسيلة في دعم عقيدة الإيمان وغرسها في نفس الفرد، فكل ما يحيط بالإنسان مليء بالشاهد الحية الماثلة أمام العين على دلائل القدرة الإلهية، يقول أحد الباحثين: «إن عجائب الكون لا تسمح بالإيمان فحسب، بل تدعو الناس إلى هذا الإيمان»<sup>(٤٣)</sup>. وهذا ما دعا إليه الحق سبحانه الناس إلى التأمل في آياته في الكون، وفي الطبيعة في أكثر من آية منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يُنْظِرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كِيفَ خَلَقْتَهُنَّا وَإِلَى السَّمَاءِ كِيفَ رَفَعْتَهُنَّا وَإِلَى الْجَبَالِ كِيفَ نَصَبْتَهُنَّا وَإِلَى الْأَرْضِ كِيفَ سَطَحْتَهُنَّا﴾<sup>(٤٤)</sup>.

كما ينبغي تكوين مناخ اعتقادي تربوي ، فالبيئة الاجتماعية لها أثرها الفعال في تنمية إيمان الفرد أو إضعافه، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «ولا يعيش الاعتقاد ولا ينمو إلا إذا هيا له المجتمع أسباب الحياة والنمو، وما أكثر الاعتقادات التي ذابت أوراقها لغير أعراض المجتمع عنها وعدم إحيائه لها»<sup>(٤٥)</sup>. والقرآن الكريم يؤكّد ذلك في أكثر من موطن، فيما جاء رسول لقومه يدعوهم إلى توحيد الله وعدم الإشراك في عبادته إلا عارضوه بأن ما يدعوهم إليه يخالف ما كان عليه الآباء والأجداد، فقوم هود يقولون: ﴿قَالُوا أَجْئَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرْنَا مَا كَانَ يَعْبُدَ آبَاؤُنَا﴾<sup>(٤٦)</sup>.

كما أن للعبادات أثرها الواضح في تنمية إيمان الفرد، فالظاهر الدينية وتكرارها في أوقاتها، والعمل بها توحّي به العقيدة من أكبر العوامل في تعزيز العقيدة وبقائها، قال تعالى: ﴿قُلْ لِعَبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْفَقُوا مَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً﴾<sup>(٤٧)</sup>.

ومن العوامل التي تسهم في تنمية الاعتقاد عند الفرد أيضًا، تكوين الرغبة في الاعتقاد، وهي لا تقل أهمية عن الأدلة النظرية في ترسّيخ ذلك الجانب، بل إن الأدلة وحدها لم تكن كافية في جعل الفرد يعتقد ما لم يكن لديه رغبة في الاعتقاد، حتى ولو

(٤٣) مجموعة من العلماء. الله يتجلّ في عصر العلم. (ترجمة الدمرداش سرحان)، ط٢، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١م، ص ٦٠ - ٢٠.

(٤٤) سورة الغاشية، الآيات: ١٧ - ٢٠.

(٤٥) محمد أمين المصري . لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها . المصدر السابق، ص ١١٠ .

(٤٦) سورة الأعراف، الآية: ٧٠.

(٤٧) سورة إبراهيم، الآية: ٣١.

استخدم معه أدلة عقلية خارقة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: «ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا»<sup>(٤٨)</sup>. ومن العوامل التي تسهم في تربية الاعتقاد عند الفرد إبراز محاسن العقيدة الإسلامية وخصائصها، ومقارنتها بالأديان الأخرى، وصد الأسباب التي تؤثر في عقائده، وتكون استعداد للدفاع عن عقيدته وما يثار حولها من شبّهات.

### ثانيًا: الجانب الروحي

#### ١ - مفهوم الجانب الروحي

الروح من الأمور التي تعتقد بها معظم الأمم والشعوب، حيث إن علم اللغة «أثبت أنه لم تخل لغة من لفظ يدل عليها، فالإنسان من مبدأ أمره يميز بين المادة والروح»<sup>(٤٩)</sup>، ولعل أول تفكير منظم معروف في مسألة الروح كان تفكير الفراعنة، فقد كان المصريون من أعرق الأمم التي آمنت بالروح ثم آمنت بالبعث والشواب والعذاب بعد الموت، ورمزوا للروح بـ«بكا» تارة بزهرة، وتارة بصورة طائر، وتارة بتمساح أو ثعبان، وقالوا إن الروح تتشكل بجميع الأشكال، وقد أدى إيمان الفراعنة بالروح إلى حفظ أجساد موتاهم»<sup>(٥٠)</sup>.

أما الهند فقد آمنوا بتanax الرواح، وفي الصين قدّيًّا شاعت عبارة الأرواح لدرجة أن أغلى قربان في نظرهم هو القربان الذي يقدم للروح، وكذلك الشأن عند اليابان. كما أسهم علماء اليونان وفلسفتهم الأقدمون في البحث عن الروح ويجمعون على أن الروح عنصر لطيف مختلف عن البدن، ولا تفنى وهي تعود إلى عالمها العلوي عند مفارقتها الجسد»<sup>(٥١)</sup>.

(٤٨) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

(٤٩) عبد الكري姆 الخطيب. قضية الألوهية بين الفلسفة والدين. ط٣، بيروت، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ، ص ١٢٥.

(٥٠) عباس محمود العقاد. كتاب في نشأة العقيدة. ط٣، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م، ص ٦٥.

(٥١) عبد الكريمة الخطيب. المصدر السابق. ص ١٣٣.

كما شاعت أساطير مختلفة بين قبائل أفريقيا عن الروح تناولتها بعض الكتب بالشرح والإيضاح<sup>(٥٢)</sup>.

وطلت مسألة الروح تشغيل بالمفكرين الغربيين ليقفوا على ماهية الروح وطبيعتها ومفهومها، ومن بين هؤلاء الفيلسوف «جورج باركلي»، وهو من دعاة الفلسفة الروحية الذاتية، الذي يرى: «أن حقائق الأشياء روحية ولا توجد حقيقة مادية، وما هذه الأشياء المحسوسة إلا مظاهر خداعة لا حقيقة لها إزاء الحقائق الروحية أو العقلية»<sup>(٥٣)</sup>، والفيلسوف الألماني «ليبتيتز» وهو من مناصري الفلسفة الروحية الشاملة، يرى: «أن عالم الطبيعة مكون أساساً من الذرات الروحية، أو بمعنى آخر فهو يرى أن الذرات التي يتكون منها عالم الطبيعة ذرات روحية شفافة مائعة»<sup>(٥٤)</sup>.

وكذلك الحال عند علماء المسلمين في تفسير وتوضيح الروح، فقد عرّفها الإمام مالك بأنها: «صورة نورانية على شاكلة الجسم تماماً»<sup>(٥٥)</sup>، وعرفها ابن القيم بأنها: «جسم مخالف في الماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء»<sup>(٥٦)</sup>.

ويعرفها مقداد يالجن بأنها: «جوهر بسيط لطيف حي بذاته مختلف عن ماهية الجسم لأنها من العالم الإلهي متخلق على صورة الجسم الإنساني مرتبط بالجسم كله ارتباطاً وثيقاً ويسري فيه سريان النور في الزجاجة، وهي التي تدير الجسم وتضفي عليه صفاته الذاتية من الإدراك والتعقل والشعور بالتسامي والمسؤولية الوجدانية والإحساسات الأدبية الجمالية»<sup>(٥٧)</sup>.

أما الروح في القرآن الكريم فقد وردت في أكثر من موطن، واستخدمت لعدة معانٍ،

(٥٢) انظر هوبيرديشان. *الدينات في أفريقيا السوداء*. (ترجمة أحمد صادق)، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٥٦ م.

(٥٣) مقداد يالجن. *فلسفة الحياة الروحية*. بيروت، دار الشروق، ١٤٠٥هـ، ص ١٣.

(٥٤) مقداد يالجن. *فلسفة الحياة الروحية*. المصدر السابق، ص ١٣.

(٥٥) مقداد يالجن. المصدر السابق. ص ٣٦، نقلأً من كتاب البيومي. *الروح وماهيتها*. ٦٦.

(٥٦) ابن القيم. *الروح*. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ، ص ١٧٨.

(٥٧) مقداد يالجن. مصدر سابق. ص ٣٧.

وقد تناولها أحد الباحثين بالشرح والإيضاح<sup>(٥٨)</sup>.

من هذا السياق الموجز عن الروح يتضح تشعب الآراء والأفكار وتعدد الفروض وتباليتها في تفسير الروح، لغفل الروح حتى الآن سرًا من أسرار الخالق ومعجزة في اكتشاف كنهها، حيث يرى العقاد: «أن معجزات القرآن أنه وضعها هذا الموضع الصحيح من الفلسفة والعلم يجعلها أعضل المعضلات التي يتساءل عنها الإنسان»<sup>(٥٩)</sup>.

وعلى الرغم من أن الروح شيء مهم في حقيقتها، ولكنها معروفة بكثير من صفاتها، والسلوكيات التي تدفع إليها، فهي موجودة في الواقع، وكل إنسان في الوجود يدرك أثر الروح في جسمه، وهي حقيقة يقرها الدين والعقل والعلم. فمفهوم الروح في نظر الباحث، إنها شيء مخلوق منفصل بذاته، لا ندركها بالنظر، ولا نراها بالعين ولكن ندرك أثرها على الجسم، فهي تمنح الجسم الحركة والحياة، وإذا فارقته فلا حركة ولا حياة، ويمكن أن تشبه بالكهرباء فنحن لا نرى الكهرباء، ولكن ندرك أثرها على الجسم.

## ٢ - أهمية الجانب الروحي في بناء الشخصية

إن تربية هذا الجانب يدفع بالفرد إلى السمو والرقي والاستعلاء على الأهواء والشهوات، وهي تقى الفرد من الانحراف والانحطاط والسقوط في الرذائل، كما تحميه من كثير من الأمراض النفسية، مثل القلق والاكتئاب اللذين يصاب بها كثير من الأشخاص البعيدين عن الحياة الروحية، وبها تسكن النفس وطمئن، وبدونها تختلط موازين شخصية الفرد، وتضطرب قواه العقلية والنفسية. والحقيقة أن التربية الروحية لا تقتصر آثارها على الجانب الروحي فحسب، بل تتعكس على بقية جوانب الشخصية، وقد ذكر أحد الباحثين أنه: «كلما ارتقينا بالتربية الروحية ارتقينا من الناحية الإنسانية بالحياة الإنسانية إلى مدارج الكمال، وانتقلنا بها إلى آفاق أوسع إشرافاً وانشراحًا وبهجة من الحياة الحيوانية المادية الضيقة»<sup>(٦٠)</sup>.

(٥٨) مقداد بالجن. فلسفة الحياة الروحية. مصدر سابق، ص ٣٢ - ٣٣.

(٥٩) عباس محمود العقاد. الفلسفة القرآنية. مصدر سابق، ص ٩٨.

(٦٠) مقداد بالجن. جوانب التربية الإسلامية الأساسية. بيروت، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر،

١٤٠٦ـ، ص ٢٤٠.

والتربيـة الروحـية هي أـسـاس السـعادـة في الدـارـين ؛ فـأـكـثـر النـاس شـقـاء هـم المـهـمـلـون لـتـرـيـبـهـمـ الـرـوـحـيـةـ ، وـهـذـهـ حـقـيقـةـ نـشـاهـدـهـاـ فيـ حـيـاتـاـ الـيـومـيـةـ ، وـيـقـرـهـاـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ ، قـالـ تـعـالـىـ : ﴿وـمـنـ أـعـرـضـ عـنـ ذـكـرـيـ إـنـ لـهـ مـعـيـشـةـ ضـنـكـاـ وـنـحـشـرـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ أـعـمـىـ﴾<sup>(٦١)</sup> .

### ٣ - تحقيق نمو الجانب الروحي

وإذا كان الجانب الإيماني هو أول الجوانب الذي ينبغي التركيز عليه في تكوين الشخصية المسلمة - كما أشار الباحث إلى ذلك سابقاً - فإن الجانب الروحي يحتل المرتبة الثانية، لأنه مبني عليه، وهذا ما نلمحه في تربية سيدنا لقمان عليه السلام لولده، حيث بدأ بالجانب الإيماني أولاً ثم انتقل إلى الجانب الروحي ، كما في قوله تعالى : ﴿وـإـذـ قـالـ لـقـمـانـ لـابـنـهـ وـهـوـ يـعـظـهـ يـاـ بـنـيـ لـاـ تـشـرـكـ بـالـلـهـ إـنـ الشـرـكـ لـظـلـمـ عـظـيمـ يـاـ بـنـيـ أـقـمـ الصـلـاـةـ وـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـانـهـ عـنـ الـنـكـرـ وـاصـبـرـ عـلـىـ مـاـ أـصـابـكـ إـنـ ذـلـكـ مـنـ عـزـمـ الـأـمـورـ﴾<sup>(٦٢)</sup> .

وباعتبار أن العبادة بأنواعها هي الوسيلة الأساسية للنمو الروحي ، والصلة الدائمة بين الإنسان وحالقه ، لذا نرى كل دين سماوي دعا الناس إلى الحياة الروحية بشكل ما ، بل أوجب على الناس عبادة الله ، كما في قوله تعالى : ﴿وـلـقـدـ بـعـثـنـاـ فـيـ كـلـ أـمـةـ رـسـوـلاـ أـنـ اـعـبـدـوـ اللـهـ وـاجـتـبـيـواـ الطـاغـوتـ﴾<sup>(٦٣)</sup> .

لذا ينبغي توجيه الفرد إلى عبادة الله ، وتعويذه بممارستها في ميادينها المختلفة ؛ فالتكاليف الإسلامية ، والعبادات المفروضة تتطلب ممارسةً وسلوكاً عملياً ، وأن تكون الممارسة مستمرة طوال حياة الفرد ، لقوله تعالى : ﴿وـاعـبـدـ رـبـكـ حـتـىـ يـأـتـيـكـ الـيـقـيـنـ﴾<sup>(٦٤)</sup> .

وينبغي أن تكون الممارسة في العادات على عدة أوجه ؛ لأن العبادة في مفهومها الواسع لا تقتصر على العادات الراتبة في الإسلام (الصلوة والصوم والحج .. الخ) فحسب ، بل تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفكار والأعمال والمشاعر والعواطف ، وفي جميع الميادين الفكرية والاجتماعية والسياسية والعسكرية وغير ذلك .

(٦١) سورة طه ، الآية : ١٢٤ .

(٦٢) سورة لقمان ، الآيات : ١٣ - ١٧ .

(٦٣) سورة التحل ، الآية : ٣٦ .

(٦٤) سورة الحجر ، الآية : ٩٩ .

ويهذا المفهوم الواسع ننتقل بالفرد من عبادة الله على وجه واحد إلى عبادته على عدة أوجه، ومن عبادة مقيدة محصورة في جانب معين إلى عبادة مطلقة، تشمل جميع جوانب الحياة، يقول ابن القيم في توجيهاته الصائبة: «وصاحب التعبد المطلق، ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل لا يزال متقدلاً في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة، عمل على سيره إليها، واستغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره»<sup>(٦٥)</sup>.

والممارسة المطلوبة في العبادة ينبغي ألا تكون تقليداً أعمى وألا تكون أداءً آلياً خالياً من الشعور والرغبة، وقد لفت الإسلام أنظارنا إلى تجنب مثل هذه العادات التي لم تترجم إلى حقائق صحيحة واقعية في النفوس، وإنما هي عادات تؤدي بشكل آلي بدون رؤية ولا تبصر، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَأُبَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّهَابَاتِ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٦٦)</sup>.

ومن الأساليب الفعالة في تنمية البناء الروحي تكوين الوعي لدى الفرد بأهمية الحياة الروحية، وكشف الفوائد المرتبة على ممارستها، والأضرار الناتجة عن تركها، فالعبادات التي شرعها الله لها نتائجها العلمية والعملية، وثمراتها الاجتماعية والفردية على حد سواء، وقد تناولت كتب عديدة ذلك بالشرح والإيضاح<sup>(٦٧)</sup>.

### ثالثاً: الجانب العقلي

#### ١ - مفهوم الجانب العقلي

معنى العقل في اللغة هو: **الحِجْرُ وَالنُّبُيُّ**<sup>(٦٨)</sup>، والفهم والتدبر، وإدراك الخطأ، وعقل الشيء أي فهمه وتدبره، وعقل فلان عرف خطأه الذي كان عليه، والعاقل هو المدرك

(٦٥) ابن القيم. تهذيب مدارج السالكين. ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ١٠٤.

(٦٦) سورة الأنبياء، الآيات: ٥٢ - ٥٤.

(٦٧) انظر: (أ) محمد عبدالله دراز. دستور الأخلاق في القرآن. ص ٦٣٥ - ٦٥١.

(ب) محمد شديد. منهج القرآن في التربية. ص ٢٢٢ - ٢٥٩.

(ج) عبدالرحمن النحلاوي. أصول التربية الإسلامية وأساليبها. ص ٥٥ - ٥٠.

(٦٨) الرazi. مختار الصحاح. المصدر السابق، ص ٤٤٦.

الفاهم الحكيم ، والعمول : هو المدرك الفاهم للأمور<sup>(٦٩)</sup> .

والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه وهي :

(١) صحة الفطرة الأولى في الناس ، فيقال لمن صحت فطرته إنه عاقل فيكون حده « أنه قوة بها يحدد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة ».

(ب) وقد يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه « معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستبط بها المصالح والأغراض ».

(ج) وقد يراد به « معنى يرجع إلى وقار الإنسان وهيئاته و اختياره »<sup>(٧٠)</sup> .

أما مفهوم العقل لدى الفلسفه ، فهم يقصدون من لفظ العقل معانٍ مختلفة ومن هذه المعاني قولهم ، إن العقل « جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها » ، وهذا القول بجوهرية العقل موجود في أكثر كتب الفلسفه ، مثل الفارابي ، وابن سينا ، والكندي . وثاني هذه المعاني قولهم إن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني ، وتأليف القضايا والأقيسة ، والفرق بينه وبين الحس أن العقل يستطيع أن ي مجرد الصورة عن المادة ، وعن لواحق المادة . فالعقل إذن قوة تجريد ، تنتزع الصورة من المادة ، وتدرك المعانى الكلية ، كالجوهر والعرض ، والعلة والمعلول ، والغاية والوسيلة ، والخير والشر . . . الخ . وهذه القوة عند فلاسفه الإسلام عدة مراتب .

والمعنى الثالث للعقل هو القول بأنه : « قوة الإصابة في الحكم » ، وقد أشار « ديكارت » إلى هذا المعنى .

والمعنى الرابع للعقل هو القول بأنه الملة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة . وإذا قلنا بوحدة العقل وموضوعه ، دل العقل حينئذ على المطلق نفسه ، فكان هذا العقل شيء مستقل عنا ، ونحن نتلقاه من الخارج ، كما نستنشق الهواء المحيط بنا ، وكل واحد منا يشعر بأن داخله عقلاً محدوداً لا يصحح أحکامه إلا باستثنائهم عقل كلي ثابت لا يتغير<sup>(٧١)</sup> .

(٦٩) قدرى حافظ طوقان . مقام العقل عند العرب . القاهرة ، دار المعرف ، ١٩٦٠ م ، ص ١٠ .

(٧٠) عبدالكريم عثمان . الدراسات النفسية عند المسلمين . ط٢ ، القاهرة ، دار غريب للطباعة ،

. ٣٢٥ - ١٤٠١

(٧١) جيل صليبا . المعجم الفلسفى . بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣ م ، ج ٢ ، ص ٨٤ - ٩١ .

والتعريفات السابقة - من وجهة نظر الباحث - ليست تعريفاً للعقل وإنما هي وصف للعمليات العقلية وصفاتها . فالإنسان يدرك أفعال العقل وصفاته ولكن يصعب عليه إدراك العقل نفسه شأنه شأن الروح التي سبق ذكرها .

ومن نسبته حول رأي الإسلام في مفهوم العقل ، أن العقل لم يرد في القرآن بصيغته الأساسية ، وإنما وردت مشتقاته في صيغتها الفعلية فالقرآن لم يشير إلى العقل ذاته أو إلى الأجزاء المكونة للعقل وإنما اهتم بالإشارة إلى الأمر المميز للإنسان على سائر المخلوقات ، أي العمليات العقلية من تعلم وتفكير وتذكر وتعلم وتعليم ، وقد وردت هذه الألفاظ في القرآن الكريم مئات المرات ، وذلك مثل قول الله تعالى : « وَبِرِّيكُمْ آيَاتٍ لِّعُلْكُمْ تَعْقِلُونَ »<sup>(٧٢)</sup> .

## ٢ - أهمية الجانب العقلي في بناء الشخصية

العقل من أهم مكونات الشخصية ، فالعقل يقوم الإنسان بمختلف عملياته العقلية ، مثل عملية الإدراك والتعلم والتعرف والفهم والتخيل ، والعقل هو أساس التكليف في الإسلام في مجالات عده ، في العقيدة ، والشريعة والعبادة والمعاملة والتعايش السليم في المجتمع والطبيعة ، وفي مجال العمل والإنتاج ، وبناء حضارات ، وكشف العديد من قوانين الكون وأسراره ، والاستفادة منها . فالحياة البشرية لا تستقيم بدون سلطان العقل وتجسيمه .

والعقل عند ابن القيم هو المحرك لجميع البدن ، حيث يرى أن « العقل ملك البدن روحه وحواسه وحركاته كلها رعية له ، فإذا ضعف عن القيام عليها وتعهدها وصل الخلل إليها كلها »<sup>(٧٣)</sup> .

وبالعقل يميز الإنسان بين الخير والشر ، وبين الفضيلة والرذيلة ، وبين الصواب والخطأ وبين الحسن والقبح ، « فهو آلة العلم وميزانه الذي به يعرف صحيحة من سقيمه ، وراجحه من مرجوحه ، والمرأة التي يعرف بها الحسن من القبح »<sup>(٧٤)</sup> .

(٧٢) سورة البقرة ، الآية : ٧٣

(٧٣) ابن القيم . مفتاح دار السعادة . حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، مطبعة دائرة المعارف الناظمية ، ١٣٢٩هـ ، ص ١١٧

(٧٤) مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مصر ، مكتبة الحاجي ، ١٣٩٧هـ ، ص ٥٣٩

وقد أبدى علماء المسلمين الشيء الكثير عن أهمية العقل، وإجلالهم لأمره، ويكتفي هنا أن نسوق شاهدًا من ذلك على سبيل المثال، وهو قول عبد الله بن المبارك عندما سُئل «ما أفضل ما أعطي الرجل بعد الإسلام؟ قال: العقل»<sup>(٧٥)</sup>.

### ٣ - تحقيق نمو الجانب العقلي

ويتم ذلك عن طريق تنمية القدرات العقلية للفرد؛ كالقدرة اللغوية والقدرة الرياضية والقدرة على الاستنباط والاستدلال، والقدرة على الملاحظة والنقد الهدف، والتحليل الموضوعي، وتنمية العمليات العقلية المختلفة مثل عمليات الإدراك والحفظ والتذكر والتخيل والتفكير وسرعة التذكر والاسترجاع، وعمليات مقاومة النسيان وغير ذلك من العمليات العقلية، وتنمية العادات والاتجاهات ذات الارتباط بالناحية العقلية كحب المعرفة والاستطلاع والقراءة والصبر، والجلد على طلب العلم، واحترام آراء الآخرين ووجهات نظرهم، وعدم التعصب للأراء الخاصة، والتحرر العقلي من قيود التقليد الأعمى والعادات والتقاليد غير الصحيحة، وتنمية المهارات العقلية، كمهارة التصنيف والترتيب، ومهارة القراءة والكتابة، ومهارة التفكير المنطقي والمنهجي، ومهارة الشرح والتفسير، ومهارة تكوين قوانيين عامة، وما إلى ذلك من المهارات، والكشف عن الاستعدادات والقدرات العقلية وتوجيهها الوجهة السليمة، والاستفادة منها بما يفيد الفرد والجماعات، وتهيئة الجو العلمي الصالح الذي يسهم في تنمية تلك الاستعدادات والقدرات العقلية عند الفرد، وتزويده بالمعارف والأساليب التي تسهم في تنمية الجانب العقلي، والمحافظة على تلك الاستعدادات والقدرات العقلية، ووقايتها من المؤثرات التي تؤدي إلى إضعافها سواءً أكانت مؤثرات صحية أم نفسية، أو مؤثرات داخلية أم خارجية.

والشواهد من الكتاب والسنة على ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها فضلاً عن تفسيرها وشرحها، منها على سبيل المثال لا الحصر، أن القرآن الكريم حذر من اتباع الهوى الذي يؤدي إلى سقم التفكير، وبعد صاحبه عن إدراك الحقائق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُستَجِيبُ لِكَ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَبعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَنْصَلَ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ هُوَهُ بِغَيْرِ هُدَىٰ مِنْ اللَّهِ﴾<sup>(٧٦)</sup>.

(٧٥) ابن القيم الجوزية. روضة المحبين وزهرة المشتاقين. (تصحيح أحمد عبيد)، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦م، ص ١٦.

(٧٦) سورة القصص، الآية: ٥٠.

كما يشير القرآن إلى أن أصحاب الهوى يفتقدون دائمًا المعلومات اللاحزة لسلامة التفكير وصحة الاستدلال، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَثُرَ لِيَضْلُّنَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(٧٧)</sup>، كما حذر القرآن من التقليد الأعمى، واتباع الغير دون تفكير وتبصر في الأمور؛ لأن ذلك يحد من تفكير الفرد وإدراكه، ويجعله تابعًا لا متبوعًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾<sup>(٧٨)</sup>.

كما حذر من التسرع في الحكم على الأشياء دون ثبت وبرهان وتحري، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيَّا فَتَبَيَّنُوا أَنَّ تَصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَنَصْبُحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين﴾<sup>(٧٩)</sup>.

ودعا إلى استخدام البراهين الشافية والكافية للوصول إلى الحقائق، قال تعالى: ﴿فَلَهُاٰتُوا بِرَهَانَكُمْ إِنْ كَتَمْ صَادِقِين﴾<sup>(٨٠)</sup> والبرهان المطلوب هو البرهان الذي يعتمد في خطواته على أساس علمية وحقائق، لا على الظن والتخيّل، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾<sup>(٨١)</sup>، إلى غير ذلك من الشواهد التي لا يتسع المقام لذكرها.

#### رابعًا: الجانب الأخلاقي

##### ١ - مفهوم الجانب الأخلاقي

للأخلاق في اللغة عدة معانٍ، منها الخلق والخلق بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسببية<sup>(٨٢)</sup>.

أما الأخلاق في الاصطلاح، فقد اختلفت المذاهب والفلسفات في تحديد مفهومها، وذلك راجع إلى اختلاف الأفكار والمعتقدات والبيئات والأزمنة، ثم اتساع مجال ميادين الأخلاق نفسها. فقد عرف «مكدوجل» الخلق بأنه «نظام تصاعدي متكملاً من العواطف

(٧٧) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

(٧٨) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٧٩) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٨٠) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٨١) سورة النجم، الآية: ٢٨.

(٨٢) ابن منظور. لسان العرب. مصدر سابق، ج ١، ص ٨٨٩.

تسسيطر عليه سيدة العواطف» وعرفه «روياك» بأنه «حالة أو ميل نفسي يتحكم في العرائض ويعندها من تحقيق أهدافها، وذلك بمقتضى مبدأ منظم لتلك الغرائز»، وعرف «جون ديوبي» الأخلاق بأنها: «كل ما ينطوي عليه العمل من عمليات إممان؛ أي المعاونة والتروي والرغبة أو الدافع سواء أكانت هذه العمليات قريبة أم بعيدة»<sup>(٨٣)</sup>.

وقد عرف ابن مسكويه الأخلاق بأنها: «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية»<sup>(٨٤)</sup>، وقد ذهب الإمام الغزالى في تعريفه للخلق إلى ما ذهب إليه ابن مسكويه وعرفه بأنه: «هيئه في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسراً من غير حاجة إلى فكر ورؤيه»<sup>(٨٥)</sup>. أما ما قاله الإمام الغزالى فهو الصورة في إطار فلسنته الإسلامية حيث يرى أن الأخلاق هيئه في النفس راسخة - إيمان صادق - تصدر عنها الأفعال بسهولة وبدون تردد وتفكير في الظروف والأحوال لأن الفعل يتوجه مباشرة للقاعدة الأخلاقية ليتحققها، ويعرف الباحث الأخلاق في نظر الإسلام بأنه: «العمل بالقرآن الكريم والسنّة المطهرة بنية مخلصة وطيبة من غير تكليف ابتغاء مرضاعة الله وحسن الثواب»؛ ويعرف الباحث الحلق بهذا التعريف لأن السيدة أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، عندما سُئلت عن خلق النبي، صلوات الله عليه، قالت: «كان خلقه القرآن»<sup>(٨٦)</sup>، أما توفر النية المخلصة في العمل فهذا شرط أساسي في الأخلاق الفاضلة، فالأعمال التي لا تصدر عن نية مخلصة طيبة لا تكون أخلاقاً فاضلة، وقد اعتبر رسول الله، صلوات الله عليه، النية الحية أساس الأفعال، فقال: «العمل بالنية وإنما لأمرء ما نوى»<sup>(٨٧)</sup>.

وقد أقرَّ العديد من العلماء وال فلاسفة وجود النزعة الأخلاقية في الطبيعة الإنسانية، وبهذه النزعة يستطيع الإنسان أن يميّز بين الخير والشر، ويستطيع أن يضبط دوافعه

(٨٣) صالح عبدالعزيز. التربية وطرق التدريس. ط٧، القاهرة، دار المعارف بمصر، ص ٢٣٣-٢٣٥.

(٨٤) ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق. بيروت، مكتبة الحياة، د.ت. ، ص ٣٦.

(٨٥) الإمام الغزالى. إحياء علوم الدين. القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٩، ج ٣، ص ٥٦.

(٨٦) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته. ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م، رقم الحديث (٤٦٨٧) ص ٢٣٨.

(٨٧) البخاري. صحيح البخاري. المصدر السابق، كتاب النكاح، ج ٦، ص ١١٨.

وشهواته، ومن بين هؤلاء «وليم مكدوجل» فقد قال: «وفي نفوسنا نزعة تدفعنا إلى أن ننبذ كل ما هو كريه مقوت وننفر منه في اشمئاز وتقزز»<sup>(٨٨)</sup>، وقال «روسو»: «إن في قرارة النفوس مبدأ فطرياً للعدل والفضيلة نقيس به أفعالنا وأفعال سوانا من الناس ونحكم عليها بالخير أو السوء»<sup>(٨٩)</sup>.

أما نظرة الإسلام إلى وجود نزعة أخلاقية في طبيعة الإنسان، فهناك آيات عديدة تقر ذلك، منها قوله تعالى: «ونفس وما سواها فألمهمها فجورها وتقواها»<sup>(٩٠)</sup>، وقال تعالى: «سبع اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدي»<sup>(٩١)</sup>، قال الإمام الرazi: «أما قوله «فهدي» عبارة عن خلق تلك القوة في تلك الأعضاء بحيث تكون كل قوة مصدراً لفعل معين، ويحصل من مجموعها تمام المصلحة»<sup>(٩٢)</sup>. ولكن يود الباحث أن يشير إلى أنه بالرغم من وجود نزعة أخلاقية إلا أنها لا تنمو بمفردها فهي بحاجة إلى معونة خارجية.

## ٢ - أهمية الجانب الأخلاقي في بناء الشخصية

للأخلاق أهمية كبيرة على الأفراد والجماعات، فهي دعامة كل نهضة وأساس كل تقدم وتطور ورقي ، وبضياع الأخلاق وإهمالها تهار الأمم وتضيع ، فالأخلاق ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية ، وقد اهتمت كافة التربيات بالجانب الأخلاقي . وتحتل الأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة ، وشرفاً رفيعاً ، وهناك ترابط بين الإيمان والأخلاق في التربية الإسلامية .

فالجانب الأخلاقي من أهم جوانب شخصية الفرد ، فعن طريق تنمية ذلك الجانب

(٨٨) وليم مكدوجل. الأخلاق والسلوك في الحياة. (ترجمة جبران إبراهيم) القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦١م، ص ٢٥.

(٨٩) جان جاك روسو. أميل. (ترجمة نظمي لوقا)، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٨م، ص ٢١٣.

(٩٠) سورة الشمس، الآيات: ٧، ٨.

(٩١) سورة الأعلى، الآيات: ١ - ٣.

(٩٢) الإمام الفخر الرazi. التفسير الكبير. القاهرة، المطبعة البهية المصرية، ١٩٣٣م، ج ٣١، ص ١٤٠.

تتحقق سعادة الدارين للفرد، وهذا ما أكده الإسلام أن الخلق الحسن هو طريق السعادة، وأن الخلق السيء هو طريق الشقاوة، لقول رسول الله، ﷺ: «من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق»<sup>(٩٣)</sup>.

ولأهمية هذا الجانب في بناء الشخصية المسلمة، نجد الحق سبحانه يمتدح رسوله الكريم بهذه الميزة، ميزة الأخلاق، على الرغم من وجود مزايا عديدة في شخصيته، ﷺ، قال تعالى: «وإنك لعلى خلق عظيم»<sup>(٩٤)</sup>، كما نجد أن مهمة الرسل والأنبياء عموماً تنصب على تنمية الجانب الأخلاقي، وهذا ما نلمحه في حديث رسول الله، ﷺ، قال: «إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق»<sup>(٩٥)</sup>. فالشخصية السوية لا تكتمل إلا بتنمية الجانب الأخلاقي.

### ٣ - تحقيق نمو الجانب الأخلاقي

ويتم تحقيق ذلك عن طريق تطهير النفس من جميع الرذائل الأخلاقية والإرادات الشريرة، عملاً بقوله تعالى: «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليظهركم وليت نعمتكم»<sup>(٩٦)</sup>، وبجانب التطهير ينبغي تنمية الروح الأخلاقية، ونزعات الخير في نفس المرء، وقد استخدم القرآن الكريم التزكية، والتزكية تفيد التطهير مع التنمية، قال تعالى: «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم»<sup>(٩٧)</sup>.

كما أن تنمية الجانب الأخلاقي تحتاج إلى تعليم وتبصير أخلاقي، إذ لا بد منوعي أخلاقي، ليدرك الإنسان حكمة المبادئ الأخلاقية، ولا بد من بصيرة أخلاقية ليستطيع بها المرء التمييز بين السلوك الحسن والسلوك الشرير وما يترتب على الفضيلة من الخيرات وما يتربت على الرذائل من مضار وشرور، وقد ذكر الإمام الفخر الرازي عن الجمع بين التعليم والتزكية في قوله تعالى: «يتلو عليهم آياته ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم»<sup>(٩٨)</sup> وقال:

(٩٣) الإمام أحمد بن حنبل، مسنن الإمام أحمد، وبهامشه منتخب كنز العمال، ج ١، ص ١٣٢.

(٩٤) سورة القلم، الآية: ٤.

(٩٥) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزیادته، المصدر السابق، رقم الحديث ٢٣٤٥، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٩٦) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٩٧) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

(٩٨) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

«اعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين أحدهما أن يعرف الحق لذاته، والثاني أن يعرف الخير لأجل العمل به، فإن أخل بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهراً من الرذائل ولم يكن زكيّاً عنها»<sup>(٩٩)</sup>.

وبالإضافة إلى ما ذكر في تنمية الجانب الأخلاقي ينبغي تكوين الاستعداد الكامل للالتزام بالمبادئ الأخلاقية، ومارسة ذلك عملياً، ولابد من تكوين الشعور بالمسؤولية الأخلاقية أمام الله ، بحيث يحاسب نفسه بأنه يرى الله ، وأن يخاف من عقاب بأنه واقع ، وأن يعمل بما تنص عليه الآية الكريمة : «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»<sup>(١٠٠)</sup> ، ويعلم أن الله معه حيثما كان ، وهذه هي درجة الإحسان التي تميز بها الشخصية المؤمنة عما سواها.

#### خامساً: الجانب الاجتماعي

##### ١ - مفهوم الجانب الاجتماعي

الجمع في اللغة هو اسم جماعة الناس ، والمجمع : يكون اسمًا للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه ، والجمعي : الحيُّ المجتمع<sup>(١٠١)</sup> . والمجتمع في الاصطلاح جماعة من الأحياء تصل إلى درجة من النمو وتظل كذلك ما دامت الظروف البيئية التي تحيط بها ثابتة<sup>(١٠٢)</sup> ، ويطلق لفظ المجتمع بمعنى أخص على المجموع من الأفراد تألف روابط واحدة ، تثبتها الأوضاع والمؤسسات الاجتماعية ، ويكفلها القانون ، أو الرأي العام ، بحيث لا يستطيع الفرد أن يخالفها ، أو ينحرف عنها ، إلا إذا عرض نفسه للعقاب ، أو السخط ، أو اللوم<sup>(١٠٣)</sup> . والإنسان كما يمتاز بتنوعه الأخلاقية ، فإنه يمتاز أيضاً بتنوعه الاجتماعية ، لدرجة أن بعض علماء الاجتماع وال فلاسفة عرّفوا الإنسان بأنه اجتماعي بطبيعة ، وبعد هذا المفهوم من أقدم المفاهيم ، فقد قال ابن مسكويه : إن الإنسان مدني بالطبع أي هو يحتاج إلى مدينة فيها خلق كثير لتم له السعادة الإنسانية ، فكل إنسان بالطبع وبالضرورة يحتاج إلى غيره ،

(٩٩) الإمام الفخر الرازي . التفسير الكبير . المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٤ .

(١٠٠) سورة غافر ، الآية : ١٩ .

(١٠١) ابن منظور . لسان العرب . المحيط ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(١٠٢) ابن منظور ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(١٠٣) جميل صليبا . المعجم الفلسفى . مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .

فهو لذلك مضطرب إلى مصافة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة، ومحبتهم المحبة الصادقة لأنهم يكملون ذاته ويتممون إنسانيته، وهو أيضًا يفعل بهم مثل ذلك»<sup>(١٠٤)</sup>. وقد ذهب ابن خلدون إلى ما ذهب إليه ابن مسكونيه ويقرر إن الإنسان: «مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة»<sup>(١٠٥)</sup>.

أما نظرة الإسلام إلى ذلك فقد نلمح في قوله تعالى: «يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»<sup>(١٠٦)</sup> إشارة إلى وجود استعداد اجتماعي عند الإنسان، وموطن الاستشهاد في الآية الكريمة: «التعارف»، وهذا ما أشار إليه الرازي، وقال: «في الآية فائدة التعارف لا التناكر»<sup>(١٠٧)</sup>، ويضيف في موطنه آخر ويقول: «وفيها - الآية السابقة - معانٍ لطيفة (الأولى) قال تعالى: «إنا خلقناكم»، وقال: «وجعلناكم» لأن الخلق أصل تفرع عليه العمل «شعوبًا» فإن الأول هو الخلق والإيجاد، ثم الاتصال بما اتصفوا به، ولكن العمل شعوبًا للتعارف والخلق للعبادة، كما قال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»<sup>(١٠٨)</sup>.

## ٢ - أهمية الجانب الاجتماعي في بناء الشخصية

يُعد الجانب الاجتماعي من جوانب مكونات الشخصية، لأن سلوك الفرد وتصرّفاته ومعاملاته ما هي إلا نتاج لتفاعل استعدادات ومكونات الفرد الداخلية مع عوامل البيئة الخارجية والاجتماعية، والثقافية والطبيعية، وعن طريق هذا التفاعل يتحقق البناء والتمهير، وتحسين الواقع الطبيعي والاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه، وعن طريق التفاعل الحسن بين الإنسان وعناصر البيئة الطبيعية يستطيع أن يحول ذلك إلى إنتاج وثروة، وعن طريق التفاعل الحسن بينه وبين عناصر البيئة الاجتماعية يجد لنفسه الراحة والطمأنينة والمحبة واللودة والاحترام والتقدير، وهذه حاجات أساسية عند الإنسان، يقول ابن مسكونيه: «إن الإنسان يحتاج إلى صديق عند حسن الحال وعند سوء الحال، فعند سوء الحال يحتاج إلى

(١٠٤) ابن مسكونيه. تهذيب الأخلاق. مصدر سابق، ص ٣٥.

(١٠٥) ابن خلدون. المقدمة. مطبعة مصطفى محمد، ص ٤١.

(١٠٦) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(١٠٧) الإمام الفخر الرازي. التفسير الكبير. مصدر سابق، ج ٢٨، ص ١٣٨.

(١٠٨) الإمام الفخر الرازي. التفسير الكبير. مصدر سابق، ج ٢٨، ص ١٣٨.

معونة الأصدقاء، وعند حسن الحال يحتاج إلى المؤانسة وإلى من يحسن إليه<sup>(١٩)</sup>، والإنسان وحده من بين مخلوقات الله الذي منحه الله القدرة على إحداث التطور في الطبيعة، وخلق الحضارة، وبناء المجتمعات.

ولأهمية ذلك الجانب فقد كانت نقاط التطور الحضري في المدن محطة الرسائل السماوية، وأن كافة الرسل أرسلوا لمجتمعات حضارية سميت في القرآن الكريم بالقرى، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾<sup>(٢٠)</sup>.

### ٣ - تنمية الجانب الاجتماعي

ويتم ذلك عن طريق تنمية الروح الاجتماعية بحيث يصبح للفرد اهتمام بشؤون مجتمعه، ويعمل لخيره وإسعاده، ويحافظ على دينه وقيمه وتراثه. ومساعدة الفرد على بناء علاقات اجتماعية ودية بينه وبين أفراد مجتمعه، وتبصيره بالمبادئ التي أكدتها الإسلام لتدعم تماسك المجتمع ووحدته وقوته، مثل مبدأ المصلحة العامة، ومبدأ العدالة، ومبدأ المساوة، ومبدأ التكافل الاجتماعي والتضامن، ومبدأ التأخي والتالف والتواط والتراحم والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والتركيز على الروابط التي تعمل على تلاحم المجتمع المسلم وترابطه، مثل رابطة الدين واللغة والقيم والعادات، إضافة إلى الروابط التاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والسياسية.

وإكساب الفرد القدرة على التكيف مع القيم والعادات والتقاليد والأعراف والنظم السائدة في مجتمعه والتغيرات المرغوبة. وإكسابه القدرة على التعاون والعمل المتجدد، وتنمية المهارات والاتجاهات ونحو ذلك، مثل تقدير الوقت، واحترام العمل، والإخلاص فيه وإتقانه، والاتسام بروح التطور والإبداع إلى الأفضل، والإيمان بالتخطيط والترتيب والتنظيم إلى غير ذلك من الاتجاهات.

وإكساب الفرد الآداب الاجتماعية، مثل آداب الأكل والشرب، وآداب اللباس والزينة، وآداب التحية والسلام، وآداب الضيافة، وآداب الزيارة، وغير ذلك. وال Shawahed من الكتاب والسنة على تنمية الجانب الاجتماعي عديدة لا يتسع المجال

(١٩) ابن مسكونيه. تهذيب الأخلاق. مصدر سابق، ص ١٤٢.

(٢٠) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

لذكرها جيّعاً، نورد منها على سبيل المثال بعض العلاقات الاجتماعية التي تُعد تجسيداً حيّاً لتكوين الشخصية المسلمة، منها العلاقة بالوالدين، قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ رِبُكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١١١)</sup>، والعلاقة بالأولاد، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتِ يَرْضُعنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامْلَيْنِ لَمْنَ أَرَادَ أَنْ يَتَمَ الرَّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(١١٢)</sup>، والعلاقة بالزوج، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَرْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوْدَةً وَرَحْمَةً﴾<sup>(١١٣)</sup>، والعلاقة بالأقارب، قال تعالى: ﴿وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَى بَيْنِهِمْ﴾<sup>(١١٤)</sup>، والعلاقة بالجيران، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾<sup>(١١٥)</sup>، والعلاقة بال المسلمين عامة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَجُوا﴾<sup>(١١٦)</sup>، والعلاقة بالبشر عامة، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يَقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَلَمْ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(١١٧)</sup>. إلى غير ذلك من الشواهد في تنمية الجانب الاجتماعي.

### سادساً: الجانب النفسي (الوجداني)

#### ١ - مفهوم الجانب النفسي (الوجداني)

من الصعوبة بمكان الوصول إلى مفهومٍ شافٍ وكافٍ لهذا الجانب، لأن هذا الجانب يتكون من دوافع وعواطف وانفعالات، وكل مكون من هذه المكونات له عدد من التعاريف، يصعب في هذه العجلة السريعة الإلمام بها، ولكن يود الباحث أن يشير باختصار إلى بعض منها فيما يلي:

(١١١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(١١٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(١١٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

(١١٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(١١٥) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(١١٦) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(١١٧) سورة المتحنة، الآية: ٨.

(١) الدوافع: وهي كل ما يدفع الإنسان إلى القيام بسلوك معين، سواء كان هذا الدافع نابعاً من داخل الكائن أم من بيته. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن كلمة «داعف» تستخدم في الحياة الحياتية بمعانٍ أشمل وأوسع من معناها السيكولوجي الخاص، فتشمل بذلك الحاجات والحوافز والمثيرات والبواضث والعادات والأهداف... الخ<sup>(١١٨)</sup>.

(ب) العواطف: تعرف العاطفة بأنها «استعداد نفسي، ينزع بصاحبها إلى الشعور بانفعالات وجданية خاصة، والقيام بسلوك معين حيال شيء، أو شخص، أو جماعة، أو فكرة معينة، وفيها إذن انفعال وتصور وفعل، فهي لا تخلو من تصور واضح أو غامض، مصحوب بفعل محمود أو غير محمود»<sup>(١١٩)</sup>. كما تعرف العاطفة بأنها «اتجاه وجданى نحو موضوع بعينه مكتسبة بالخبرة والتعلم»<sup>(١٢٠)</sup>.

(ج) الانفعالات: يرى الكثير من الباحثين أنه من الصعوبة بمكان وضع تعريف محدد للانفعالات ولكن عوضاً عن ذلك، فإن الانفعالات يمكن فهمها ومعرفتها من خلال خصائصها والآثار المترتبة عليها، ومنها ما يلي:

- ١ - التغير المفاجئ الذي يشمل المظاهر الجسمية للفرد بكامله.
- ٢ - المظاهر التعبيرية الخارجية التي تبدو في الحركات والتغيرات والأوضاع الجسمية المختلفة.

٣ - الانفعال حالة شعورية يمكن الاستدلال على نواحيه الداخلية بالتأمل الباطني.  
٤ - قد يكون للانفعال مظهر عضوي داخلي كاضطراب التنفس وسرعة نبض القلب، وجفاف الفم، وتغيرات الدم، ونشاط عدد العرق وارتفاع عضلات الجسم<sup>(١٢١)</sup>. أما مفهوم النفس في القرآن الكريم، فقد وردت النفس في أكثر من موطن واستخدمت لعدة معانٍ، فتارة تدل على الإنسان بكامله أو الذات الإنسانية بعامة، فكل عمل يقوم به الإنسان من إيمان أو مجادلة أو خلاف ذلك يُعد نشاطاً كلياً للإنسان باعتباره

(١١٨) مصطفى فهمي. الدوافع النفسية. مصر، دار مصر للطباعة، دون تاريخ، ص ٣٢.

(١١٩) جيل صليبيا. المعجم الفلسفى. مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٤.

(١٢٠) مصطفى فهمي. الدوافع النفسية. مصدر سابق، ص ٩٧.

(١٢١) انظر: (١) مصطفى فهمي. الدوافع النفسية. ص ٨٢.

(ب) السيد خيري وأخرون. علم النفس التربوي. ص ٣٢.

وحدة جسمية ونفسية متكاملة لا تتجزأ، كما في قوله تعالى: «وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله»<sup>(١٢٢)</sup>، وقال تعالى: «يُوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتَوْفِي كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ»<sup>(١٢٣)</sup>.

وتارة أخرى يربط القرآن الكريم بعض المظاهر كالخوف والقلق والغضب، وما شابه ذلك بالنفس، قال تعالى: «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قَلَنَا لَا تَخْفِ إِنْكَ أَنْتَ الْأَعْلَى»<sup>(١٢٤)</sup>.

وتارة أخرى يبين أصناف النفس، فهناك النفس اللوامة، وهي الرقيب الداخلي، قال تعالى: «لَا أَقْسُمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسُمُ بِالنَّفْسِ الْلَّوَامَةِ»<sup>(١٢٥)</sup>. والنفس الملهمة، وهي التي تواجه العالم الخارجي وتتأثر به، قال تعالى: «وَنَفْسٌ وَمَا سَاوَاهَا فَأَهْلَمُهَا فَجُورُهَا وَقَوْمُهَا»<sup>(١٢٦)</sup>، والنفس الأمارة بالسوء، وهي التي توسوس بالسوء ومارسة بعض الأثام لأجل التمتع وللذلة العاجلة، قال تعالى: «وَمَا أَبْرَيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسوء»<sup>(١٢٧)</sup>.

وبدراسة المضامين التربوية في الكتاب والسنّة نجد لها تقر العديد من الدوافع النفسية والعواطف والانفعالات، كما يفهم من الآيات القرآنية السابق ذكرها.

## ٢ - أهمية الجانب النفسي في بناء الشخصية

يُعد هذا الجانب من الجوانب المهمة في تكوين شخصية الإنسان، لأن الشخصية السوية، هي التي تتسم بالاتزان في دوافعها وعواطفها ونزاعاتها، بل إن هذا الجانب من الجوانب التي تتصف بها الشخصية المسلمة، لقوله تعالى: «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ»<sup>(١٢٨)</sup>، وقال رسول الله، ﷺ: «لَيُسَسِ الشَّدِيدُ بِالصُّرُعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدَ الَّذِي يُمْلِكُ

(١٢٢) سورة يومن، الآية: ١٠٠.

(١٢٣) سورة النحل، الآية: ١١١.

(١٢٤) سورة طه، الآيات: ٦٧، ٦٨.

(١٢٥) سورة القيامة، الآيات: ١، ٢.

(١٢٦) سورة الشمس، الآيات: ٧، ٨.

(١٢٧) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(١٢٨) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

نفسه عند الغضب»<sup>(١٢٩)</sup>.

وتحاجة الفرد إلى الرعاية النفسية في وقتنا الحاضر أشد من أي وقت مضى ، لأن الحياة العصرية بتغيراتها السريعة والمتعددة في شتى المجالات سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وصحياً جعلت الفرد يعيش في حيرة وخوف شديدين ، وقد تؤدي الظروف المحيطة به إلى صراع يؤثر في نفسه ، وفي مواقفه واتجاهاته في الحياة ، وفي قدرته على الحركة والنشاط والعمل .

فالرعاية النفسية تجعل الفرد قادرًا على فهم نفسه، وهذا المبدأ من أقدم المبادئ التي نادت بها التربية القديمة «اعرف نفسك» ولا يزال هو شعار التربية الحديثة.

كما أن الرعاية النفسية تساعد الفرد على بناء التوجهات نفسية سليمة نحو نفسه ونحو الناس ونحو الحياة، وتفتح أبواب الأمل أمامه، وتجعله أكثر تكيفاً وسعادةً في حياته، وتبعد عنه شبح اليأس والقنوط.

وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تشير إلى أهمية هذا الجانب وأثره في تكوين الشخصية الإنسانية، وتهتم بتوجيه الوجهة الرشيدة، وسيشير الباحث إلى بعض من تلك الشواهد في الفقرة الآتية :

٣ - تحقيق نمو الجانب النفسي

هناك العديد من الأساليب والخطوات التي تسهم في تنمية الجانب النفسي ويود الباحث أن يوجز بعضًا منها في النقاط الآتية:

(١) تنمية الوازع الإيجابي: ما من تنمية جانب من جوانب شخصية الفرد في مجال التربية الإسلامية، إلا وكان الوازع الإيجابي أحد المركبات الأساسية التي تقوم عليها تنمية و التربية ذلك الجانب، فالإيجاب ينظم حياة الإنسان النفسية، ويوحد نوازعه وطاقاته، ويوجد الطمأنينة في النفس، ويحفظ الإنسان من الوقوع في الخطيئة، وبانصراف الفرد عن الخطيئة يكون في مأمن من العديد من الاضطرابات النفسية التي توصل إليها كثير من علماء النفس المحدثين، مؤكدين أن الإثم (الشعور بالخطيئة) يعتبر محور العصاب (الاضطراب النفسي)، وتوصلا إلى نظرية تعرف بـ«نظرية الخطيئة في العصاب»<sup>(١٣٠)</sup>، ويعود الشعور

١٢٩) مسلم. صحيح مسلم. ج ٨، ص ٣٠.

(١٣٠) مصطفى فهمي. الصحة النفسية. مصدر سابق، ص ٣٦٧.

بالخطيئة من أصعب الحالات النفسية التي تواجه الإنسان في حياته، وقد وصفها أحد الباحثين بأنها «تهدد أمنه وتجعله يعيش دوماً في دوامة من الخطر، ويعتبر هذا الشعور من أسوأ ما ابتليت به النفس البشرية»<sup>(١٣١)</sup>.

ويؤكد القرآن الكريم في أكثر من موطن فضل عقيدة التوحيد في تحقيق وحدة النفس الإنسانية، قال تعالى: ﴿ ضرَبَ اللَّهُ مثلاً رجلاً فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلْمًا لِرَجُلٍ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مثلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١٣٢)</sup>، فشبه الله النفس الموحدة لربها بالعبد الذي يملكه رجل واحد، تهداً نفسه وتستقيم حياته، لأنه يسير وفق توجيهات معينة ونظام واحد، وشبه المشرك بالعبد الذي يملكه عدة شركاء متشاركون، فهو قلق لا تهداً نفسه بسبب تعدد الأوامر والتوجيهات.

(ب) **تنمية الوازع الأخلاقي أو (الضمير الخلقي)**: فالوازع الخلقي يجنب صاحبه الوقوع في الرذيلة، فأعمال الفضائل من صدق وأمانة وإنسان واستقامة وتقوى وحفظ أعراض إلى غيره من فضائل الأخلاق تقود إلى الراحة النفسية وإلى الفلاح، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاسِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْلُّغُومِ مَعْرُضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِزَكَاتِهِ فَاعْلَمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفِرَوْجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتَ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾<sup>(١٣٣)</sup>.

(ج) **تنمية الوازع الاجتماعي**: إذا كانت عاطفة الحاسة الدينية والأخلاقية خير وسيلة للوصول بالمرء إلى حياة سعيدة، وخير وسيلة أيضاً لوقايتها من الانضرارات والحالات النفسية، فإن عاطفة حب الآخرين والاتصال بهم والتعايش معهم بسلام لها أثرها في ذلك أيضاً. كما أن المجتمع وما يحويه أيضاً من تقاليد ومعتقدات وعلوم وأذواق ونظم وقوانين، كل ذلك يؤثر على حالة الفرد النفسية، وقد نجد في قصة مريم ما يؤكد ذلك، فالحالة النفسية التي حلت بمريم وقفت الموت على الحياة، لم تكن بسبب خطيئة ارتكبتها وإنما بسبب خروجها عن العادة والعرف في مجتمعها، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتِنِي مِتْ قَبْلَ هَذَا وَكَنْتُ نَسِيَا مَنْسِيَا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزِنِي قَدْ

(١٣١) مصطفى فهمي . مصدر سابق، ص ٣٦٧.

(١٣٢) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(١٣٣) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ٧.

جعل ربك تحتك سرياً<sup>(١٣٤)</sup>.

كما أن المقاطعة الاجتماعية، وعزلة الفرد عن مجتمعه من أقوى الحالات النفسية آلاماً، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة عن حال الثلاثة المخلفين عندما قاطعهم رسول الله، ﷺ، وأصحابه، قال تعالى: «وَعَلَى الْمُلْكَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُوا أَن لَا مُلْجَأٌ مِّنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ».

(د) **تنمية البصيرة والحكمة**: من المعلوم أن الإنسان البصر والحكيم يستطيع أن يدرك الأمور بتعقل وروية ويتصرف تصرفًا حكيماً في معظم القضايا، بهذا يستطيع أن يضبط نفسه في الموقف المثيرة للانفعالات، فلا يندفع أو يتهرّب، وبالتالي يكون أكثر اتزاناً وهدوءاً وسعادةً. فتنمية الحكمة من الوسائل المهمة، والعوامل الدافعة إلى تكوين شخصية عاقلة يتفاعل صاحبها مع ما يتعلم من حقائق علمية ويندفع إلى تطبيقها في حياته العملية في المجالات المختلفة، ثم إنه لا يخضع في تفكيره وسيره وعمله لنزواته وشهواته<sup>(١٣٥)</sup>. والحكمة فيها الخير الكثير، ومصداق ذلك قوله تعالى: «وَمَنْ يَؤْتَ الْحَكْمَةَ فَقَدْ أُوفِيَ خِيرًا كَثِيرًا»<sup>(١٣٦)</sup>.

(هـ) **إشباع الحاجات الالزمة للفرد**: ينبغي أن تشبع حاجات الفرد الأولية المادية والنفسية وحاجاته الشخصية بالطرق المشروعة، لأنه إذا لم تشبع حاجات الفرد، عضوية كانت أم نفسية، فإنه يحاول أن يجد آلية وسيلة يشبع بها حاجاته، وقد تكون هذه الوسيلة غير خلقية، لا يقرها الدين والمجتمع، ومن هنا ينحرف الفرد أو يتجنح، فتختلط بذلك عملية التوافق<sup>(١٣٧)</sup>.

أما الحاجات الأساسية التي ينبغي مراعاتها، فقد أوجزها أحد الباحثين في حاجتين أساسيتين هما:

١ - **ال الحاجات الفسيولوجية**، مثل الحاجة إلى الهواء، والغذاء، والماء، ودرجة الحرارة المناسبة، والوقاية من الجروح، والأمراض، والسموم، والتوازن بين الراحة والنشاط.

(١٣٤) سورة مريم، الآياتان: ٢٣، ٢٤.

(١٣٥) مقداد بالجن. جوانب التربية الإسلامية. مصدر سابق، ص ٩٧ - ٩٨.

(١٣٦) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(١٣٧) مصطفى فهمي. الصحة النفسية. مصدر سابق، ص ٣٥ - ٣٦.

٢ - الحاجات النفسية الأساسية، مثل الحاجة إلى الأمان، وال الحاجة إلى الحب والمحبة، وال الحاجة إلى الرعاية الوالدية والتوجيه، وال الحاجة إلى إرضاء الكبار، وال الحاجة إلى إرضاء الأقران، وال الحاجة إلى التقدير الاجتماعي، وال الحاجة إلى الحرية والاستقلال، وال الحاجة إلى التحصيل والنجاح، وال الحاجة إلى مكانة واحترام الذات، وال الحاجة إلى اللعب<sup>(١٣٨)</sup>.

و بدراسة المضامين التربوية في الكتاب والسنة نجد أنها تقرّ العديد منها و تعرف بها، و تدعوا إلى إشباعها بالطرق المتزنة التي تكفل للشخصية الإنسانية حسن التنمية والتكتون، منها على سبيل المثال التوجيهات الصائبة حيال الحاجة إلى الأمان، في قوله تعالى: «من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»<sup>(١٣٩)</sup>. والتوجيهات الصائبة حيال الحاجة إلى الطعام والشراب والزينة، قال تعالى: «بابني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد وكلوا و اشربوا ولا تسرفو إنّه لا يحبّ المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطبيات من الرزق»<sup>(١٤٠)</sup>، والتوجيهات الصائبة حيال الحاجة إلى الحب والمحبة، قول رسول الله، ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(١٤١)</sup>، إلى غير ذلك من التوجيهات الصائبة التي لا يتسع المقام لذكرها فضلاً عن شرحها و تفسيرها.

#### سابعاً: الجانب الصحي (الجسمي)

##### ١ - مفهوم الجانب الصحي

إن من أبرز التعريفات العلمية الشاملة للصحة هو ما توصل إليه بعض خبراء الإدارة الصحية بـ هيئة الصحة العالمية، حيث عرّفوا الصحة العامة بأنها: «العلم والفن المادفان إلى صد غائلة المرض، والوقاية منه، ورفع مستوى الصحة والكفاية، نتيجة للمجهودات المنظمة لتحسين صحة البيئة، والتحكم في انتشار الأمراض المعدية، وتعليم الأفراد أصول

(١٣٨) حامد زهران. علم نفس النمو. ط٤، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧م، ص ٢٦٧ - ٢٧٠.

(١٣٩) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(١٤٠) سورة الأعراف، الآيات: ٣١، ٣٢.

(١٤١) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته. رقم الحديث (٥٧٢٥)، ج ٥، ص ٢٠١.

الصحة الشخصية، وتنظيم الخدمات الطبية، والتمريض لاكتشاف المرض في بوادره، والوقاية منه، وتنمية الجهاز الاجتماعي حتى يتمكن كل فرد من الارتقاء إلى مستوى معيشي باعث على الصحة، وحتى يمنحك كل مواطن حقوقه الطبيعية في الصحة وطول العمر<sup>(١٤٢)</sup>. والتأمل في تعاليم الإسلام يجد عرضاً واضحاً لما يعنيه مفهوم الصحة، فهناك التعاليم الواضحة حيال نظافة الجسد وغذائه، ووقايته وعلاجه من الأمراض، وراحته وتدربياته الرياضية، ومراحل نموه، وخشية من التكرار سيعمد الباحث إلى تقديم الشواهد في فقرة لاحقة.

ومفهوم الصحة في الإسلام لا يقتصر على الصحة الجسمية وحدها فحسب، بل يشمل الصحة النفسية والعقلية، لأن كل جانب له تأثيره على الجوانب الأخرى، فالصحة النفسية مثلاً تؤثر على الصحة الجسمية والعقلية، وقد أظهرت بعض البحوث التجريبية: «أن نصف الذين يشكون من مختلف الأمراض بصورة عامة - في أقل تقدير - يعانون من الأمراض النفسية بل ويمكن القول بأن ثلاثة أرباع المرضى في عصرنا الحاضر تنشأ أمراضهم من العلل النفسية»<sup>(١٤٣)</sup>. ولهذا فمن الصعب بمكان فصل الصحة النفسية عن الصحة الجسمية.

## ٢ - أهمية الجانب الصحي في بناء الشخصية

للجانب الصحي أهمية بالغة في بناء الشخصية المسلمة، لأنها هي الدعامة الأولى في الشعور بالرضا والسعادة في حياة الناشيء، ولأنها هي التي تمده بالقدرة والطاقة للقيام بأعماله ومناشطه في الحياة، وهي من العوامل الرئيسة في تنمية القدرات العقلية، وذلك باعتبار أن العقل السليم في الجسم السليم، كما أنها من العوامل المهمة في زيادة كفاءة الفرد الخلقية والاجتماعية والتعبدية، وفي عمارة الأرض، وترقية الحياة وتنميتها. فالصحة تكاد تكون أهم شيء في حياة الإنسان، ذلك أنه بغيرها لا يستطيع تحقيق تجسيد آماله فيها.

(١٤٢) يحيى حامد هدام، وآخرون. أساسيات الصحة المدرسية. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٤، ص ٩.

(١٤٣) عبد الرزاق الشهري سطاني. أسس الصحة الحياتية. العراق، مطبعة الأدب، ١٩٧١، ص ٢٩٧ -

وبالمقابل فضعف القدرة الجسدية يؤدي إلى أضرار عديدة، فهو يؤدي إلى انخفاض القدرة على أداء العمل، والعبادة، والتفكير... الخ، وبالجملة فإنه يؤدي إلى انخفاض كافة جوانب الشخصية وتقويتها.

وقد أشار الإسلام بالقوة الجسدية، واعتبرها من الصفات التي يمتلك بها الإنسان، وقدرها على بعض الفضائل، كما في قوله تعالى: «إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَتِ الْقُوَىٰ إِلَّا الْأَمْيَانُ»<sup>(١٤٤)</sup>.

وقال رسول الله، ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»<sup>(١٤٥)</sup>، وإن كان المراد في الآية الكريمة والحديث الشريف القوة الشخصية، فإن القوة الجسمية من عوامل القوة الشخصية إذ المعتل صحياً لا يقوى على أداء الواجبات ومواجهة المشكلات. وللمح ذلك واضحاً في حديثه، ﷺ، عندما قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»<sup>(١٤٦)</sup>.

### ٣ - تحقيق نمو الجانب الصحي

ويتم ذلك عن طريق تزوييد الفرد بالأغذية الالازمة لنمو جسمه، وقد بين العلم الحديث أنواع تلك الأغذية، وأهمية كل نوع في بناء صحة الإنسان والمتأمل في تعاليم الإسلام وقواعد العامة في الطعام والشراب، يجد أنه أحل ما فيه نفع للناس، وحرّم ما كان فيه ضرر، أو خبث طعمه أو ريحه، وقاية لصحتهم، كما في قوله تعالى: «وَيَخْلُلُهُمُ الطَّيَّبَاتُ وَيَحْرُمُهُمُ الْخَبَاثَ»<sup>(١٤٧)</sup>. وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موطن إلى بعض الأطعمة الضارة.

وبجانب تزويد الفرد بالغذاء اللازم، ينبغي مراعاة التوازن والاعتدال والتنوع في كمية الطعام، وهذا ما ذهب إليه العلم الحديث من أن الأضرار الصحية لا تتوقف عند حد نقص كمية الغذاء فحسب، بل إن الغذاء الفائض يضر بالصحة أيضاً، وقد أشار الإسلام إلى هذه القاعدة الصحية، كما في قول رسول الله، ﷺ: «مَا مَلَأَ آدَمِي وَعَاءً شَرًّا مِّنْ بَطْنِهِ».

(١٤٤) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(١٤٥) مسلم. صحيح مسلم. كتاب القدر، بيروت، دار الفكر، د.ت. ، ج ٨، ص ٥٦.

(١٤٦) البخاري. صحيح البخاري. مصدر سابق، كتاب الرفاق، ج ٧، ص ١٧٠.

(١٤٧) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»<sup>(١٤٨)</sup>

كما اهتم الإسلام بإكساب الفرد قواعد النظافة والطهارة في شتى مجالاتها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن والبيئة الخارجية، ولأهمية هذا الجانب في صحة الإنسان وحياته، فقد جعل الرسول ﷺ، النظافة نصف الإيمان إعلاءً ل شأنها، وتأكيداً لأهميتها، حيث قال ﷺ: «الظهور شطر الإيمان»<sup>(١٤٩)</sup>.

وأخيراً يجب العمل على وقاية الفرد من أسباب الأمراض الجسمية والنفسية وعلاجها، كما ينبغي توعية الفرد وتثقيفه بالأمراض الخطيرة، وطريقة الوقاية منها، مثل: مرض فقدان المناعة المكتسبة (الإيدز)، وهو من الأمراض العصرية الحديثة، وقد أدخل العرب في كثير من الأقطار نظراً خطورته البالغة. وتوعية الفرد وتثقيفه بأضرار المخدرات جسمياً ونفسياً وعقلياً، إضافة إلى أضرارها الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، لأنها أصبحت من أكثر المشكلات التي تواجه العالم، والذي يزيد الأمر تعقيداً انتشارها واستخدامها بصورة خفية أو ظاهرة، وتتنوع أشكالها وألوانها وتركيبتها وسمياتها. كما ينبغي توجيه الفرد إلى مزاولة التمارين الجسدية في ضوء القيم الإسلامية، وتوجيهه أيضاً إلى مجالات استخدام الصحة حسب القيم الإسلامية.

### خلاصة البحث

من خلال الدراسة السابقة يمكن حصر أهم الأفكار التي تمت مناقشتها في البحث في النقاط الآتية:

- ١ - أوضحت هذه الدراسة أن أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم هي: الجانب الإيماني، والجانب الروحي، والجانب العقلي، والجانب الأخلاقي، والجانب الاجتماعي، والجانب النفسي، والجانب الصحي. وعلى الرغم من أن هذه الجوانب هي

(١٤٨) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مصدر سابق، رقم الحديث (٥٥٥٠)، ج ٥، ص ١٥٥.

(١٤٩) مسلم. صحيح مسلم. مصدر سابق، كتاب الطهارة، ج ١، ص ١٤٠.

الجوانب الأساسية لمكونات الشخصية المسلمة، إلا أنه في الوقت نفسه يمكن أن يشمل كل جانب عدداً من الجوانب الفرعية.

٢ - إن هذه الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم، وإن كانت تشارك مع غيرها من مكونات الشخصية الأخرى في سمات وملامح مشتركة، إلا أنها أيضاً تختلف عنها سواها، فقد تتفق معها في الشكل ولكنها تختلف عنها في المضمون. فإذا أخذنا الجانب الأخلاقي على سبيل المثال، فإننا نجد أن مفهوم الأخلاق في الإسلام مختلف عن مفهوم الأخلاق لدى الفلسفات الأخرى، وما يُقال عن هذا الجانب يمكن أن يُقال عن بقية الجوانب الأخرى.

٣ - إن نمو أي جانب من الجوانب التي توصلت إليها الدراسة لا يتم بمعزل عن الجوانب الأخرى، بل هو متداخل معها، ومرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، ويؤثر فيها ويتأثر بها، وأن أي انخفاض في أحدها يؤدي إلى انخفاض مختلف جوانب الشخصية وتكونيتها.

٤ - إن أي جانب من الجوانب التي توصلت إليها الدراسة مفطور عليه الإنسان، أي إن الإنسان يولد وهو مزود باستعداد أو نزعة تدفع به إلى تحقيق ذلك الجانب، وهذا الاستعداد أو هذه النزعة تنمو شيئاً فشيئاً على طريق الهدایة والصلاح، أو على طريق الصلاة والانحراف، وذلك حسب ما يتلقاه الفرد من تربية وتوجيه خارجي؛ أي إنها لا تنمو بمفردها بل هي بحاجة إلى معونة خارجية.

٥ - إن كل جانب من الجوانب التي توصلت إليها الدراسة لها أساليبها وطرقها التربوية الخاصة حيال توجيهها وتنميتها ورعايتها في ضوء تعاليم الإسلام.

### توصيات البحث

في ضوء هذه الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

١ - على المؤسسات التعليمية جميعها أن تهتم ب التربية الناشيء تربية شاملة لجميع جوانب الشخصية الإيمانية والروحية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية والصحية، وأن تنظر إلى شخصية الناشيء على أنها وحدة متكاملة، حيث يرى الباحث أن معظم مؤسساتنا التعليمية لم تعط كل جانب من جوانب الشخصية ما يستحقه من التوجيه والتربية، ويدرجة متساوية من الأهمية. فنجدها تهتم بالجانب العقلي أكثر من أي جانب آخر، وقد تبني ذلك الجانب على حساب الجوانب الأخرى، وقد لا تكون تربية ذلك

الجانب على الوجه السليم، إذ أنها تهتم بدرجة كبيرة بنقل المعارف والمعلومات التي يحويها الكتاب المدرسي إلى أذهان التلاميذ، وهذا الأسلوب أدى إلى جعل الأعداد الهائلة التي خرجتها مؤسساتنا التعليمية ذات شخصية ناقصة، لا تلبى طموحات الأمة الإسلامية وأمالها، وستظل المشكلة قائمة طالما بقيت المؤسسات التعليمية على هذه الحالة.

٢ - على مؤسسات إعداد المعلمين أن تزود خريجيها بالأساليب والمهارات التي تساعدهم في تحقيق نمو الجوانب المكونة للشخصية من منظور إسلامي ، وأن تكون تلك المهارات والأساليب قابلة للتطبيق .

٣ - إن موضوع هذه الدراسة لم يهدف إلى معالجة وتوضيح كافة المهارات والأساليب التي ينبغي على المربi المسلم اتباعها في تنمية جوانب الشخصية ، ولذلك فإن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة متخصصة تتناول كل جانب من جوانب الشخصية على حدة ، وتحدد فيه الأساليب والمهارات الالزمة لتنميته ، وكذلك تحدد بعض الجوانب الفرعية لتكوينه .

وفي الختام أرجو من العلي القدير أن نرى التماذج من شخصيات أسلافنا الأوائل من بين خريجي مؤسساتنا التعليمية ، والحمد لله رب العالمين .

### مصادر البحث

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - البخاري . صحيح البخاري . تركيا ، استنبول : المكتبة الإسلامية ، ١٩٨١ م .
- ٣ - ابن تيمية . مجموع فتاوى أحمد بن تيمية . إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين .
- ٤ - جار الله القاسم الرمخشري . أساس البلاغة . بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ هـ .
- ٥ - جان جاك روسو . إميل . (ترجمة نظمي لوقا) ، القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨ م .
- ٦ - جميل صليبا . المعجم الفلسفى . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣ م .
- ٧ - حامد عبد السلام زهران . علم نفس النمو . ط٤ ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٧ م .
- ٨ - ابن حجر العسقلاني . فتح الباري . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، د. ت .
- ٩ - ابن حنبل . مستند الإمام أحمد بن حنبل . بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، د. ت .
- ١٠ - ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، د. ت .
- ١١ - ديول بولد ب فان دالين . مناهج البحث في التربية وعلم النفس . (ترجمة محمد نوبل) القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧ م .

- ١٢- سعيد حوى. تربيتنا الروحية. بيروت: دار الكتب العربية، ١٣٩٩هـ.
- ١٣- سيد محمد غنيم. سيميولوجية الشخصية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.
- ١٤- صالح عبدالعزيز. التربية وطرق التدريس. ط٧، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٣٩١هـ.
- ١٥- عباس محمود العقاد. الله، كتاب في نشأة العقيدة. ط٣، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م.
- ١٦- عباس محمود العقاد. الفلسفة القرآنية. ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م.
- ١٧- عبد الرحمن النحلاوي. أصول التربية الإسلامية وأساليبها. دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ١٨- عبدالكريم العثمان. الدراسات النفسية عند المسلمين. ط٢، القاهرة: دار غريب للطباعة، ١٤٠١هـ.
- ١٩- عمر الشيباني. تطور النظريات والأفكار التربوية. ط٢، ليبيا: الدار العربية للكتاب، ١٣٩٧هـ.
- ٢٠- الإمام الغزالي. إحياء علوم الدين. القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٩م.
- ٢١- الفخر الرازи. التفسير الكبير. القاهرة: المطبعة البهية المصرية، ١٩٣٣م.
- ٢٢- ابن القيم. الروح. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ.
- ٢٣- ابن القيم. تهذيب مدارج السالكين. ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.
- ٢٤- كانت. كتاب التربية. (ترجمة طنطاوي جوهري)، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٥هـ.
- ٢٥- مجموعة من العلماء، الله يتوجل في عصر العلم. (ترجمة الدمرداش سرحان)، ط٢، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧١م.
- ٢٦- محمد أمين المصري. لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغايتها. ط٤، القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
- ٢٧- محمد عبدالله دراز. دستور الأخلاق في القرآن. (تعريب عبدالصبور شاهين)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.
- ٢٨- محمد قطب. منهج التربية الإسلامية. ط٤، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٠هـ.
- ٢٩- محمد قطب. دراسات في النفس الإنسانية. ط٥، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠١هـ.
- ٣٠- محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزياته. ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ٣١- ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق. بيروت: مكتبة الحياة، د.ت.
- ٣٢- مسلم. صحيح مسلم. القاهرة: المطبعة المصرية، ١٣٤٩هـ.
- ٣٣- مصطفى فهمي. الصحة النفسية. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٦م.
- ٣٤- مصطفى فهمي. الدوافع النفسية. القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٧٦م.
- ٣٥- مقدار يالجن. التربية الأخلاقية الإسلامية. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٧هـ.

- ٣٦- مقداد يالجن. جوانب التربية الإسلامية الأساسية. بيروت: مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ.
- ٣٧- وليم مكدوجل. الأخلاق والسلوك في الحياة. (ترجمة جبران إبراهيم)، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦١م.
- ٣٨- يحيى حامد هذام، آخرون. أساسيات الصحة المدرسية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٤م.

## تأصيل المقررات الدراسية في علم النفس

د. صالح بن إبراهيم الصنيع

قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

### ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى استخلاص أهم المثلثات المنشورة في ثانياً نظريات علم النفس الغربي، وتوضيح أهم المثلثات العامة في التأصيل الإسلامي لعلم النفس كبدائل يعتمد عليها عالم النفس المسلم في دراسته للظواهر النفسية. كما تهدف إلى تقديم أسلوب مقترن لمعالجة مفردات مقررات علم النفس (علم النفس التربوي) لحث الأساتذة على القيام بتأصيل المقررات التي يقومون بتدریسها حالياً.

أووصت الدراسة إلى ما يلي:

- ١ - أن يضع كل أستاذ في علم النفس في ذهنه بطريقة واعية مسلمات علم النفس الغربي، لأن البعض قد يعرض بعضها بطريقة لا تجعله يشعر بغربتها عن دينه وعقيدته.
- ٢ - أن يراجع مفردات المقررات الدراسية التي يقوم بتدریسها، ثم يعيد صياغتها ومعالجتها وفق تصور إسلامي صحيح.
- ٣ - أن يراعي عند استخدامه للمراجع الأجنبية أو المترجمة عنها، بحيث يقرأها بطريقة واعية ناقدة لا تسلم بكل ما يرد بها دون تحريض وتقدير.
- ٤ - أن طرح محتويات المقررات الدراسية داخل الأقسام للمناقشة مع المهتمين بموضوع التأصيل.
- ٥ - الاستفادة من رسائل الماجستير والدكتوراه بالأقسام الخاصة بموضوع التأصيل.

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد ..

يعتبر موضوع التأصيل الإسلامي للعلوم بشكل عام والعلوم الإنسانية بشكل خاص، من المهام العظيمة الملقاة على كواهل العلماء والباحثين المتخصصين في هذه

المجالات، كل في مجال تخصصه، ولقد ظهر خلال الثلاثين سنة الأخيرة دعوات من المتخصصين في هذه العلوم لتأصيلها إسلامياً، وربطها بالجذور الإسلامية المثبتة في آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول، ﷺ، بالإضافة إلى ما كتبه علماء المسلمين الأوائل في موضوعات يمكن الاستفادة منها في تخصصاتنا المعاصرة.

ومن أوائل من دعا إلى تأصيل علم النفس؛ ولكن تحت مسمى آخر هو: أحمد فؤاد الأهواوي، (عندما كتب مقدمة لكتاب الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص لعبدالكريم العثمان عام ١٩٦٢م). وفيه يقدم الأهواوي هذا المفهوم على أنه تطبيق لعلم النفس الديني، حيث يرى أنه ما دام النصارى والبوذيون يدرسوه أديانهم تحت مسمى علم النفس النصراوي وعلم النفس البوذي فيما الذي يمنع أن يكون عندنا علم نفس إسلامي «ما دمنا قد أفسحنا المجال لدراسة الطواهر الدينية نفسانياً، فلا غرابة أن نقول بوجود علم نفس إسلامي، كما نقول بوجود علم نفس بوذى أو نصراني، لاختلف خصائص كل دين من هذه الأديان»<sup>(١)</sup>.

واستخدام المفهوم بهذا المعنى؛ لم يعد قائماً الآن؛ إلا أنه ورد هنا للإشارة التاريخية للبدايات الحادة لطرق هذا المفهوم، وتتوالت بعد ذلك الكتابات التي تدعو العلماء المسلمين إلى التخلص من التبعية الغربية ومحاولة الاستفادة بما لدى المسلمين من ثروة داخل دينهم الإسلامي الخالد، يقول محمد المبارك، ناعياً على المترددين في المشاركة في جهود التأصيل: «إن السبب في اعتقادي هو انغماسهم في التقليد والتبعية وعدم قدرتهم عن التحرر منها ومن الواقع تحت تأثير الدراسات الغربية والخروج منها إلى الذاتية والشخصية المستقلة. القضية واضحة وبسيطة: ذلك أن لكل مذهب من المذاهب التي ذكرناها فلسفة للوجود؛ أي نظرة أو تصور عام للوجود خاص بها المذهب يدافع عنها، أو ليس للإسلام نظرة وتصور عام للوجود عبر عنها القرآن الكريم بوضوح، وهي نظرة متميزة دقيقة أشمل وأكثر استيعاباً من جميع النظريات الأخرى، وهو من سلطان الحجة في الدفاع عنها ما يجعلها متفوقة على جميع النظريات الأخرى»<sup>(٢)</sup>.

(١) العثمان (١٤٠١هـ)، ص ٥.

(٢) المبارك (١٤٠٧هـ)، ص ٢٢.

وبدأ الاهتمام يتزايد بموضوع التأصيل وعقدت ندوة في جامعة الرياض (جامعة الملك سعود)، بعنوان علم النفس والإسلام في الفترة من ١٢ - ١٦ / ١٣٩٨ هـ، قدمت فيها العديد من البحوث والدراسات في مجالات متعددة أهمها ما يلي:

- ١ - علم النفس في القرآن والحديث.
- ٢ - علم النفس بين العلم الغربي والإسلام.
- ٣ - الأعمال النفسية للمفكرين المسلمين.

قدم فيها اثنين عشر دراسة احتواها المجلد الأول الصادر عن الندوة. وظهر في عدد من المجلات بحوث حول التأصيل الإسلامي لعلم النفس، لعل من أشهرها مجلة المسلم المعاصر بدءاً من عددها الرابع الصادر في شوال ١٣٩٥ هـ، حيث نشرت دراسة بعنوان بعد الاجتماعي في مواقف الرسول، ﷺ، لعماد الدين خليل، واستمر هذا النشر في أعداد متفرقة إلى العدد الأخير، وقت كتابة هذه الدراسة، وهو العدد الثالث والستون (رجب ١٤١٢ هـ) وفيه ثلاثة أبحاث ذات علاقة بالتأصيل الإسلامي هي مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لـ إبراهيم عبد الرحمن رجب، وأهداف المدارس الإسلامية لـ سعيد إسماعيل علي، ونحو وجهة إسلامية لعلم النفس لـ فؤاد أبو حطب.

كما اهتم بالموضوع العديد من الجمعيات مثل جمعية علماء الاجتماع المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية، التي يُلقى في مؤتمرها السنوي العديد من البحوث، حول موضوعات التأصيل للعلوم الاجتماعية، كما تنشر مجلتها ربع السنوية بحوثاً في هذا المجال. وكما أسهمت الجامعات في الاهتمام بهذه الموضوعات حيث يُدرس في جامعتي الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك سعود في قسمي علم النفس مقرران أحدهما حول التراث النفسي لدى علماء المسلمين والأخر حول التوجيه الإسلامي لعلم النفس، وعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ندوة شارك فيها أساتذتها في المقر الرئيس والأساتذة من فروع الجامعة حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية في الفترة من ٥ - ٦ / ١٤٠٧ هـ، قدم فيها العديد من الدراسات وأوراق العمل التي تناولت موضوعات التأصيل في التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع، وكان من نتائجها؛ إنشاء اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية داخل عمادة البحث العلمي في الجامعة، وشكّلت من الأساتذة المهتمين بالإضافة إلى أحد أساتذة كلية الشريعة. ومع بداية القرن الخامس

عشر الهجري ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية صرح علمي جديد هو المعهد العلمي لل الفكر الإسلامي ، الذي أنشأه عام ١٤٠١هـ ، وأسس للعمل من أجل تجسيد جهود العلماء والمثقفين المسلمين لإعادة صياغة مناهج الفكر الإسلامي المعاصر في مجال العلوم والدراسات الإنسانية والاجتماعية ، ليعمل على استعادة الأمة لعافيتها ودورها الحضاري الخير الرائد ، مهتمة برسالتها الإسلامية الخالدة (يرد هذا النص في غلاف كل مطبوعة من مطبوعات المعهد) .

وبالفعل عقد المعهد العديد من المؤتمرات العالمية في الباكستان ومالزيا والسودان وغيرها ، حول العديد من الموضوعات المهمة في التأصيل ، كما عقد ندوات متخصصة في علم النفس والخدمة الاجتماعية في القاهرة ، ساهم فيها العديد من الباحثين ، ونشر العديد من الكتب والرسائل الجامعية في هذا المجال ، وتبني العديد من المجلات مثل : مجلة المسلم المعاصر (التي سبق الحديث عنها) والمجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية الصادرة عن جمعية علماء الاجتماع المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية . وأخيراً جاء مولد الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية عام ١٤٠٦هـ ، لتكون المظلة التي نصت أهدافها على السعي إلى التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس ، وكان توقيع ذلك أن جعل اللقاء السنوي الخامس عن التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس ، وهو قرار للجمعية العمومية مما يعكس اهتماماً واسعاً بين المختصين بهذا الموضوع .

ولذا جاءت هذه الدراسة كنوع من المساهمة من الباحث لطرح أسلوب مقترن يمكن الاستعانة به في التعامل مع محتوى المقررات الدراسية الموجودة الآن في أقسام علم النفس بهدف تأصيلها إسلامياً ، وذلك كمرحلة يجب أن تتلوها إعادة لبناء المقررات وفق تصورات جديدة حسب الأهداف والمحتويات التي يجب طرحها ومناقشتها من قبل المهتمين بهذا الموضوع للخروج بما يجب أن تكون عليه هذه المقررات الدراسية .

### أهمية الدراسة

تبعد أهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي تدرسه؛ حيث إن واجب تأصيل المقررات الدراسية في أقسام علم النفس من أهم ما يجب أن يشغل أذهان المختصين في هذا المجال ، حتى يبدأ السير في الطريق الذي يخلص، هذا العلم من التبعية المقلدة لكل ما

يرد من المجتمعات الغربية دون تمحیص أو تدقیق، فيما يحمله من أفکار وآراء تختلف العدید من مسلمات العقيدة الإلٰسالمية، التي يدين بها المسلمين أستاذة ومتعلمین ومجتمعات، ويطبق فيها نتائج ما ينقل من تلك المجتمعات، وقد نبه أحد رواد علم النفس المسلمين لهذا الخطأ عندما قال: «إن علم النفس وجميع العلوم الإنسانية الأخرى، التي تدرس في جامعات البلاد الإلٰسالمية، هي علوم غريبة في فلسفتها ووجهتها، وأسس نظرياتها علماء غربيون غير مسلمين، على أساس نتائج بحوث ودراسات أجريت في المجتمعات الغربية غير مسلمة، لها أساليبها الخاصة في الحياة والتفكير، ولها فلسفتها الخاصة في طبيعة الحياة، وفي طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة وغايتها منها، ولها معاييرها الخاصة في دور الدين في حياة الإنسان»<sup>(٣)</sup>.

ولذا تحاول هذه الدراسة أن تطرح أسلوبًا قد يعين الأستاذة في الجامعات العاملين في أقسام علم النفس، لتأصيل المقررات التي يقومون بتدريسيها حالياً.

### مشكلة الدراسة

تعتبر المقررات الدراسية في الأقسام العلمية هي الركيزة الرئيسة في البناء العلمي للطالب، وتعكس محتوياتها شخصية الطالب المستقبلية، فقدر ما فيها من تميز واستقلالية، بقدر ما تكون حصيلة الطالب العلمية متميزة ومستقلة وقدرة على التفاعل الإيجابي مع مصادر العلم المختلفة، ومن ثم التأثير في المجتمع بطريقة إيجابية ببناء تأخذ في الاعتبار خصائص هذا المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات. ولكن الناظر في مقررات علم النفس في العلم الإلٰسالمي كله، يجد عدم الاهتمام بموضوع التميز والاستقلالية، بل يجد التبعية والتقليد، حيث إن محتويات هذه المقررات إما غارقة أو غارقة في علم النفس الغربي، وهذا الوضع يؤكّد ضرورة الاهتمام بموضوع التأصيل الإلٰسالمي لمحتويات مقررات علم النفس، وقد أكّد على هذا المعنى محمد عثمان نجاتي عندما قال: «من الضروري القيام بالتأصيل الإلٰسالمي لعلم النفس وإعادة النظر في مقررات علم النفس التي تدرس الآن في جامعاتنا الإلٰسالمية، وإخضاعها للتحليل النقدي الدقيق لمعرفة مدى اتفاق أو اختلاف موضعاتها، ومفاهيمها، ونظرياتها مع مبادئ الإسلام، فيما كان منها مخالفًا أو معارضًا

(٣) نجاتي (١٤١٠هـ)، ص ٣٧٢.

لمبادئ الإسلام، وجب تعديله وتغييره، أو حذفه، وما كان موافقاً لمبادئ الإسلام أو غير متعارض معها؛ أبقينا عليه).<sup>(٤)</sup>

وإيضاً المشكّلة بشكل أكبر؛ نأخذ مثلاً لقسمين من أكبر أقسام علم النفس في الجامعات السعودية هما: قسم علم النفس بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والأخر قسم علم النفس بكلية التربية، جامعة الملك سعود<sup>(٥)</sup>. فمن خلال النظر في دليل كل قسم من هذين القسمين؛ نجد أن قسم علم النفس بكلية العلوم الاجتماعية يُدرّس فيه مقرّران لكل منها أربع ساعات لها علاقة بالتأصيل، وهو التراث النفسي عند علماء المسلمين، ومقرر التوجيه الإسلامي لعلم النفس، ولكن عندما نقسيهما بمجموع المقرّرات الدراسية للمرحلة الجامعية وعددها ٤١ مقرّراً، نجد أن نسبة هذين المقرّرين هي ٥٪، كذلك لو أردنا أن نعرف نسبة مجموع ساعات هذين المقرّرين إلى المجموع الكلي لساعات التخرج (١٨٧/٨=٠٤)، لوجدنا أن النسبة ٤٪، أما في قسم علم النفس بكلية التربية؛ فإن عدد المقرّرات هما إثنان، لكل واحد ساعتان، وهو تاریخ الدراسات النفسية عند علماء المسلمين ومقرر التفسير الإسلامي للسلوك، ويمثلان نسبة ٦٪ من مجموع المقرّرات الدراسية للمرحلة الجامعية، أما المقارنة لعدد ساعاتها بالمجموع الكلي لساعات التخرج فإن النسبة هي (٤/٢٨=٠٣٪).<sup>(٦)</sup>

(٤) المرجع السابق، ص ٣٧٨.

(٥) يعتبر القسمان أكبر الأقسام في الجامعات السعودية لأنهما يضمّان أكبر الأعداد في المجالات كافة، وبالتالي لأعضاء هيئة التدريس، فقسم علم النفس بكلية العلوم الاجتماعية فيه ٥٥ عضواً (ما بين أستاذ ومحاضر ومعيد ومبعث)، وبعده يأتي قسم علم النفس بكلية العلوم الاجتماعية حيث يضم ٢٥ عضواً، أما الأقسام الأخرى مثل قسم علم النفس بكلية التربية بجامعة أم القرى فلا يصل إلى هذا العدد (٢٢ عضواً) وكذلك قسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك عبد العزيز فرع المدينة المنورة فلا يصل إلى هذه الأعداد، انظر دراسة للباحث بعنوان برامج الماجستير والدكتوراه في أقسام علم النفس بالجامعات السعودية (غير منشورة).

(٦) دليل قسم علم النفس، قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة الإمام، ١٤٠٧هـ، ص ١٧ - ١٤.

- دليل توصيف مقرّرات علم النفس لمرحلة البكالوريوس، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٠٧هـ، ص ٧.

من خلال هذه المعلومات يتبيّن لنا ضآلة عدد المقررات المهمة بالتأصيل، قياساً بإجمالي عدد المقررات وكذلك ضآلة عدد ساعاتها إلى إجمالي عدد ساعات التخرج في هذين القسمين، ومن هنا تبدو الحاجة ماسة لإعادة النظر في المقررات الدراسية في أقسام علم النفس والسعى الجاد لتأصيلها تأصيلاً إسلامياً، يظهر بوضوح في مفردات المقررات الدراسية التي يدرسها الطالب، خلال مدة دراسته في الجامعة، حتى نبني جيلاً متميزاً بما يقدمه له دينه ومستقلاً عن التبعية العميماء للآخرين الذين يسعون لتحقيق أهداف تختلف عن أهداف الباحث المسلم المعزز بدينه وعقيدته والمطبق لها في كافة جوانبها.

### **أهداف الدراسة**

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١ - استخلاص أهم المسلمات العامة المثبتة في ثانياً نظريات علم النفس الغربي.
- ٢ - استخلاص أهم المسلمات العامة في التأصيل الإسلامي لعلم النفس كبدائل يعتمد عليها عالم النفس المسلم، في دراسته للظواهر النفسية.
- ٣ - تقديم أسلوب مقترن لمعالجة مفردات أحد مقررات علم النفس (علم النفس التربوي) لـث الأساتذة للقيام بتأصيل المقررات التي يقومون بتدريسها حالياً، على أنه حل مرحلٍ، إلى أن تتوافر البديل للمحتويات الحالية.

يضاف إلى هذه الأهداف؛ هدف عام هو إثارة اهتمام المتخصصين في علم النفس لإعادة النظر في المادة العلمية التي يقدمونها لطلابهم بحيث يتم فحصها بشكل جيد، حتى لا تتعارض مع ما لدى الطلاب من مبادئ إسلامية تعلموها في مختلف المراحل الدراسية التي سبقت دراستهم الجامعية.

### **أهم المسلمات العامة في علم النفس الغربي**

ليس هناك اتفاق بين علماء النفس الغربيين على مسلمات يوافق عليها الجميع، بل إن كل أصحاب نظرية من نظريات علم النفس يطرحون مجموعة من المسلمات ويررون أنه لابد من التسليم بها، ونظراً لوجود عدم الاتفاق هذا، فإننا سنلجم إلى استخلاص أهم المسلمات العامة الموجودة عند بعض أو معظم النظريات الغربية، وسيكون الاعتماد غالباً على مقولات علماء وأنصار هذه النظريات عند إبراد أي مسلمة من مسلماتهم العامة:

### أولاً: الإنسان كائن متطور عن الحيوان

هذه المسلمة شائعة بين النظريات الغربية. وتعود في أصلها إلى ما طرحته تشارلز داروين في كتابه *أصل الأنواع* الصادر عام ١٨٥٩م، وفيه يذكر أن الحياة أول ما ظهرت كانت على صورة خلية واحدة ثم تطورت بشكل متدرج للكائنات إلى أن وصل التطور إلى الإنسان وقدم رسماً لشجرة الأحياء كما يسمىها انظر شكل رقم (١).

ويقول: «إن الإنسان الحديث قد عمر الأرض منذ أزمان عريقة في القدم، حتى يتدرج في التطور إلى الصورة البشرية، منحدراً عن أسلافه من الكائنات المشابهة للقرود... الواقع أن أوائل البشر لم يكونوا على صورة الإنسان الحالي، بل كانوا أكثر مشابهة للقردة العليا كالغرلى والشمزي والأرطان منهم للإنسان الحديث»<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد فرويد كون الإنسان متطوراً عن غيره فيقول في كتابه: «معالم التحليل النفسي» في الحديث عن غريزتي الحياة والموت (المدم): «إن المهدف النهائي لغريزة المدم هو إعادة الكائنات الحية إلى حالة غير عضوية... أن الكائنات الحية ظهرت بعد الكائنات غير الحية وأنها نشأت منها»<sup>(٣)</sup>.

وفي موضوع آخر من الكتاب يتحدث عن التعديلات التي طرأت على الحياة الجنسية للحيوان وكونها من الأمور المهمة في تطور الحيوان ليصبح إنساناً، وإن كان هناك ثغرات فليس المسئول عنها علم النفس بل علم البيولوجيا «ولابد أنه كانت هذه التعديلات الجديدة التي طرأت على الحياة الجنسية أهمية كبيرة في تطور الحيوان نحو الإنسانية... وليس علم النفس هو المسئول عن الثغرة الموجودة في نظرتنا، بل إن علم البيولوجيا هو المسئول»<sup>(٤)</sup>. ويؤكد هذا الاتجاه عالم التحليل النفسي إريك فروم حيث يقول: «الإنسان في أصله حيوان يحيا في قطيع، وتتحدد أفعاله بداعي غريزي لاتباع الزعيم، وبأن تكون له صلة وثيقة بالحيوانات الأخرى من حوله»<sup>(٥)</sup>.

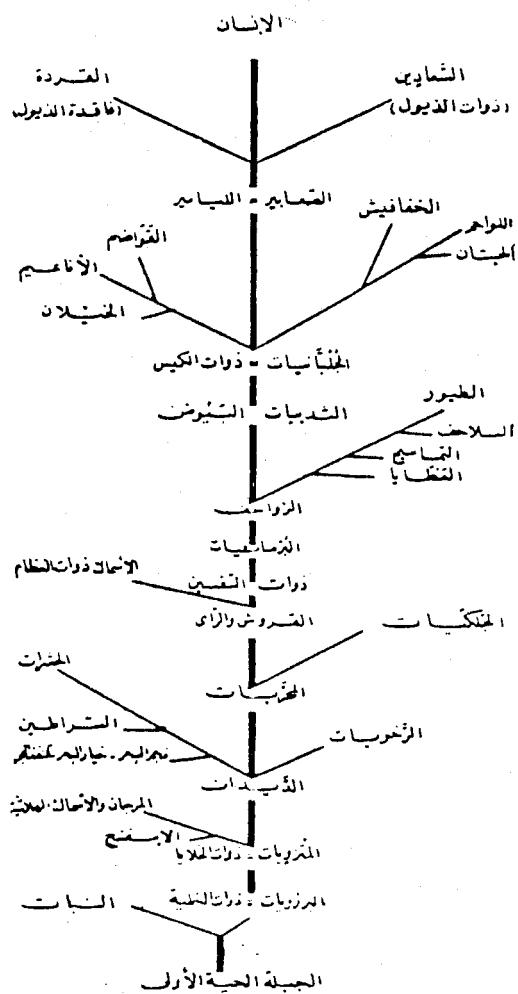
ويعمد كثير من علماء النفس إلى النقل من الباحثين الذين يسعون إلى تأكيد تطور

(٧) داروين (١٩٧٣م)، ص ٤٥.

(٨) فرويد (١٤٠٦ھـ)، ص ٥٠.

(٩) المرجع السابق، ص ١٠٦.

(١٠) فروم (د.ت.)، ص ٥٥.



### شكل ١ . شجرة الأحباء (\*)

\* نقلًا عن داروين، تشارلز. أصل الأنواع (ترجمة إسماعيل مظہر)، بيروت: مكتبة النهضة، ١٩٧٣م، ص ٤١.

الإنسان عن الحيوان وأنها مسلمة، كما فعل عالم النفس الأمريكي لازاروس في كتابه المعروف «الشخصية personality» عندما تحدث عن محددات الشخصية: العوامل البيولوجية حيث يقول: «فهم الشخصية من الزاوية البيولوجية يتطلب أولاً أن يوضع الإنسان في سياق نشوء النوع، طلما أن تشريحه وفسيولوجيته هما نتاج التطور من الكائنات العضوية الأكثر قدمًا والأكثر بساطة، وقد كتب ليرنر Lerner حديثاً عن تطور الإنسان قائلاً: يتفق كل علماء البيولوجيا على أن التطور العضوي يعتبر حقيقة، وأن الأجناس السائدة حالياً على هذا الكوكب (الإنسان) وكل أنواع الحياة الأخرى الموجودة لم تكن دائمةً على النحو الذي هي عليه الآن، ولكنها تنحدر مع تعديلات من أشكال وجدت من قبل»<sup>(١١)</sup>.

#### ثانياً: استبعاد العوامل الروحية عن قصد (استبعاد الدين)

إن استبعاد العوامل الروحية في الدراسات النفسية من الأمور المعروفة والتي أثرت كثيراً على نتائج هذه الدراسات، يقول مالك بدري عنها: «إن أحد أهم مكونات السلوك الإنساني قد أسقطه علم النفس الغربي من حسابه رغم ازدياد الشواهد العلمية الحديثة على أهميته، إلا وهو العامل الروحي. فعلم النفس الحديث باكتفائيه بالعوامل النفسية والبيولوجية والاجتماعية والحضارية كمكونات وحيدة للسلوك الإنساني لسهولة تحديدها بالنسبة للناحية الروحية، أو لرفضه للجانب الروحي لأنه ينبع من التصور الديني، سيظل في غموض وتيه»<sup>(١٢)</sup>.

ويربط إيزننك (Eysenck) وهو عالم نفسي سلوكي الأصول التاريخية للاتجاه السلوكي التجريبي في علم النفس بفلسفية القرن الثامن عشر الماديين الذين رفضوا الروح في الإنسان ووضعوا له تطوراً ميكانيكياً يعتمد فقط على الناحية الجسمية<sup>(١٣)</sup>.

يعتبر فرويد أشهر علماء النفس صراحة في محاربة الأديان وما جاءت به، وكتابه «مستقبل وهم» مخصص لنقض الدين ووظائفه في حياة الناس لأن المقصود بالوهם في عنوان

(١١) لازاروس (١٤٠٤هـ)، ص ١٣٨.

(١٢) بدري (١٤٠٧هـ)، ص ١٢.

(١٣) المرجع السابق، ص ٣٥.

الكتاب هو الدين، حيث يشكك في صحة وصدق المعتقدات الدينية وأنها مجرد أوهام، ومن ذلك قوله: «قد كان للأفكار الدينية في الأزمة الغابرية أعظم نفوذ وأقوى تأثير على البشرية، بالرغم من افتقارها بلا مراء إلى الصحة والصدق... إن المذاهب الدينية جميعها أوهام، لا سبيل إلى إقامة البرهان عليها، ولا يمكن أن يرغم أي إنسان على أن يعدها صحيحة وعلى أن يؤمن بها، وبعض هذه المذاهب بعيدة الاحتمال وصعبة التصديق للغاية، ومتناقضه أشد التناقض مع كل ما تعلمناه، ببالغ المشقة، عن واقع العالم والكون، إلى درجة تستطيع معها أن تشبهها - مع الأخذ بعين الاعتبار كما هو واجب الفروق السيكولوجية - بالأفكار الماذية»<sup>(١٤)</sup>.

ويؤكد إيزننك أن مجال الدراسة لعلماء النفس ليس الروح والعقل بل السلوك الواقعي المشاهد حيث يقول: «علماء النفس توقفوا عن الكلام في علم الروح أو علم العقل، ليس فقط لأن هذه الموضوعات صعبة التعريف، ولكن لأن السلوك الواقعي للإنسان أو الحيوان هو ما يمكن ملاحظته، هذا هو مجالنا للدراسة»<sup>(١٥)</sup>.

ويؤكد عالم النفس ديز استبعاد علماء النفس للعوامل الروحية وحرية الإرادة حيث يقول: «تجنب النفسيون أية أسئلة عن حرية الإرادة في مواجهة الجبرية، وطبيعة الروح، والأبعاد غير المحددة للعقل. ولقد اعتبروا هذه الأمور، وبحق، مسائل ليست طرائق العلم بالنسبة إليها بأكثر قوة وفعالية في تناولها من الجدل والخطابة»<sup>(١٦)</sup>.

### ثالثاً: الحتمية النفسية

إن مفهوم الحتمية النفسية يقصد به أن الإنسان موجه ومحكم بأفعال وأعمال ليس له خيار فيها، كأن يكون عدواً في سلوكه، أو أن تعتبر استجاباته ردود أفعال لما يعرض له. يقول مالك بدري: «تجد فرويد يعتبر الإنسان شريراً بطبيعة تتحكم فيه أو تحكمه دافع العداون والجنس اللاشعورية حتى ليصبح سلوكه الذي يظنه شعورياً مجرد محاولات لتبرير هذه النزوات الجنسية والعدوانية وإخفائها... وحديثاً قال سكرن وهو أحد أساطينهم

(١٤) فرويد (١٩٨١م)، ص ٤٠ - ٤٣.

(١٥) Eysenck (1977) P.19

(١٦) ديز (١٤٠١هـ)، ص ٣٤.

(السلوكية) : إن الدين والأخلاق ما هي إلا استجابات شرطية يتعلّمها الناس بوسائل الثواب والعقاب في المجتمع»<sup>(١٧)</sup>.

ويقول محمد قطب عن الحتمية النفسية عند فرويد : «نشأ من إيحاءات فرويد لون من الاعتقاد بالجبرية . . . هي جبرية نفسية، يؤمن أصحابها بأن الإنسان مسir لأن غريزته هي المسيطرة عليه ، وهي التي توجه السلوك دون أن تدع للفرد مجالاً للاختيارات»<sup>(١٨)</sup>.

ويؤكد كولمان الأثر السلبي للحتمية النفسية فيقول : «في ميدان علم النفس اتخذ الحتميون المحدثون منطلقاً من (جون لوك) فيلسوف القرن السابع عشر، الذي استخلص أن العقل الإنساني منذ الميلاد صفحة بيضاء ينطبع عليها التعلم والخبرة مما يعطي العقل مضمونه وبنيته . وتتمثل هذه النظرة إلى الإنسان على أنه كائن حي (أورجانزم) راد الفعل السليبي بالضرورة في المدرسة السلوكية . تعتبر السلوكية ، في شكلها الأكثر تطرفاً ، الفرد كنوع من الحيوان العقلي ، كرهينة عاجزة حيال ما يقع من تأثيرات تؤدي إلى تشكيله . ولذا ، تعتبر المفاهيم ذاتها الخاصة بآثار الذات وحرارة الاختيار مفاهيم وهمية»<sup>(١٩)</sup>.

ويرجع إيزننك تفسيره لأسباب السلوك الإجرامي إلى العوامل الوراثية (حتمية نفسية) حيث يقول : «هناك عوامل وراثية مهمة مسؤولة ، من خلال تفاعಲها مع القوى البيئية ، عن إثارة السلوك الإجرامي ، ويستدل على ذلك من دراسات الاتفاق بين التوائم المت�هة والمتشابهة ، والتي هي الآن أكثر من السابق عدداً ، كما أنها أكثر ضبطاً عما مضى . . . دراسات التبني أضافت وزناً يرجح الأسباب البيولوجية لتفسير أن أطفال التبني تحديد الإجرامية عندهم بوساطة آبائهم الأصليين وليس عن طريق آبائهم بالتبني»<sup>(٢٠)</sup>.

ويقول سكرنر عن الحتمية السلوكية «يجب علينا أن نعي أن الحروب تبدأ في عقول الرجال ، وعليه فإن هناك انتحارية بعض شيء في الإنسان - ربما كانت غريزة الموت - التي تقود إلى الحرب ، وهذا الإنسان عدواني بطبعه»<sup>(٢١)</sup>.

(١٧) بدري (١٤٠٧هـ)، ص ٣٦.

(١٨) محمد قطب (١٤٠٨هـ)، ص ٤٦.

(١٩) كولمان (١٩٧٨م)، ص ١٨٧ في سيفرين ، علم النفس الإنساني.

(٢٠) Eysenck (1977) P.12

. Skinner (1972) P.7 (٢١)

رابعاً: النجاح مرتبط بإرادة الإنسان وكفاءته (عزل الإنسان عن قدرة الله) وتوكّد هذه المسلمات على قدرات الإنسان وإمكاناته واستغنائه بها عن ما سواه، بحيث يرتبط نجاحه أو فشله بها دون غيرها، فعليه الاعتماد عليها وحدها.

يقول فرويد: «فإنه ليس بالكسب القليل أصلاً أن يعلم الإنسان أنه ليس له من قوى يعتمد عليها غير قواه الذاتية. فهو سيتعلم في مثل هذه الحال كيف يستخدمها على الوجه المرام»<sup>(٢٢)</sup>.

وينحي إريك فروم نفس منحى فرويد حيث يقول: «على الإنسان أن يُعلم نفسه لمواجهة الواقع. فإذا علم أنه لا يستطيع الاعتماد على شيء إلا على قواه الخاصة، فسيعلم كيف يستخدمها استخداماً صحيحاً. والإنسان الحر الذي حرر نفسه من نير السلطة - السلطة التي تهدد وتحمي - هو وحده الذي يستطيع استخدام قوة عقله، وإدراك الكون، ودوره فيه إدراكاً موضوعياً، دون وهم»<sup>(٢٣)</sup>.

ويرى سكتر أن حل مشكلات الفرد، ونجاحه فيها يعتمد عليه فقط دون سواه، حيث يقول: «نحن أنفسنا قد نمر بخبرة أزمة في الاعتقاد أو فقدان الثقة، التي ربما أمكن حلها فقط بالاعتماد على الإيمان بالقدرات الداخلية للإنسان»<sup>(٢٤)</sup>.

وبهذا المفهوم يصبح الإنسان معزولاً عن التأثير بقدر الله في نجاحه أو فشله في أي أمر من أمور الحياة، ولكن هذا المفهوم في الواقع غير صحيح.

#### خامساً: المعرفة مصدرها العقل والحواس

يعتمد علم النفس الغربي على العقل والحواس للحصول على المعرفة وبهذا يفقد مصدرًا مهمًا لفهم الإنسان ألا وهو مصدر الوحي الذي يأتي به الدين. يقول محمد عثمان نجاتي وأصفًا هذا الوضع: «لقد قطع العلماء في البلاد الأوروبية علاقتهم بالدين، وأطلقا العنوان لعقولهم في البحث عن الحقيقة، مؤمنين بأن العقل وحده، عن طريق البحث العلمي المنظم، هو السبيل الوحيد لتحصيل المعرفة، وللوصول إلى الحقيقة»<sup>(٢٥)</sup>.

(٢٢) فرويد (١٩٨١م)، ص ٦٨.

(٢٣) فروم (د.ت.)، ص ١٨.

(٢٤) Skinner (1972) P.8.

(٢٥) نجاتي (١٤١٠هـ)، ص ٣٧٥.

يقول يونج (من أنصار التحليل النفسي) عن اعتقاده على ما يعرفه هو من خلال عقله وحواسه واعتبار ما سواها غير معروفة: «أنا أعتقد فقط ما أعرفه، وكل شيء سوى ذلك يعتبر فروضاً وما عدتها فإني أعتبر الكثير من تلك الأشياء غير معروفة»<sup>(٢٦)</sup>. ويؤكد فرويد على أن العقل هو المصدر الأعلى، حيث يقول: «الحق إنه ليس ثمة سلطة تعلو على سلطة العقل، ولا حجة تسمو على حجته»<sup>(٢٧)</sup>.

ويظهر هذا الموقف في تركيز المدرسة السلوكية على المظاهر الخارجية التي يمكن ملاحظتها عن طريق الحواس، وأما النواحي الداخلية فلا تنال كبير اهتمامها، وبهذا تخرج من أن تكون موضوعاً لعلم النفس.

#### سادساً: تحصيل السعادة الدينية

تركز مدارس علم النفس على تحصيل السعادة الدينية ولا ترى أن هناك سعادة يمكن أن يحظى بها الإنسان في غير هذه الدنيا. يقول كولن ولسون واصفاً المجتمع الغربي وتركيزه على الدنيا فقط: «الحضارة الغربية لم يعد يهمها أيها شيء عن المصير، وكأن فرصة السنوات الستين أو السبعين (عمر الإنسان) وما يقدمه الإنسان فيها من (إنتاج) وتحصل عليه خلاها من (إشباع) هي كل ما هنالك.. وليس وراء ذلك أيها شيء.. ليس وراء ذلك أي مصير سوى تسليم الدور أو بالأحرى مساحة الأرض في مدينة من المدن، أو مصنع ما من المصانع، أو مزرعة ما من المزارع، أو سوق ما من الأسواق، لإنسان آخر لكي يقضى عليها (فرصته) هو الآخر إنتاجاً وإشباعاً.. ليس وراء ذلك أي مصير، جنة وارفة كان هذا المصير أو ناراً حارقة»<sup>(٢٨)</sup>.

ويقول فرويد عن التركيز على الحياة الأرضية: «ولاشك في أن الإنسان سيتوصل، يوم يقطع رجاءه من عالم الغيب أو يوم يركز كل طاقاته على الحياة الأرضية، إلى أن يجعل الحياة قابلة للاحتمال من قبل الجميع، ولن تسحق الحضارة بعدئذ أحداً»<sup>(٢٩)</sup>.

(٢٦) Jung (1981) P.44

(٢٧) فرويد (١٩٨١م)، ص ٣٨.

(٢٨) ولسون (١٤٠٣هـ)، من ١٣٢ - ١٣٣. نقلًا عن عماد الدين خليل، تهافت العلمانية، بيروت: مؤسسة الرسالة.

(٢٩) فرويد (١٩٨١م)، ص ٦٨ - ٦٩.

ويقول ماسلو (زعيم المدرسة الإنسانية) حول التعلق بقيم الحياة الدنيا على أنها هي معنى الحياة: «ما الذي يعيش الإنسان من أجله؟ ما الذي يجعل العيشة مستحقة وجدية بالقيمة؟ أي الخبرات في الحياة تزكي آلام الوجود؟ ونعلم أننا نصل إلى أسمى مستويات المعيشة في لحظات الخلق والإبداع والبصيرة والابتهاج وخبرة الحب بين الجنسين والخبرة الجمالية والخبرة الباطنية أي (قمة الخبرات) وبدون هذه الخبرات لا يكون للحياة معنى»<sup>(٣٠)</sup>.

#### سابعاً: النهج الموضوعي (التجريبي)

يعتمد علم النفس الغربي على النهج الموضوعي التجريبي في الحصول على معلوماته ولا يتعداه إلى المصادر الأخرى التي يمكن أن تسهم في الإجابة عن العديد من التساؤلات التي لم يستطع العلماء الإجابة عنها من خلال منهجهم التجريبي ، لذلك تخلصوا منها بأن اعتبروها موضوعات فلسفية لا تدخل في نطاق علم النفس .

يقول جيمس ديز عن الأزمة التي يعيشها علم النفس في منهجه: «علم النفس في أزمة . وقد كشفت حالة الأزمة هذه عن نفسها بشكل قوي في عدم الثقة المتزايدة في النهج العلمي عامه ، وفي الطريقة التجريبية بصفة خاصة . . وأن الأزمة الحالية في علم النفس ، وما يشعر به بعض علماء النفس من جزع وإحساس بالعقل ، ليرجع في جانب كبير منه إلى الإصرار على التمسك بال موقف الذي تمثله فكرتا الوضعية المنطقية والإجرائية»<sup>(٣١)</sup> .

وقد يسأل سائل عن المقصود بالوضعية المنطقية والإجرائية ، فنعود إلى نفس العالم الذي أوردهما فنجدها يعرفهما بما يلي : «أما الوضعية المنطقية فهي الاتجاه الذي يذهب إلى أن العلم عبارة عن سلاسل متباينة من القضايا والحجج المتصلة بالمعرفة التي تحصل عليها عن طريق الملاحظة ، أو المعرفة الأمبريقية أو التجريبية . والمنطقية مقصود بها أن هذا الاتجاه يحاول أن يكون متماساًً ومتحرراً من التناقض الداخلي . والوضعية معناها أنه يرفض أية تفسيرات ميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة أو ما لا تستطيع الحواس الوصول إليه) . أما الإجرائية فهي شبيهة بالوضعية المنطقية ، إلا أنها أكثر اهتماماً بمسألة القيام بالملاحظات العلمية وحصر التعبير العلمي فيها يمكن أن يُقال عن وقائع قابلة للملاحظة»<sup>(٣٢)</sup> .

(٣٠) ماسلو (١٩٧٨م) ، ص ٥٢ . في سيفرين ، فرانك ، علم النفس الإنساني .

(٣١) ديز (١٤٠١هـ) ، ص ١٧ - ٢١ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

ويضيف جوردون أولبورت G. Allport بعض المأخذ على التصور الوضعي الذي يمارسه الباحثون في علم النفس فيقول: «فالوضعية انعكاس أكثر من أن يكون سبباً للنظرية الذرية للشخصية في العالم الحديث. وأسوأ ما يمكن أن يُقال إن الوضعية، بقصر نفسها على (التمرکز حول الطريقة Method-centred) أكثر من التمرکز حول المشكلة Prob-lem-centred قد أوجدت صفاً من الحقائق المتفرقة الجزئية على حساب النظرة المترابطة للشخص الإنساني ككل»<sup>(٣٣)</sup>.

### ثامناً: الواقع الغربي هو المقياس

إن المتأمل للدراسات الغربية يجد أنها تعتبر ما عليه مجتمعاتها هو المقياس الذي على أساسه تقبل الفروض أو ترفض. يقول محمد قطب واصفاً وضع الدراسات الغربية في علم النفس: «هذه الدراسات لا تميز كثيراً بين الحالات السوية والحالات المنحرفة. وعاملت كل شيء على أنه هو (الواقع) النفسي الذي تستخلص منه النظريات والتطبيقات. ومن ثم صار الواقع المنحرف الذي يعيشه الناس في الغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين هو المقياس الذي تقاس به النفس الإنسانية، وتصاغ النظريات على أساسه، وهو الصورة الطبيعية والسوية (Normal) التي يتعامل معها «العلماء»<sup>(٣٤)</sup>.

ويتحدث الفاروقى عن عالم النفس الغربي وكيف يعتبر واقعه هو المقياس فيقول: «ذلك العالم الذي يدعى التحدث عن المجتمع الإنساني في حين أنه في الحقيقة يعني المجتمع الغربي، أو يدعى التحدث عن الدين في حين أنه في الحقيقة يعني المسيحية، أو يدعى التحدث عن القوانين الاجتماعية والاقتصادية، في حين أنه في الحقيقة يعني بعض الممارسات العامة للمجتمعات الغربية»<sup>(٣٥)</sup>.

وفرويد حين يرى تناقضًا في دين الغربيين (المسيحية) فهو يدعو إلى نبذ الأديان كلها دون اطلاع على تلك الأديان، حيث يقول: «فالمجتمع يعلم أي أساس واهن تقوم عليه مذاهب الدينية.. فعلينا أن نؤمن لأن أسلافنا آمنوا. لكن هؤلاء الأسلاف كانوا أشد جهلاً

(٣٣) أولبورت، ص ٦١. في سيفرين، فرانك، علم النفس الإنساني.

(٣٤) محمد قطب (١٤٠١هـ)، ص ١٤.

(٣٥) الفاروقى (١٤٠٠هـ)، ص ٣٦.

منا بكثير، وكانوا يؤمنون بأشياء يتذكر اليوم قبوها، ومن الممكن إذن أن تدخل المذاهب الدينية نفسها في هذا الباب. والأدلة التي تركوها لنا ميراثاً، مدونة في نصوص يحيط بها هي نفسها الشك. وهذه النصوص تعج بالتناقضات والمراجعات والتاليسات. ولا يمكن الوثوق إليها حتى عندما تتكلم عن وقائع ثابتة»<sup>(٣٦)</sup>.

ويقول ساراسون Sarason عن تأثير علماء النفس الواقع الاجتماعي لهم: «إن تأثير الجوانب الاجتماعية الحضارية في مادة علم النفس ونظرياته أصبحت جزءاً منه لا يقل عن تأثير الهواء المحيط بنا ودخوله في دمنا. وكما علمنا التجارب أن الهواء قد يصبح ملوثاً ويضر بصحتنا، فعلى عالم النفس أن يتعلم أن البيئة الاجتماعية والحضارية التي يتغذى منها قد تحتوي على عوامل تضر بصحته وتطوره، ولكن مثل هذا التصور من قبل علماء النفس لا يمكن أن يتم إلا إذا استطاعوا أن يتخلصوا ولو جزئياً من تكوينهم الاجتماعي حتى ينظروا إلى هذه التأثيرات الحضارية والاجتماعية في علم النفس من خارج هذا الإطار»<sup>(٣٧)</sup>.

وأخيراً نأتي إلى ماسلو الذي يعلّمها صريحة بأن علم النفس علم غربي بصورة احتكارية حيث يقول: «علم النفس الأكاديمي علم غربي بصورة احتكارية للغاية، لذا يحتاج إلى أن يتجه كذلك نحو المصادر الشرقية. وإذا كان علم النفس قد تحول بدرجة هائلة إلى ما هو موضوعي وعام وخارجي وسلوكي، إلا أنه ينبغي أن يعرف أكثر عما هو ذاتي وخاص وداخلي وتأملي»<sup>(٣٨)</sup>.

### أهم المسلمات العامة في التأصيل الإسلامي

هناك العديد من المسلمات العامة للتأصيل الإسلامي، ولكن العدد مختلف من باحث إلى آخر، حيث يحملها البعض ويفصلها البعض الآخر كل حسب خلفيته ورؤيته للموضوع، ولقد قدم إبراهيم رجب بعض العبارات - التي نوافقه عليها - في بداية حديثه عن المسلمات فقال: «وفيما يلي نسوق مجموعة من المسلمات التي تعطي العلم في المنظور الإسلامي أصوله في إطار الفهم الأشمل لحياة الناس في هذه الدنيا في صلتها التي لا تنفص

(٣٦) فرويد (١٩٨١م)، ص ٣٦.

(٣٧) ساراسون (١٩٨١م)، ص ١٦. في بدري، مالك، علم النفس الحديث من منظور إسلامي.

(٣٨) ماسلو (١٩٧٨م)، ص ٥١. في سيفرين، فرانك، علم النفس الإنساني.

بحياتهم في دار الخلود، وقد يختلف الباحثون في صياغة هذه المسلمات فيقدمون فيها أو يؤخرون، أو يفصلون فيها أو يجملون، ولكننا نظن أن هناك اتفاقاً عاماً على مضمون هذه المسلمات بشكل أو بآخر، مع وجود مجال لقدر محدود من الاختلاف مرده اختلاف الرؤية الشخصية والخبرة الفردية مما يحتمل بعض الأخذ والرد»<sup>(٣٩)</sup>.

ونظراً لطبيعة هذه الدراسة فلن يكون بالإمكان التحدث بالتفصيل عن كل مسلمة من المسلمات. لذا سنحاول الإيجاز، ومن يرغب في المزيد فيمكنه مراجعة مصادر الدراسة حيث يجد مراده، وإنما القصد من عرضها هنا أن يجعلها الأستاذ في ذهنه وهو يسعى إلى تأصيل المقرر الذي يقوم بتدریسه.

### أولاً: التوحيد

وهو الحقيقة الكبرى التي جاء الإسلام للتأكيد عليها وإعادة إحياء جذورها في النفوس بعد أن طمرتها الانحرافات التي طرأت على حياة الناس، ونسياهم للعهد وما جاء به الرسل من آدم إلى عيسى عليهم السلام. قال تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون» (الأنباء، الآية: ٢٥).

والتوحيد متضمن في الكلمة التي يدخل بها الإنسان الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وهو بأنواعه الثلاثة: «الالوهية، الربوبية، الأسماء والصفات» مما يجب على المسلم أن يبني عقيدته عليه بشكل صحيح. ويقول سيد قطب في هذا المجال: «يتبين أن الاعتراف بالربوبية لله وحده، والعبادة لله وحده، والدينونة لله وحده، تعني في مجموعها إفراده بالالوهية. أو تعني المدلول الاصطلاحي: شهادة أن لا إله إلا الله. وأن الاعتقاد باليوهية وربوبيته هي كالتوجه إليه وحده بالشعائر التعبدية، كالاعتراف بحاكميته وحده والتحاكم إلى شريعته وحدها... كلها سواء في تكوين مدلول: أن لا إله إلا الله. إن الذي يعترف بحاكمية غير الله وشرعه ونظامه إنها يعترف لهذا الغير بالربوبية، وبالعبادة وبالدين.

(٣٩) رجب (١٩٩١م)، الجزء الثاني ص ٣. وقد أجمل هذه المسلمات في ثلاثة هي:

- ١ - وحدة الخالق ووحدة الخلق.
- ٢ - وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة.
- ٣ - تكامل الوحي والعقل والحواس.

فلا يُقال حينئذ: إنه يشهد أن لا إله إلا الله»<sup>(٤٠)</sup>. وهكذا إذا وقر التوحيد الصحيح في القلب أثار له الطريق وفتح له المغاليق في دروب العلم والعمل، فينضبط سلوك الإنسان وفق ما أراد الله ويستقيم في حياته كما جاء عن الله بلا إفراط أو تفريط.

### ثانياً: أصل الإنسان

في هذه المسلمة يجد المسلم إجابة شافية لاشك فيها ولا تردد. فإذا كان الإنسان الغوري ما زال يبحث عن أصله في محاولات النظريات والفرضيات التي يجدها فيها يطالعه من كتب ودراسات، فلا يجد أمامه إلا تكراراً لفرضية دارون بصورة أو بأخرى فلا يثبت في النهاية إلا أن يستسلم لها وأن يردها، حتى وإن لم يقنع بها. والوحي بمصدريه تكفل للMuslim بالإجابة عن ما هو أصله؟ يقول الله تعالى: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» (آل عمران، الآية: ٥٩). ويصرح الرسول ﷺ أن الناس جميعاً يعودون إلى آدم عليه السلام وأن آدم خُلِقَ من تراب، فقد روى الإمام الترمذى في سنته عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: يا أهلاً الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائكم، فالناس رجالان: رجل برتقى كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله. والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من التراب قال الله تعالى: «يا أهلاً الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» (الحجرات، الآية: ١٣)<sup>(٤١)</sup>. وهكذا يصبح جلياً لدى المسلم أن أصله يعود إلى أبيه آدم عليه السلام الذي خُلِقَ من تراب ثم نفخ الله فيه من روحه.

### ثالثاً: مكونات الإنسان

يتكون الإنسان في الأصل من جانبين هما: الجسم والروح، ويدخل كذلك في تركيب الإنسان الجانب العقلي وهو مناط التكليف الشرعي والجانب الوجداني و المجال إسهامه في

(٤٠) سيد قطب (١٤٠٧هـ)، ص ١٥٠.

(٤١) الترمذى (١٣٩٥هـ)، ج ٥، ص ٣٨٩. صححه الألبانى، صحيح سنن الترمذى، ج ٣، ص ١٠٨.

علاقة الإنسان بغيره. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إِنِّي خَالقُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سُوَيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَتَعْوَالَهُ ساجِدًا﴾ (ص، الآياتان: ٧١، ٧٢). والإنسان مطالب بالإشباع المعتدل لهذه الجوانب الأربع بطريقة متوازنة بحيث لا يطغى جانب على غيره، وهذا ما نلاحظه لدى علم النفس الغربي حيث يطغى الجانبان الجسدي والعقلي على جانبي الروح والوجودان. بينما في الإسلام نجد الإشباع لكل الجوانب الأربع، ففي الجانب الجسدي يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِّا فِي الْأَرْضِ حَلَالٌ طَيِّبٌ وَلَا تَنْهَا خُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة، الآية: ١٦٨). ولكنه مشرط بالاعتدال الذي يميز الإسلام عن غيره.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمْ خُذُوا مِنْ زِينَتِكُمْ مَا شَاءَتُمْ وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّمَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف، الآية: ٣١). وكذلك إشباع الرغبة الجنسية، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ آتَاهُنَّ أَنْ خَلَقْنَا لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ مُّوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم، الآية: ٢١). وغيرها من الحاجات الجنسية<sup>(٤٢)</sup>.

وفي الجانب الروحي جاءت العبادات كلها لإشباع هذا الجانب من الصلوات والزكوات والحج والعمرة والصيام وغيرها من العبادات والأدكار الواجبة والمستحبة. قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُولِّوْ جُوْهِرَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرُّ مِنْ آمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالملائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حِبَّهِ ذُوِّ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمَوْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة، الآية: ١٧٧).

وفي الجانب العقلي دعوة صريحة للإنسان بأن يستخدم عقله في كل ما ينفعه في الدنيا والآخرة. ففي الدنيا بعمارة الأرض والاستفادة بما فيها مما سخر الله له، وفي طلب الآخرة بالتعرف على قدرة الله ليزداد الإيمان وترسخ العقيدة. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا ينفع النَّاسَ وَمَا

(٤٢) لمزيد من المعلومات انظر: نجاشي، القرآن وعلم النفس، الفصل الأول، القاهرة: دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.

أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» (البقرة، الآية: ١٦٤).

وقال تعالى: «أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينها إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون» (الروم، الآية: ٨). والجانب الوجдан يشيع من خلال علاقة الإنسان بالآخرين سواء علاقته بالخالق تبارك وتعالى أو بالملائقات جميعها. فلو أخذنا الحب مثلاً لوجدنا أعلاه حب الله سبحانه وتعالى ثم حب الرسول ﷺ ثم حببة النفس ثم الوالدين فالذرية فالأقرب ثم الذي يليه في القرابة، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدُّ مِنْكُمْ عَنِ الدِّينِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقُومٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَلَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (المائدة، الآية: ٥٤). ويقابل الكره، حيث وصف الله الكافرين بكرههم لرضوان الله فكانت النتيجة الخسران وجبطان العمل، قال الله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطْتُ أَعْمَالَهُمْ» (محمد، الآية: ٢٨).

وهكذا يمكن أن يتكرر هذا في أنواع الانفعالات الأخرى<sup>(٤٣)</sup>.

#### رابعاً: غاية وجود الإنسان

حتى نستطيع أن نفهم الإنسان ونعرف كيف نتعامل معه، علينا أن نعرف الغاية من وجوده، وهذا سؤال يتهرب منه علماء النفس الغربيون ويعتبرونه من الفلسفة، والحقيقة أن هذا التهرب دليل العجز عن الإجابة، بينما المسلم يجد الإجابة الواضحة في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» (الذاريات، الآية: ٥٦). والعبادة هنا مفهوم شامل لكل عمل من أعمال الدنيا والآخرة، إذا أخلص الإنسان لله بالنسبة وكان العمل وفق ما شرع الله على سنة رسول الله ﷺ، وبهذا يصعب حصر المجالات، إلا أن أهمها أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة وغيرها من الاعتقادات والأقوال والأعمال الدينية كانت أو دينوية.

(٤٣) لمزيد من التفاصيل راجع المرجع السابق. كذلك محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، موضوع خطوط متقابلة في النفس الإنسانية، ص ٧١، القاهرة: دار الشروق، الطبعة الخامسة،

لذا يلزم الباحث المسلم أن يعي هذا المعنى عندما يتعامل مع سلوكيات النفس فيسعى إلى تعميق هذا المفهوم وإيصاله إلى الآخرين عند تعامله معهم وتسويجه لسلوكياتهم، ليكون متواافقاً في عمله هذا مع الغاية التي خلق من أجلها جميع المخلوقات.

#### خامسًا: وظيفة الإنسان

إن وظيفة الإنسان في هذه الحياة هي الخلافة وعمراء الأرض بما يرضي الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ . وإذا قال ربكم للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة، الآيات: ٢٩ ، ٣٠).

يقول المطرودي في تناوله للخلافة هنا: «إِنَّ الْمَرَادَ بِالْخَلِيفَةِ هُوَ النُّوعُ الْإِنْسَانِيُّ، وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ بِالْخَلِيفَةِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ . فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا اكْتِفَاءً بِذِكْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ ذِكْرِ أَبْنَائِهِ وَذَرِيَّتِهِ، لَأَنَّ ذِكْرَهُ يَشْمَلُهُمْ، وَيَدْلِلُ عَلَيْهِمْ كَوْلُكَ قَبْيلَةِ مَصْرُ، أَيْ بْنُو مَصْرٍ... أَمَّا جَعْلُهُ خَلِيفَةً لِلَّهِ فَيَرِدُ بِكَلِمَةِ (خَلِيفَةً) مَعْنَى النَّائِبِ أَوِ الْمَفْوَضِ... وَهُوَ الَّذِي حَلَّ مَحْلَهُ فِي إِجْرَاءِ أَحْكَامِهِ وَتَنْفِيذِ إِرَادَتِهِ فِي عَمَارَةِ الْأَرْضِ. وَلِمَسْتَخْلِفُ (الله) الْقَوَامَةَ عَلَى خَلِيفَتِهِ (الإِنْسَانِ)، وَإِنَّ هَذِهِ الْخَلِافَةَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لِلإِنْسَانِ فِيهَا تَشْرِيفٌ لَهُ، لِتَتَقَرَّبَ إِرَادَتِهِ مَعَ إِرَادَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَّا الشُّرُعِيَّةَ فِي إِحْلَالِ النَّظَامِ فِي عَمَارَةِ الْأَرْضِ﴾<sup>(٤٤)</sup>.

كما يذكر ضميره معاني ذات علاقة بالآية حيث يقول: «وَكَثِيرُونَ لَا يَحْيِزُونَ أَنْ يَقُالَ لِبَشَرٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ، وَحِجْتُهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَخْلِفُ مِنْ يَغْيِبُ أَوْ يَمُوتُ، وَقُولُ أَبِي بَكْرٍ لِسْتُ خَلِيفَةُ اللَّهِ... بَيْنَمَا غَيْرُهُمْ يَحْيِزُ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام، الآية: ١٦٥) وهذا الرأي هو الأصح، إذ لا ينبغي أن يقاس بالبشر من ليس كمثله شيء. وخلافة الإنسان إنما هي تكرييم له. أما الاستخلاف الفقهـي، فهو النيابة بحسب مدركات البشر الفقهـية، وقد حدد الله هذه الوظيفة بقوله: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا﴾ (هود، الآية: ٦١) والاستعمار معناه في أصل اللغة التمكن والسلطـ

<sup>(٤٤)</sup> المطرودي (١٤١٠ هـ)، ص ٣٣٤ - ٣٤١.

وطلب العماره، وفي هذا دليل على وجوب الانتفاع بهذا الكون لما أعطى الله الإنسان من قوى ومدركات»<sup>(٤٥)</sup>.

وعلى هذا يجب على الباحث المسلم أن يعي هذه الوظيفة للإنسان ويتعامل معه على أساس هذا التكفل الإلهي الذي يجب أن ينضبط بما جاء في كتاب الله وما ورد عن رسول الله ﷺ.

### سادساً: وحدة المعرفة (الغيب، الشهادة)

المعرفة في التأصيل الإسلامي واحدة لأن مصدرها الأساسي هو الله سبحانه وتعالى المتصف بالوحدانية. ولكن مجال المعرفة يمكن أن يكون في مجالين متصلين لا انفصال بينهما هما عالم الغيب ومصدر المعرفة عنه من الوحي الإلهي ، وعالم الشهادة وأدوات معرفته العقل والحواس. يقول محمد قطب : «في فطرة الإنسان أن يؤمن بوجود ما يصل إليه عن طريق الحواس. وفي فطرته كذلك أن يؤمن بوجود أشياء لا تصل إليه عن طريق الحواس . . . وتلك ميزة الكبر على عالم الحيوان . . . الحيوان يتعامل مع الوجود بحواسه وحدها - فيما نعلم نحن عن ظاهر حياته - ولا يتعامل معها فيها وراء الحس . . . ولكن الإنسان بعد ذلك يتميز بإدراك وجود أشياء لا تصل إليها حواسه ، والإيمان عن وعي بوجود هذه الأشياء . . . والقرآن يستخدم لوصف هذا المفهوم لفظ الإيمان (بالغيب). قال تعالى : ﴿أَمْ ذَلِكُ الْكِتَابُ لَا رِبِّ فِيهِ هُدَى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة، الآيات : ٣-١)»<sup>(٤٦)</sup>.

ويؤكد أبو سليمان على تكامل عالمي الغيب والشهادة، لكي يحصل الإنسان على المعرفة التي يحتاج إليها في حياته وكيفية استخدامه لها فيقول : «علاقة الإنسان وفق مفهوم الإسلام بعالم الغيب، هي علاقة خيرة بناء، تهدف إلى إقامة الحق والعدل في الحياة الإنسانية وإعمار الأرض وصيانة الكائنات والأرض من الفساد ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ (الملك، الآية : ٣) . . . العقل الإنساني والإدراك الإنساني مؤهل للحياة في هذه الأرض وأداء واجبات الخلافة في الإصلاح والإعمار، وهذا العقل وهذا الإدراك هو أداة الإنسان الأساسية وميزة الكبرى لحمل مسؤولية المهمة الملقة على عاتقه في

(٤٥) ضميرية (١٤٠٥هـ)، ص ٨٢.

(٤٦) محمد قطب (١٤٠١هـ)، ص ١٠٧ - ١٠٨.

هذه الحياة، واستخلاف الكون وإعماره والسعى فيه بالإصلاح ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلملائكة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... قَالَ يَا آدَمَ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ (البقرة، الآيات: ٣٣-٣٠) فكان مؤهل الإنسان للخلافة هو العلم، والعقل أداة العلم ووسيلته في عالم الشهادة على هذه الأرض»<sup>(٤٧)</sup>.

#### سابعاً: وحدة الحياة (الدنيا، الآخرة)

وهذه المسلمة تفتح المجال واسعاً أمام الباحث المسلم، فإذا كانت الحياة عند العالم الغربي تنتهي بالموت ولا يرى بعد الموت شيء، لذا يتوقف في حساباته عند هذا الحد ولا ينظر إلى ما وراءه، أما المسلم فهو يرى أن الحياة واحدة ممتدة منذ الولادة، فالحياة الدنيا فحية البرزخ (القبر)، وأخيراً الحياة الأخرى التي لا نهاية لها، يقول ضميره عن ترابط الحياة الدنيا بالآخرة: «إن الحياة في الإسلام تتدنى في الزمان فتشمل هذه الفترة المشهودة - الحياة الدنيا - وفترة الحياة الأخرى التي لا يعلم مداها إلا الله، ومتعد في المكان فتضيق إلى هذه الأرض داراً أخرى: جنة عرضها السماوات والأرض، وناراً تسع الكثرة من جميع الأجيال التي عمرت وجه الأرض ملايين السنين، ومتعد في العوالم فتشمل هذا الوجود المشهود إلى وجود مغيب لا يعلم حقيقته كلها إلا الله»<sup>(٤٨)</sup>.

فالدنيا دار ابتلاء وامتحان والآخرة دار جزاء ومستقر، قال الله تعالى: ﴿تَبارَكَ الذِّي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَلْبِوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك، الآيات: ٢٠، ١٢). ويقول سيد قطب في تفسير هذه الآيات: «والحياة تشمل الحياة الأولى والحياة الآخرة - وكلها من خلق الله كما تقرر الآية، التي تنشئ هذه الحقيقة في التصور الإنساني، وتثير إلى جانبها اليقظة لما وراءها من قصد وابتلاء، فليست المسألة مصادفة بلا تدبير وليس كذلك جزاً بلا غاية، إنما هو الابتلاء لإظهار المكتون في علم الله من سلوك الأناسي على الأرض، واستحقاقهم للجزاء على العمل»<sup>(٤٩)</sup>.

(٤٧) أبو سليمان (١٤١٢هـ)، ص ١١٠ - ١١٣.

(٤٨) ضميرية (١٤٠٥هـ)، ص ٤٩.

(٤٩) سيد قطب (١٤٠٦هـ)، ص ٣٦٣٢.

### ثامناً: السنن الكونية

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون وفق سنن ثابتة يسير عليها بكل ما فيه من كواكب ونجوم وحركة لهذه الأفلاك بشكل يجعل المجال للإنسان مفتوحاً للاستفادة من هذه السنن، بما ينفعه ويرقى بمستوى حياته مادام في هذه الدنيا، ولنكون دلائل على وحدانية الله تدعوه إلى إخلاص العبادة لله المبدع لهذا الكون وسننه دون سواه من المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الظُّلَلُ نَسْلُخُ مِنْهُنَّ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ وَالشَّمْسُ تُحْرِي لِمَسْتَقْرِئِهِ لَا شَمْسٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرُ وَلَا الْلَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِلْكٍ يَسْبِحُونَ﴾ (يس، الآيات: ٤٠-٣٧).

يقول المطروדי: «إن الاطلاع على الدراسات الحديثة عن الكون مما تم إدراكه من بعض المجموعات وال مجرات الكونية، وما لها من سنن وقوانين ثابتة ودقيقة، تجعل الإنسان يرى بعينيه الإبداع والقدرة على الخلق، وأنه لا يزن جناح بعوضة بالقياس إلى هذا الكون في جانبه المادي، وأن هذه القوانين والسنن أهمية كبيرة في استمراره في الوجود، واستقراره وأمنه، وفي حياته ومعيشته على الأرض بجميع قواه، وجميع جوانب وسائل حياته الاجتماعية والاقتصادية . . .» (٥٠).

ويقول ضميريه عن السنن الكونية: «فقد شاءت إرادة الله تعالى المدبرة أن تبين لنا هذه النواميس المطردة والسنن الجارية لنراقبها وندركها ونكيف حياتنا وفقها، ونتعامل مع الكون على أساسها ومن ثم يوجه الله تعالى الأ بصائر والبصائر التي تدبر سننه في الكون والتعامل معها بقدر ما يملك الإدراك البشري للاستفادة بهذا النظر في الحياة الواقعية» (٥١).

### تاسعاً: السنن الاجتماعية

كما أن الله وضع سنناً كونية فقد وضع كذلك سنناً اجتماعية تسير وفقها حياة الأمم والشعوب، والمتأمل لأيات القرآن الكريم؛ يجدها تتحدث عن هذه السنن، التي بها ترتفع الأمة بين سائر الأمم أو تنحط وفق سنن آخر، ولعل أهم معالم السنن الاجتماعية ما يتعلق بالتوحيد والشرك فمتى ما اقتربت الأمة من التوحيد وابتعدت عن الشرك فهي أقرب إلى

(٥٠) المطرودي (١٤١٠هـ)، ص ٣٦٦.

(٥١) ضميرية (١٤٠٥هـ)، ص ٢٧.

التوافق مع مخلوقات الله الأخرى، وبهذا تكون مهيأة للسيادة والقيادة لغيرها من الأمم والعكس صحيح، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونَ أَهْدِيًّا مِنْ إِحْدَى الْأَمَمِ فَلِمَا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادُوهُمْ إِلَّا نَفُورًا اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّءِ وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنتُ الْأَوْلَيْنَ وَلَنْ تَجُدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجُدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيُنَظِّرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْجِزُهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا قَدِيرًا﴾ (فاطر، الآيات: ٤٢-٤٤)، يقول سيد قطب في تفسير هذه الآيات: «هذه التوجيهات المكررة في القرآن للسير في الأرض والوقوف على مصارع الغابرين، وآثار الذاهبين، وإيقاظ القلوب من الغفلة التي تسدر فيها، فلا تقف، وإذا وقفت لا تحس، وإذا أحست لا تعتبر، وينشأ عن هذه الغفلة غفلة أخرى عن سنن الله الثابتة، وقصور عن إدراك الأحداث وربطها بقوانينها الكلية وهي الميزة التي تميز الإنسان المدرك عن الحيوان البهيم، الذي يعيش حياته منفصلة اللحظات والحالات، لا رابط لها، ولا قاعدة تحكمها، والجنس البشري كله وحدة أمام وحدة السنن والنوميس»<sup>(٥٢)</sup>.

لذا يجب على الباحث المسلم التعرف على هذه السنن والعمل للاستفادة منها للتغيير المجتمع نحو الأفضل، فيما يرضي الله في الدنيا والآخرة، ولا يحدث هذا إلا إذا حدث التغيير في نفوس المسلمين وأخذوا بالأسباب المعينة لهم لتولي قيادة البشرية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغِيرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغِيرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد، الآية: ١١).

### المعالجة التفصيلية للمحتوى

وفيها يقوم الأستاذ بتحديد الموضوعات الرئيسية في المقرر الدراسي - الذي يرغب في تأصيله - ثم يتناول تلك الموضوعات واحداً بعد الآخر، على أن يستحضر أثناء المعالجة المسلمات التي سبق ذكرها والحديث عنها، بحيث تكون في صلب المعالجة ولا تخرج عنها.

وتعتمد المعالجة على المصادر الأربع التالية:

- ١ - القرآن الكريم وتفاسيره المعتمدة.
- ٢ - الحديث النبوى وشرحه.

<sup>(٥٢)</sup> سيد قطب (١٤٠٦هـ)، ص ٢٩٥٠.

- ٣ - كتابات علماء المسلمين.  
 ٤ - كتابات العلماء غير المسلمين.

على أن يعرض ما يؤخذ من المصدررين الثالث والرابع على ضوابط المصدررين الأول والثاني، فما وافقها أو لم يخالفها؛ قبل، وما عارضها لم يُقبل، وقد ذكر إبراهيم رجب شروطاً ثلاثة للمعالجة المطلوبة هي :

- ١ - الانطلاق من إدراك واضح لأبعاد «التصور الإسلامي» للإنسان والمجتمع والكون المنبثق من الكتاب والسنة، ولَا يتضمنه تراث الإسلام مَا يرتبط بالشخص، مع نظرة نقدية لإسهامات علماء المسلمين حول قضيائاه.
- ٢ - استيعاب «العلوم الحديثة» في أرقى صورها، مع القدرة على نقدها والاستفادة منها، وتجاوزها بشكل بناء، كلما اقتضى الأمر ذلك.
- ٣ - إيجاد «تكامل حقيقي» بين معطيات التصور الإسلامي من جانب، وبين إسهامات العلوم الحديثة من جانب آخر، وليس مجرد الجمع أو التجاوز المكاني أو حتى المزج بينهما دون وحدة حقيقية.

ثم قال : «وبطبيعة الحال؛ فإن توافر هذه الشروط النموذجية في أي عمل واقعي محدد إنما هو أمر غير متوقع (في هذه الأيام) فأي إسهام أو عمل بعينه قد يقترب أو يبتعد عن هذا النموذج بدرجات متفاوتة، فقيمة النموذج لا تكمن في طلب تحقيقه كاملاً في الواقع، وإنما قيمته في توجيه الأعمال التي تسير في اتجاهه، وتقترب منه بقدر الإمكان، وبشكل تراكمي»<sup>(٥٣)</sup>.

والمقررات في علم النفس عند معالجتها يمكن أن تنقسم إلى نوعين هما :

- (أ) مقررات يغلب عليها الجانب المادي المحدد من السلوك (مثل علم النفس الفسيولوجي وعلم نفس العمليات العقلية) فهذه تتأثر بدرجة أقل من غيرها بالخلفية الموجودة لدى الباحث غير المسلم، ويكتمن الحذر فيها في جانب تفسير النتائج وتطبيقاتها، حيث يجب على الباحث المسلم الانتباه لهذا الجانب.
- (ب) مقررات يغلب عليها الجانب التنظيري (مثل علم نفس الشخصية وعلم

---

<sup>(٥٣)</sup> إبراهيم رجب (١٤١٢هـ)، ص ٥٣.

النفس الجنائي) فهذه تتأثر بدرجة كبيرة بخلفية الباحث غير المسلم، ولذا يجب على الباحث المسلم أن يعطيها اهتماماً أكبر في تأصيلها.

### مراجع مقتربة

نظرًا لقلة ألفة العديد من أساتذة علم النفس بالمراجع ذات العلاقة بالتأصيل، فقد رأى الباحث أن يقدم قائمة مقتربة لمراجع في التأصيل، ولكن عندما شرع في ذلك، وجد أن أحد الأساتذة في كلية العلوم الاجتماعية بالرياض (الدكتور محمد محروس الشناوي) قد قام بإعداد دليل للتأصيل الإسلامي في علم النفس بتكليف من اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (والدليل في دور الطباعة). ولذا يوصي الباحث جميع الأساتذة بمراجعة ذلك الدليل والاستفادة منه للتعرف على تلك المراجع سواء كانت كتاباً أو رسائل علمية أو ندوات ومؤتمرات أو مقالات علمية. ولكن هناك مؤسسات علمية ودوريات لها اهتمام بموضوعات التأصيل يمكن أن يعود إليها الأستاذ وينجد لديها الكثير مما يريده في مجال التأصيل.

### المؤسسات العلمية

- ١ - اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بجامعة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٢ - الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية بالرياض.
- ٣ - المعهد العالمي للفكر الإسلامي في هيرنندن بالولايات المتحدة الأمريكية.
- ٤ - جمعية علماء الاجتماع المسلمين في بلينيفيلد بالولايات المتحدة الأمريكية.
- ٥ - جمعية الطب النفسي الإسلامي - القاهرة.
- ٦ - رابطة الجامعات الإسلامية - القاهرة.
- ٧ - الجمعية المصرية للدراسات النفسية - القاهرة.

### الدوريات العلمية

- ١ - مجلة المسلم المعاصر - القاهرة.

- ٢ - دراسات تربوية - رابطة التربية الحديثة - القاهرة.
  - ٣ - علم النفس - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.
  - ٤ - المجلة الاجتماعية القومية - المركز القومي للبحوث - القاهرة.
  - ٥ - رسالة الخليج العربي - مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- بالإضافة إلى دوريات الجامعات والمؤسسات التي ذُكر بعضها في الفقرة السابقة.

### أسلوب تطبيقي مقترن

هذا الجزء من الدراسة خصص لاقتراح أسلوب تطبيقي على أحد مقررات علم النفس، وذلك لتوضيح كيف يختار الأستاذ الموضوعات الرئيسية في المقرر ثم كيف يعالج كل موضوع من الموضوعات. ونظرًا لكون مقرر علم النفس التربوي من المقررات المنتشرة في كل الجامعات المهتمة بالإعداد التربوي فقد وقع الاختيار عليه.

### ١ - الموضوعات الرئيسية في المقرر

الفصل الأول: أهمية العلم والتعلم.

الفصل الثاني: الأهداف.

الفصل الثالث: خصائص النمو.

الفصل الرابع: الدافعية.

الفصل الخامس: العمليات العقلية (الإحساس، الإدراك، التفكير، التذكر، النسيان، التخييل والتصور).

الفصل السادس: العوامل المؤثرة في التعلم (عوامل ذاتية: إخلاص النية لله، التقوى... الخ وعوامل موضوعية).

الفصل السابع: التقويم: الاختبارات أنواعها، بناءها، مزاياها وعيوبها.

ولأن الدراسة قد طالت، لذا سنتصر على إبراد النقاط الرئيسية في أحد هذه الفصول، وعلى الأستاذ معالجتها وفق ما سبق أن طرحته في الصفحات السابقة، ثم يعالج بقية الفصول على هذا المنهج نفسه.

والموضوع الذي نعرض نقاطه الرئيسية هو الدافعية، حيث نقترح له ما يلي:

- ١ - تعاريف لغوية واصطلاحية.
- ٢ - أنواع الدوافع (روحية، جسمية، نفسية، اجتماعية).
- ٣ - الدوافع في القرآن الكريم.
- ٤ - الدوافع في الأحاديث الشريفة.
- ٥ - الدوافع في كتابات بعض علماء المسلمين.
- ٦ - الدوافع في كتابات بعض العلماء غير المسلمين.
- ٧ - مقارنة ما ورد في العناصر ٣، ٤، ٥، ٦.
- ٨ - السيطرة على الدوافع.
- ٩ - الدوافع التعليمية (لدى المتعلم).

وعند رجوع الأستاذ إلى المصادر التي سبق الحديث عنها فإنه سيجد مادة علمية قيمة يمكن أن يوظفها في إيصال ما يريد إيصاله إلى طلابه من معلومات وخبرات تكون نابعة من أصولهم ومفيدة لهم في التعامل مع الواقع حياتهم وخصائص الأفراد الذين سوف يتعاملون معهم.

### التوصيات

من خلال المعلومات التي تعامل معها الباحث في إعداد هذه الدراسة خلال مراحلها المختلفة، يجد أنه من المناسب طرح بعض التوصيات التي قد تفيد في هذا المجال.

### توصيات الأساتذة

- ١ - أن يضع كل أستاذ في علم النفس في ذهنه بطريقة واعية مسلمات علم النفس الغربي التي عرضت في هذه الدراسة، لأن البعض قد يعرض بعضها بطريقة لا تجعله يشعر بغربتها عن دينه وعقيدته، وعليه نقدها لطلابه.
- ٢ - أن يراجع مفردات المقررات الدراسية التي يقوم بتدريسها، ثم يعيد صياغتها ومعالجتها وفق تصور إسلامي صحيح.
- ٣ - أن يتتبه عند استخدامه للمراجع الأجنبية أو المترجمة عنها، بحيث يقرأها بطريقة واعية ناقدة لا تسلم بكل ما يراد فيها دون تحريض وتقويم.

### توصيات الأقسام

- ١ - أن تسعى الأقسام لطرح محتويات مفردات المقررات الدراسية في حلقات نقاش داخل الأقسام ويدعى إليها المهتمون بموضوع التأصيل لمناقشة المحتويات المناسبة لكل مقرر.
- ٢ - أن تسعى الأقسام للحصول على أكبر قدر ممكن من المراجع المهمة بالتأصيل حتى تعين الأساتذة للقيام بمهام تأصيل مقرراتهم.
- ٣ - أن يستفاد من رسائل الماجستير والدكتوراه إذا وجدت في الأقسام لمعالجة قضايا القصور في علم النفس الغربي وطرح البديل التأصيلي لها.
- ٤ - تشجيع التعاون بين أساتذة الأقسام وأساتذة المتخصصين في العلوم الشرعية للقيام بدراسات مشتركة تعالج موضوعات نفسية.

### المراجع العربية

- ١ - أبو سليمان، عبدالحميد أحمد. أزمة العقل المسلم (سلسلة المنهجية الإسلامية «١»). هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- ٢ - بدري، مالك. علم النفس الحديث من منظور إسلامي. اللقاء العالمي الرابع «قضايا المنهجية في العلوم السلوكية» الخرطوم: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤٠٧/٥٢٢-١٥هـ.
- ٣ - الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذى. تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة: مصطفى الحلى وأولاده، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ.
- ٤ - خليل، عماد الدين. تهاافت العلمانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.
- ٥ - داروين، تشارلز. أصل الأنواع. (ترجمة إسماعيل مظہر) بيروت: مكتبة النهضة، ١٩٧٣م.
- ٦ - دليل توصيف مقررات علم النفس لمرحلة البكالوريوس، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٠٧هـ.
- ٧ - دليل قسم علم النفس، قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ.

- ٨ - ديز، جيمس. أزمة علم النفس المعاصر. (ترجمة سيد أحمد عثمان)، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠١هـ.
- ٩ - رجب، إبراهيم عبدالرحمن. النهج العلمي للبحث من وجهة إسلامية (في نطاق العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية). ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أغسطس ١٩٩١م.
- ١٠ - سيفرين، فرانك. علم النفس الإنساني. (ترجمة طلعت منصور وعادل عز الدين وفيولا البيلاوي)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.
- ١١ - ضميرية، عثمان جمعة. التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان. القاهرة: دار الكلمة الطيبة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- ١٢ - العثمان، عبدالكريم. الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص. القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- ١٣ - الفاروقى، إسماعيل «صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية» مجلة المسلم المعاصر، العدد العشرون، ص ٢٥ - ٤١، (١٤٠٠هـ).
- ١٤ - فروم، أريك. الدين والتحليل النفسي. (ترجمة فؤاد كامل)، القاهرة: مكتبة غريب، د. ت.
- ١٥ - فرويد، سigmوند. معالم التحليل النفسي. (ترجمة محمد عثمان نجاتي)، بيروت دار الشروق، الطبعة السادسة، ١٤٠٦هـ.
- ١٦ - فرويد، سigmوند. مستقبل وهم. (ترجمة جورج طرابيشي)، بيروت: دار الطليعة، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.
- ١٧ - قطب، سيد. مقومات التصور الإسلامي، بيروت: دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ١٨ - قطب، سيد. في ظلال القرآن. جدة: دار العلم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٠٦هـ.
- ١٩ - قطب، محمد. الإنسان بين المادية والإسلام، القاهرة: دار الشروق، الطبعة التاسعة، ١٤٠٨هـ.
- ٢٠ - قطب، محمد. دراسات في النفس الإنسانية. بيروت: دار الشروق، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.

- ٢١ - لازاروس، ريتشارد. الشخصية. (ترجمة سيد محمد غنيم)، بيروت: دار الشروق، الطبعة الثانية، ٤١٤٠٤ هـ.
- ٢٢ - المبارك، محمد «نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع» مجلة المسلم المعاصر، العدد الثاني عشر، ص ١٥ - ٤٤، (١٣٩٧هـ).
- ٢٣ - المطرودي، عبد الرحمن بن إبراهيم، إنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٠هـ.
- ٢٤ - نجاتي محمد عثمان «منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس» مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثالث، ص ٣٧١ - ٤٠٣، (رجب ١٤١٠هـ).

#### مراجع عربية مساعدة

- ١ - بوكاي، موريس. ما أصل إنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة. (ترجمة مكتب التربية العربي لدول الخليج)، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٦هـ.
- ٢ - قطب، سيد. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. بيروت: دار الشروق، الطبعة الثامنة، ١٤٠٣هـ.
- ٣ - مونسما، جون كلوفر. الله يتجلّى في عصر العلم. (ترجمة الدمرداش عبدالمجيد سرحان)، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م.
- ٤ - المعهد العالمي للفكر الإسلامي، «إسلامية المعرفة المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات» سلسلة إسلامية المعرفة (١)، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٠٦هـ.
- ٥ - نجاتي، محمد عثمان. القرآن وعلم النفس. دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- ٦ - نجاتي، محمد عثمان. الحديث النبوى وعلم النفس. بيروت: دار الشروق، ١٤٠٩هـ.

**المراجع الأجنبية**

- 1 – Eysenck, H.J., *Crime and Personality*, London: Routledge & Kegan Paul, 1977.
- 2 – Jung, C.G., *Psychology and Religion: West and East* (the collected works, Volume Eleven), London: Routledge & Kegan Paul, Second Edition, 1981.
- 3 – Skinner, B.E., *Beyond Freedom & Dignity*, New York: Bantam Book, 1972.

## التصور الإسلامي لشخصية المسلم (جانب من مؤلفات الإمام ابن القيم)

الدكتور محمد محروس الشناوي

قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

### ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على التصور الإسلامي لشخصية المسلم كما يصورها العلامة ابن قيم الجوزية في جانب من مؤلفاته.

ونلخص فكر الإمام ابن القيم حول شخصية الإنسان، وهي أن الإنسان مخلوق ذو خصوصية في الخلق والتكرير، ومخلوق لعبادة الله سبحانه وتعالى وحده، وكل أعماله تدور في هذا المسار، ويولد على الفطرة، والفطرة هي الإسلام والخير، وأن للأبوين دوراً مهماً في تربية الطفل وتنشطه على القيام بالواجب الذي من أجله خُلِقَ؛ وهو عبادة الله، والالتزام بما شرع، في الوقت الواحد لا يكون للإنسان إلا نفس واحدة هي السائدة، فهي إما أمارة أو مطمئنة أو لوامة، إن النفس الإنسانية بداخلها أحوال بفاعليها بعضها مع بعض، هي النفس الأمارة، والنفس المطمئنة، والنفس اللوامة.

إن النفس المطمئنة هي التي تحكم إلى الإيمان وتستفيد في الحكم من العقل، وهي التي تشبع حاجات الدنيا وتلبِي مطالب الآخرة، النفس الأمارة هي التي تستجيب لنزغات الشيطان الذي يلبس عليها دينها وحياتها، فترى الخير قبيحاً؛ وترى القبيح جميلاً. وإن الظاهر الذي يبدو إما قلب صحيح قد التزم صاحبه بالإيمان، أو قلب مريض قد خضع صاحبه للشيطان، وإن بداية الأعمال الظاهرة خواطر أو أفكار باطنية، والنفس دائياً تعامل مع الخواطر والأفكار، وهذه تعامل مع الإرادات فإذا نجحت فإن الإرادات تأمر الجوارح، فيخرج العمل من الباطن إلى الظاهر.

### مقدمة

يقع موضوع الشخصية من علم النفس المعاصر موقع القلب من الجسم. وبالرغم من أن علم النفس يُعد من العلوم الحديثة نسبياً، إلا أنه قد تواردت عليه مدارس ونظريات

شتى تختلف باختلاف الظروف والثقافات التي نشأ فيها وأضعوها، حتى لا نكاد نرى مدرسة تتفق مع الأخرى في وجهتها.

ولأن دراسة الشخصية تعنى بشكل أو بآخر دراسة الجانب النفسي للإنسان بوجه عام، أو بمعنى أدق دراسة الأنماط المتسقة من سلوك الإنسان، كان من الطبيعي أن يصبح صعباً أن تتفق فيه الآراء أو يكون خاضعاً للتجربة المطلقة على النحو الذي تعرفه العلوم الطبيعية، فالإنسان قبل كل شيء مخلوق له خصوصيته من حيث الخلق والتكرير، له ظاهر قد يسهل في بعض الأحيان ملاحظته والحكم عليه، وله أيضاً باطن قد يصعب حتى على الفرد نفسه أن يلاحظه بدقة أو يفسرها تفسيراً مقبولاً.

وطالما أن دراسة الشخصية تأخذ في اعتبارها الأنماط المتسقة من سلوك الفرد؛ فإنها بغير شك لابد آخذة في اعتبارها المؤثرات الداخلية والمؤثرات الخارجية التي تؤثر في هذا السلوك. ومن هنا يصبح من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - أن نعزل دراسة شخصية الفرد عن البيئة المحيطة به. ومن هنا نجد أنه من غير المناسب أن يستعير أي مجتمع نظريات للشخصية تطورت في المجتمعات أخرى تختلف عنه في المعتقدات والعادات والقيم، ومن هنا أيضاً كان لابد للباحث المسلم أن يبحث عن التصور الإسلامي للشخصية أو بمعنى آخر أن يبحث في الشخصية من منظور إسلامي يقوم على التصور الإسلامي لطبيعة الإنسان من حيث الخير والشر، وعلى مفهوم إسلامي للدفاع، ومفهوم إسلامي للسلوك السوي والسلوك المنحرف.

من هذه المنطلقات تأتي هذه الدراسة كمحاولة للتعرف على التصور الإسلامي لشخصية المسلم كما يصورها العلامة ابن قيم الجوزية في جانب من مؤلفاته.

### التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية<sup>(١)</sup>

هو الإمام السلفي العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعبي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية.

وُلد الإمام ابن القيم سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٢ م) في بيت متواضع، ونشأ محباً للعلم

(١) انظر في ترجمة الإمام ابن القيم مقدمة المحقق لكتاب إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي (جزءان)، نشر دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.

والعلماء، منكباً على التحصيل، فكان مولعاً بجمع الكتب، كما كان يتفنن في ترتيبها وتبويتها. وقد تللمذ ابن القيم على أكثر علماء عصره، ودرس الفقه والتفسير والتوحيد واللغة والتاريخ، كما عُني عنابة خاصة بدراسة الفرق الإسلامية برعاية شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أخذ عنه الكثير ولازمه إلى آخر حياته، وأولع بكتاباته وانكب على دراستها، وقام بتهذيبها وتبويتها ونشرها بين الناس، وكان يتتصر له في جميع ما يصدر عنه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق من معتقله بعد موت شيخه ابن تيمية.

للعلامة الإمام ابن القيم تصانيف كثيرة عددها البعض بأكثر من ستين مصنفاً من أشهرها:

- \* زاد المعاد في هدي خير العباد (خمسة أجزاء).
- \* الروح.
- \* طريق المجرتين وباب السعادتين.
- \* إعلام الموقعين (أربعة أجزاء).
- \* تحفة المودود في أحكام المولد.
- \* أحكام أهل الذمة (مجلدان).
- \* إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (مجلدان).
- \* الفوائد.
- \* الوابل الصيب من الكلم الطيب.
- \* عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.
- \* الجواب الكافي (الداء والدواء).
- \* بدائع الفوائد.
- \* البيان في أقسام القرآن.
- \* مدارس السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ثلاث مجلدات).
- \* الطب النبوي (وهو جزء من زاد المعاد).
- \* مفتاح دار السعادة منشور ولاية أهل العلم والإرادة.
- \* روضة المحبين.

وقد توفى الإمام ابن قيم الجوزية عام ١٣٥٢هـ (١٧٥١م) مختلفاً وراءه حبة في قلوب تلاميذه، وثروة ذاخرة من العلم قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

### ما الشخصية؟

اختلف الباحثون اختلافاً بِيَنَّا في تحديد المفهوم النفسي للشخصية حتى إن ألبورت (Allport) - وهو من أبرز من اهتموا بالجانب التظري لفهم الشخصية - قد راجع ما يزيد على خمسين تعريفاً للشخصية قبل أن يضع تعريفه الخاص.

وفي اللغة فإن لفظة «شخص» كما يُعرفها الفيروزأبادي في القاموس المحيط معناها «سود الإنسان وغيره تراه من بُعد»<sup>(٢)</sup>.

ويدل هذا المعنى على عدم اكتمال التفاصيل لدى المشاهد، وهو معنى يعبر إلى حد بعيد عن فكرة الشخصية في علم النفس الحديث.

لقد جاء اصطلاح الشخصية في بعض اللغات الأوربية (مثلاً في اللغة الإنجليزية Personality) مشتقاً من الكلمة Persona معناها القناع، وهي ترجع إلى الأقنعة التي كان الممثلون في المسرح الإغريقي يضعونها على وجوههم للقيام بأدوار خاصة تعبّر عنها هذه الأقنعة، وانتقلت هذه الأقنعة بعد ذلك إلى المسرح الروماني، ولأن هذه الأقنعة كانت تحفي الملامح الحقيقة للممثل، فإن الظاهر الذي يبدو عليه هو الذي يعلق بأذهان المشاهدين، وهو يمثل جانباً من مفهوم الشخصية باعتبارها ذلك الجزء أو الجانب الذي يختاره الشخص ليظهر به أمام الناس.

لقد ظهرت تعريفات كثيرة للشخصية مع ظهور علم النفس باعتباره علماً مستقلاً، وانقسم الباحثون في رؤيتهم للشخصية إلى مجموعات متباعدة.

فالذين نظروا للشخصية على أنها القناع Persona (Mask) ينظرون إليها على أنها الذات العامة للشخص أي ذلك الجانب الذي يظهره للناس من نفسه أو الجانب الذي يختاره من أنفسنا لنعرضه للعالم، وهذا النوع من التعريفات يدل على أن هناك جانباً غير ظاهر من الشخصية<sup>(٣)</sup>.

(٢) مجـد الدين محمد بن يعقوب الفـيروزـأبـادي: القـامـوسـالمـحيـطـ، بـيرـوتـ: دـارـالفـكـرـ، ١٤٠٣ـهـ / ١٩٨٣ـمـ جـ٢ـ، صـ٣٠٦ـ.

(٣) انظر على سبيل المثال سيد غنيم: سـيـكـوـلـوـجـيـةـالـشـخـصـيـةـمـحـدـدـاتـهـاـ، قـيـاسـهـاـ، نـظـرـيـاتـهـاـ. القـاهـرـةـ، دـارـالـنهـضـةـالـعـرـبـيـةـ، ١٩٧٨ـمـ، وـانـظـرـأـيـضاـ:

أما المجموعة الثانية من التعريفات فتتعامل مع الشخصية باعتبارها المجموعة المركبة من الاستجابات، وتبعاً لهذه النظرة يكون الشخص هو ما يقوم به من أفعال. وتركز تعريفات الشخصية في هذه المجموعة على السلوك الظاهر وتقلل من أهمية المكونات غير الظاهرة (غير المرئية) من الشخصية، والذين يوافقون على هذا الرأي يقولون : إننا إذا أردنا أن نحدد خصائص شخصية إنسان ما فعلينا ببساطة أن نلاحظ كيف يسلك هذا الشخص في المواقف المتعددة .

وترى المجموعة الثالثة الشخصية كعملية داخلية تضبط السلوك ، وتتحدد شخصية الفرد عن طريق التفاعل الداخلي ، وتقع فيها نظريات الذات Self Theories ونظريات السمات Trait Theories ، فمثلاً يقال إن الفرد لديه خصائص معينة وهذه الخصائص تحديد وبالتالي كيف سيسلك هذا الفرد في موقف من المواقف ، وتبعاً لهذه النظرة فإنه لكي يغير الفرد من سلوكه فإن عليه أن يغير من خصائص شخصيته أو ذاته .

ويتفق معظم أصحاب نظريات الشخصية في علم النفس على أن شخصية الفرد يمكن أن توصف في صورة أنماط متسقة من السلوك ، فننزو عنها إلى الاستجابة بطريقة متسقة في المواقف المختلفة هو ما يعطينا هويتنا الفردية . إنها تلك الأنماط المتسقة من السلوك (المستقرة تقريرياً) هي التي تجعل من الممكن أن نتوقع سلوكنا في المستقبل بدرجة معينة من الدقة . وعندما يسلك شخص ما نعرفه جيداً بصورة غير متسقة مع سلوكه السابق الذي عرفناه به فإننا نقول على الفور: «إنه ليس هو فلان . . .» أو «لابد أن هناك شيئاً غير سلوكه» أو «إن هذا الشخص قد تبدل» . . . الخ .

وقبل أن نختم الحديث حول ماهية الشخصية نورد تعريفين للشخصية هما تعريف البورت (١٩٦١م) ، وتعريف مادي (١٩٨٠م) Maddi<sup>(٤)</sup> ، وهو واحد من المنظرين المعاصرين في مجال الشخصية .

(٤) انظر:

Selvatore Maddi, Personality Theories, A Comparative analysis (4th ed) New York, Academic Press, p.10, 1980.

وانظر أيضاً :

Gordon Allport, Pattern and Growth in Personality, New York: Holt, rinehart & Winston, p.88.  
1961.

### ١ - تعريف البورت (١٩٦١ م) Allport

عرف البورت الشخصية في كتاباته عام ١٩٣٧ م بأنها «ذلك التنظيم التفاعلي (الدينامي) داخل الفرد الذي ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التي تحدد توافقاته المترفة مع البيئة».

وفي عام ١٩٦١ م أعاد البورت صياغة هذا التعريف ليصبح على النحو التالي : «ذلك التنظيم التفاعلي (الدينامي) داخل الفرد والذي ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التي تحدد تميزه في السلوك والتفكير» (ص ٢٨).

### ٢ - تعريف مادي (١٩٨٠ م) Maddi

«الشخصية هي مجموعة مستقرة من الخصائص والنزوات التي تحدد تلك الجوانب المشتركة والاختلافات في السلوك النفسي للناس (الأفكار، والمشاعر، والتصرفات)، والتي يكون لها صفة الاستمرارية عبر الزمن ولا تعبّر ببساطة عن استجابات للضغوط الاجتماعية أو البيولوجية العابرة» (ص ١٠).

### نظريات الشخصية في علم النفس

سبق أن قلنا إن وجهات نظر الباحثين النفسيين تختلف اختلافاً بيناً فيما يتعلق بمفهوم الشخصية وما إذا كان هو ذلك الجانب الخارجي الذي نراه أم هو الجانب الداخلي الذي يحركه وما إذا كانت هذه الجوانب موروثة يأتي بها الإنسان للعالم أم إنها مكتسبة من خلال التعلم أثناء النمو والارتقاء الفردي .

وقد نظرت مدرسة التحليل النفسي للشخصية على أن مصدرها الطاقة النفسية والتي يستمدّها الفرد من غريزة الجنس المعبرة عن الحياة وغريزة العدوان المعبرة عن الموت ، وأن الشخصية تتركز حول مجموعة من الصراعات داخل الفرد بين «الهو» id باعتباره الجانب الخاص بالرغبات ، و«الأنما الأعلى» Superego باعتباره المعبّر عن الضمير أو صوت المجتمع و«الأنما» ego باعتباره الجانب المنظم للعلاقة بين الهو والأنما الأعلى ، وكذلك الصراع بين الشعور ، وما تحت الشعور ، واللاشعور ، والصراع بين تحقيق مبدأ اللذة وتحقيق مبدأ الواقع ، وبالتالي فإن الشخصية تمثل عملية دينامية مستمرة من الصراعات ينتج عنها حلول

هذه الصراعات هي التي نراها في الظاهر أو عدم وجود حلول مناسبة حيث تبدأ الدفاعات أو يسود القلق ومن رواد هذه المدرسة سيجموند فرويد S. Freud .

أما المدرسة العضوية فقد صورت الشخصية في صورة أنها مسلمة من التكوين أو البنية الجسماني للفرد ومن رواد هذه المدرسة شيلدون Sheldon وكريتشمر Kretchmer .

وقد نظر منظرو المدرسة السلوكية إلى الشخصية على أنها تقع بين مثيرات من البيئة واستجابات للفرد وأن شخصية الفرد تتحدد في تلك الاستجابات التي نراها وأنه ليس هناك جانب موروث من الشخصية بل كلها مكتسبة من البيئة بفعل قوانين الإشراط الكلاسيكي (بافلوف) أو الإجرائي (سكيين) أو من مشاهدة نماذج سلوكية (باندورا) وأن ذلك يتولد عنه عادات سلوكية هي التي تحدد شخصية الفرد .

وقد اعتبر كارل روجرز Rogers الشخصية في صورة كيان ذاتي للفرد، أو هي الذات التي يسعى الفرد لتحقيقها والتي يبيّنها من مجموعة الخبرات التي يمر بها والتي يدركها على أنها تتحقق التقدير الذاتي وتقدير الآخرين وتستوفي شروط الأهمية ، وأن الظاهر الذي يمكن أن تعرف عليه من الشخصية هو مفهوم الفرد عن ذاته Self Concept والذي يمثل الجانب المعرفي للذات. أما ألبروت، وكاتيل، وأيزينيك فقد اعتبروا الشخصية في صورة سمات داخلية تتفاعل مع الظروف البيئية لتنتج لنا السلوكيات التي يقوم بها الفرد أي الجانب الظاهر من شخصيته. وتحاول المدرسة المعرفية التي بدأت في التبلور منذ سنوات قليلة أن تركز على الجانب المعرفي ، من إحساس وإدراك وتدراك وتفكير واعتقادات ومفاهيم ، على أنه الجانب المهيمن على السلوك الذي نراه ظاهراً أمامنا .

ومهما كان من أمر تلك النظريات وأصحابها والافتراضات التي أدت إليها والنتائج التي تمخضت عنها فإنها في أكثرها أخفقت في تحديد واضح لما يمكن أن نطلق عليه «الشخصية» بحيث نربط عليه أموراً ذات أهمية مثل توقع السلوك Prediction أو تحديد انحراف السلوك Deviance أو وصف أساليب للعلاج النفسي Psychotherapy .

وقد جاء معظم هذه النظريات مستندًا إلى «فلسفات قديمة» أو «آراء شخصية» أو «ملاحظات عابرة» كما جاء الجزء القائم على «مشاهدات تجريبية» مفتقداً لإمكانية التعميم حيث كانت معظم التجارب على حيوانات المختبر، وشتان بين الإنسان الذي كرمه الله وبين الحيوان المسخر لأغراض حياته .

ومعظم نظريات الشخصية، إن لم تكن جميعها، قد أهملت الجانب الروحي في حياة الإنسان وفي سلوكه أو قلللت من أهميته، وهذا الإهمال هو الذي أفقد هذه النظريات مصداقيتها، فإننا لا نتصور إنساناً خلواً من الجانب الروحي، ومادام الأمر كذلك وكان الجانب الروحي ضمن حياة الإنسان فلاشك أن تأثيره على السلوك ومن ثم على الشخصية أمر واقع لا محالة.

لقد جاءت نظريات الشخصية التي يتداوها الباحثون في علم النفس، من بीئات وثقافات تراحت في التمسك بالدين والقيم بل وراح بعضهم مثل فرويد يهاجم الدين بينما أسقطه الباقيون - إلا القليل - من حساباتهم في تفسير السلوك.

وقد استقى بعض المُنظرين في مجال الشخصية، أفكاره عن الشخصية من ملاحظات للمرضى النفسيين مدخلًا إليها الجوانب الذاتية من شخصه، مما جعله ينبع نظرية مرضية! وأبرز الأمثلة على ذلك فرويد الذي وضع نظرية التحليل النفسي واعتبر فيها الإنسان في حالة دائمة من الصراع بين رغبات الجنس والعدوان من ناحية وبين رفض المجتمع لهذه الرغبات، وهذا الرفض يكون الفرد قد استدجنه أثناء النمو، وأن الإنسان حين يستجيب لهذا الصوت المرتفع صوت «الأننا الأعلى» فإنه يضطر إلى «كتب» هذه الرغبات (المخزية!) في مخزن اللاشعور ولكنها لا تفارق الفرد وإنما تعاود الهجوم عليه تارة في أحلامه وتارة في أقواله وتارة أخرى في صورة اضطراب ومرض نفسي يبدأ بالقلق ويترفع إلى أنواع متنوعة من الاختلالات النفسية.

ويرى الباحث أن الشخصية يمكن تعريفها من وجهة نظر إسلامية بأمّها: «مجموعة مستقرة من الخصائص والتصرفات التي ينطلق من المكونات الروحية والعقلية والبيولوجية للإنسان بها يجعله يفي بحاجاته الروحية والبدنية في صورة متوازنة وتعطيه تفرده في سلوكه وتفكيره».

وسوف ينطلق الباحث في دراسته لمجموعة من الجوانب العامة التي تحدد الشخصية من المنظور الإسلامي متوجهًا منها إلى خصائص شخصية المسلم وذلك في إطار استقرائه لفكر الإمام ابن قيم الجوزية كما يظهر في جانب من مؤلفاته، وعلى الرغم من تعددتها فإن المؤلف يرى أن محدودية البحث مرتبطة بمحدودية ما أمكنه الاطلاع عليه ومراجعته من مؤلفات ابن القيم يرحمه الله.

وتشتمل الدراسة على الجوانب التالية:

١ - الإنسان باعتباره مخلوقاً ذات خصوصية.

٢ - بنية الشخصية:

(١) وحدة النفس وحالاتها.

(ب) سمات الشخصية.

٣ - الوسطية والاعتدال في شخصية المسلم.

٤ - الجوانب المعرفية للشخصية.

٥ - الانفعالات.

٦ - الفروق الفردية.

٧ - نمو الشخصية.

٨ - اضطرابات الشخصية.

٩ - العلاج النفسي.

وبذلك فإن الباحث يتعامل مع جانب كبير من مكونات الشخصية وكذلك نموها

وانحرافها (الاضطرابات) وكيفية ردها إلى جادة الصواب والعلاج النفسي.

### جوانب الشخصية في فكر الإمام ابن قيم الجوزية

الإمام أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية من أئمة السلف المحدثين في الفقه والسيرة والتفسير، وكذلك في كثير من شؤون الحياة التي تناولها من منطلق إسلامي عميق. والمتصفح لكتاباته والقاريء لها بعمق يلمس أن هذه الكتابات قد تناولت في عمق وتمكن كثيراً من الجوانب التي يدخلها الباحثون المتخصصون تحت مفهوم الشخصية، فمن تناول للدّوافع (في كتاب الفوائد)، لتناول لبنية الشخصية (الروح، وإغاثة اللھفان)، إلى النمو (تحفة المودود)، إلى الجوانب المعرفية (الفوائد، وإعلام الموعين)، إلى أمراض القلوب (الداء والدواء، وإغاثة اللھفان)، إلى الانفعالات (مدارج السالكين). وسوف نعرض فيما يلي لمجموعة من الجوانب التي تحدد معالم الشخصية من منطلق إسلامي كما تستقرؤها في مجموعة من مؤلفاته وهي على وجه التحديد:

١ - الروح.

- ٢ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.
- ٣ - إعلام الموقعين.
- ٤ - مدارج السالكين.
- ٥ - تحفة المودود.
- ٦ - الفوائد.

### **أولاً: الإنسان باعتباره مخلوقاً ذات خصوصية**

لعل نظرة الإنسان لنفسه وتعرفه على كنه ذاته من الأمور التي لا يمكن للعقل وحده أن يدلها عليها، وهذا فإن المفهوم الإسلامي للإنسان من حيث الخلق والهداية هو المفهوم الصحيح الذي يمثل الحقيقة الباقية التي لا يمكن أن تنازعها نظرية. وقد اهتم الإمام ابن القيم بالحديث عن الإنسان بصورة يليخض فيها معالم هذا الكائن معتمداً في ذلك على الأصول الإسلامية القرآن والسنة. يقول - يرحمه الله - في كتابه *مدارج السالكين* (٥) :

«فاعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه، وخلقه لنفسه، وخلق كل شيء له، وخصه من معرفته ومحبته وقربه وإكرامه بما لم يعطه غيره. وسخر له ما في سماواته وأرضه وما بينها حتى ملائكته الذين هم أهل قربة، استخدمهم له وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته، وظعنده وإقامته، وأنزل إليه وعليه كتبه، وأرسله وأرسل إليه، وخطبه وكلمه منه وإليه، واتخذ منهم الخليل والكليم والأولياء والخواص والأخبار، وجعلهم معدن أسراره، وحمل حكمته، وموضع حبه، وخلق لهم الجنة والنار، فالخلق والأمر، والثواب والعقاب مداره على النوع الإنساني، فهو خلاصة الخلق وهو المصود بالأمر والنهي ، وعليه الثواب والعقاب .

فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات، وقد خلق أباه بيديه ، ونفع فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأظهر فضله على الملائكة فمن دونهم من المخلوقات ، وطرد إبليس عن قربه وأبعده عن بابه ، إذ لم يسجد له مع الساجدين ، واتخذه عدواً له ». (*مدارج السالكين ج ١ ص ٢٣٢*).

(٥) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية): *مدارج السالكين بين منازل* «إياك نعبد وإياك نستعين» (ثلاثة أجزاء) القاهرة: دار الحديث: دون تاريخ (ص ٢٣٢). والكتاب شرح *كتاب (منازل السالكين)* للهروي.

هكذا جمع ابن القيم الخصائص الأساسية للإنسان في تلك العبارات الموجزة التي شملت الجوانب الآتية:

- ١ - خاصية التكريم والتفضيل على كثير من المخلوقات.
- ٢ - تسخير ما في الكون لحياة الإنسان.
- ٣ - إرسال الرسل لهدايته.
- ٤ - تفضيل بعض الخلق وخصوصيتهم.
- ٥ - التكليف.
- ٦ - المسؤولية.
- ٧ - العبودية.

وهذه الخصوصية، وهذا التكريم لها أهمية كبرى في تصوير شخصية الإنسان فهي جوانب ترقى بالإنسان عن أن نسباويه بالكائنات الشهوية (الحيوانات) كما فعل فرويد حين اعتبر غريزتي الجنس والعدوان المحرّكات الأساسية لسلوك الإنسان وحين ربط بين نمو الطفل وبين غريزة الجنس حتى إنه قسم مراحل النمو إلى مراحل نفسية جنسية.

والإنسان الذي كرمته خالقه جلّ وعلاً على سائر خلقه، وشرفه بأن خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل المخلوقات، هذا الإنسان لا بد أن يكون مفطوراً على الخير وليس موجهاً ببواطن الشر كما يرى فرويد ومن يشاعره في آرائه. كما أنه لا بد أن يحمل في فطرته ما يتقرب به إلى خالقه جلّ وعلاً ويجعله يدين له بالعبودية وإسلام الوجه، ولا يكون كما ترى المدرسة السلوكية مجرد صنيعة من صنائع البيئة تحدد سلوكياته فتستحيل إلى عادات لا إرادة له فيها ولا توجيه لها من داخله.

إن وصف الإنسان بهذه الأوصاف التي أجملها ابن القيم، يجعل كل باحث نفسي يتوقف ويتذكر، بل ويرفض أي نظرية تهبط بهذا الإنسان عن درجة التكريم التي منحها الله له.

إن نظريات الشخصية التي ظهرت في مجال علم النفس سواء منها ما أخذ السلوك الظاهر على أنه الشخصية، أو تلك التي اعتبرت ما يمكن أن يكون بداخل الفرد من صراعات بين الرغبات والقيم والشعور واللاشعور، أو التي رأت أنه يرث مجموعة من السمات توجه سلوكه في البيئة بتفاعله معها. هذه النظريات كلها قد أغفلت حقيقة خلق

الإنسان وذلك الجانب الروحي الذي يحركه في الحياة دخولاً وخروجاً مولداً وموتاً وبعثاً، ويؤثر على سلوكياته النفسية كافة: عقلية أو عاطفية أو إجرائية، والغاية من خلقه وهي عبادة الله وحده وهي بذلك قد نظرت إلى السلوك نظرة جامدة حيث لا مرجع يوجه حركة الإنسان سوى ظروف كل فرد ومن هنا يظهر ما وقعت فيه هذه النظريات من قصور شديد.

يقول نجاتي (١٩٨٤م):<sup>(٦)</sup>

«غير أن علماء النفس المحدثين قد أغفلوا في دراستهم للشخصية تأثير الجانب الروحي من الإنسان في شخصيته وسلوكه مما أدى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان وفي معرفتهم للعوامل المحددة للشخصية السوية وغير السوية، كما أدى إلى عدم اهتمائهم إلى مفهوم واضح دقيق للصحة النفسية، وأدى ذلك وبالتالي إلى عدم اهتمائهم إلى الطريقة المثلثة في العلاج النفسي لاضطرابات الشخصية».

«وقد لاحظ إريك فروم Fromm المحلل النفسي قصور علم النفس الحديث وعجزه عن فهم الإنسان فهماً صحيحاً بسبب إغفاله دراسة الجانب الروحي في الإنسان. ويبدو ذلك واضحاً من قوله: «إن التقليد الذي يعد السيكولوجيا دراسة لروح الإنسان دراسة تهتم بفضائله وسعادته - هذا التقليد نبذ تماماً، وأصبح علم النفس الأكاديمي في محاولته لمحاكاة العلوم الطبيعية والأساليب المعملية في الوزن والحساب - أصبح هذا العلم يعالج كل شيء ماعدا الروح، إذ حاول هذا العلم أن يفهم مظاهر الإنسان التي يمكن فحصها في المعمل، وزعم أن الشعور وأحكام القيمة، ومعرفة الخير والشر، ما هي إلا تصورات ميتافيزيقية تقع خارج مشكلات علم النفس، وكان اهتمامه ينصبُ في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتمشى مع منهج علمي مزعوم، وذلك بدلًا من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان المهمة. وهكذا أصبح علم النفس عملاً يفتقر إلى موضوعه الرئيس وهو الروح وكان معنىًّا بالميكانيزمات، وتكتوبات ردود الأفعال والغرائز، دون أن يعني بالظواهر الإنسانية المميزة أشد التمييز للإنسان كالحب والعقل والشعور والقيم».

وهذا القصور في فهم علماء النفس المحدثين للإنسان قد دفع إبراهام ماسلو Maslow

(٦) محمد عثمان نجاتي: مفهوم الصحة النفسية في القرآن الكريم والحديث الشريف. نشرة الطب الإسلامي، العدد الثالث، الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الثالث عن الطب الإسلامي، الجزء رقم ٥، أكتوبر ١٩٨٤م، الكويت.

أيضاً إلى اقتراح تصنف جديد لد الواقع الإنساني يشمل الد الواقع الروحية التي يغفلها عادة علماء النفس المحدثون.

إننا لا نستطيع أن نفهم الإنسان فهـا واضحـاً دقـياً، كما لا نستطيع أن نكون مـفهـومـاً دقـياً وسلـبيـاً عن صـحتـه النفـسـيـة دون أن نـفـهم جميع العـوـاـمـلـ الـمـحـدـدـةـ لـشـخـصـيـةـ إـلـإـنـسـانـ، سواء أـكـانـتـ عـوـاـمـلـ بـيـولـوـجـيـةـ أـمـ روـحـيـةـ أـمـ اـجـتـمـاعـيـةـ أـمـ ثـقـافـيـةـ» (نجـاتـيـ، ١٩٨٤ـ، صـ٥٠٧ـ، ٥٠٨ـ).

ونتابع مع ابن القيم حديثه عن الإنسان حيث يختص من اهتمـى بالإيمـانـ بـخـصـوصـيـةـ الـخـيـرـيـةـ فيـقـولـ رـحـمـهـ اللهـ : (٧)

«فـالمـؤـمـنـ مـنـ نـعـمـتـهـ عـلـيـهـ خـيـرـ الـبـرـيـةـ عـلـىـ الإـطـلـاقـ. وـخـيـرـ اللهـ مـنـ الـعـالـمـيـنـ، فـإـنـهـ خـلـقـهـ ليـتـ نـعـمـتـهـ عـلـيـهـ، وـلـيـتوـاتـرـ إـحـسـانـهـ إـلـيـهـ. وـلـيـخـصـهـ مـنـ كـرـامـتـهـ وـفـضـلـهـ بـهـاـ لمـ تـنـلـهـ أـمـنـيـتـهـ، وـلـمـ يـخـطـرـ عـلـىـ بـالـهـ وـلـمـ يـشـعـرـ بـهـ، لـيـسـأـلـهـ مـنـ الـمـوـاهـبـ وـالـعـطـاـيـاـ الـبـاطـنـةـ وـالـظـاهـرـةـ الـعـاجـلـةـ وـالـأـجـلـةـ، الـتـيـ لـاـ تـنـالـ إـلـاـ بـمـحـبـتـهـ، وـلـاـ تـنـالـ مـحـبـتـهـ إـلـاـ بـطـاعـتـهـ وـإـيـشـارـهـ عـلـىـ مـاـ سـوـاهـ، فـاتـخـذـهـ حـبـوـبـاـ لـهـ، وـأـعـدـ لـهـ أـفـضـلـ مـاـ يـعـدـ مـحـبـ غـنـيـ قـادـرـ لـحـبـوـبـ إـذـاـ قـدـمـ عـلـيـهـ. وـعـهـدـ إـلـيـهـ عـهـدـاـ تـقـدـمـ إـلـيـهـ فـيـهـ بـأـوـامـرـهـ وـنـوـاهـيـهـ. وـأـعـلـمـهـ فـيـ عـهـدـهـ مـاـ يـقـرـبـهـ إـلـيـهـ، وـبـزـيـدـهـ مـحـبـهـ لـهـ وـكـرـامـةـ عـلـيـهـ، وـمـاـ يـبـعـدـهـ مـنـهـ وـيـسـخـطـهـ عـلـيـهـ وـيـسـقطـهـ مـنـ عـيـنـهـ . . . » (مدارج السالكين ج ١ ص ٢٣٢).

## ثانياً: بنية الشخصية

يمكن أن نتعرف على بنية الشخصية في فكر الإمام ابن القيم من تعرفنا على مجموعة من الجوانب المتصلة بها مثل وحدة النفس وحالاتها، وسمات الشخصية، واعتدال الشخصية، والجوانب المعرفية، والانفعالات وغيرهاتناوله فيما يلي :

### (١) وحدة النفس وحالاتها

ناقـشـ الإـمامـ ابنـ قـيـمـ الجـوزـيـةـ مـسـأـلـةـ وـحدـةـ النـفـسـ وـحـالـاتـهـ، وـهـلـ النـفـسـ وـاحـدـةـ أـمـ هـنـاكـ ثـلـاثـ أـنـسـفـ أـمـارـةـ وـمـطـمـئـنـةـ وـلـوـامـةـ. وـقـدـ أـفـرـدـ هـذـهـ الـمـنـاقـشـةـ صـفـحـاتـ عـدـيـدـةـ فيـ مـجـمـوعـةـ مـنـ مـؤـلـفـاتـهـ وـبـصـفـةـ خـاصـةـ فـيـ كـتـابـيـ الرـوـحـ، وـإـغـاثـةـ اللـهـفـانـ مـنـ مـصـائـدـ الشـيـطـانـ.

(٧) مـارـاجـ السـالـكـينـ: مـرـجـعـ سـابـقـ، جـ ١ـ صـ ٢٣٢ـ.

يقول رحمة الله في كتابه إغاثة اللھفان من مصائد الشیطان: <sup>(٨)</sup> «وقد وصف سبحانه النفس في القرآن بثلاث صفات، المطمئنة، والأمارۃ بالسوء، واللومۃ. فاختلف الناس: هل النفس واحدة وهذه أوصاف لها أم للعبد ثلات أنفس؟ نفس مطمئنة، ونفس لومۃ، ونفس أمارۃ: فالأول قول الفقهاء والتكلمين وجمهور المفسرين، وقول محققی الصوفیة، والثاني قول كثير من أهل التصوف.

والتحقيق: إنه لا نزاع بين الفريقين؛ فإنها واحدة باعتبار ذاتها، وثلاث باعتبار صفاتها. فإذا اعتبرت بنفسها فهي واحدة، وإن اعتبرت مع كل صفة دون الأخرى، فهي متعددة، وما أظنهم يقولون إن لكل أحد ثلات أنفس: كل نفس قائمة بذاتها مساوية للأخرى في الحد والحقيقة، وأنه إذا قبض العبد قبضت له ثلات أنفس كل واحدة مستقلة بنفسها.

وحيث ذكر سبحانه النفس وأضافها إلى أصحابها، فإنها ذكرها باللفظ الإفراد، وهذا في سائر الأحاديث، ولم يرد في موضع واحد «نفوسك» أو «نفوسه» ولا «أنفسك» و«أنفسه» وإنما جاءت مجموعة عند إرادة العموم كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوْجَتْ﴾، (التكوير: ٧). أو عند إضافتها إلى الجمع كقوله ﷺ: «إنما أنفسنا بيد الله». [ص ٧٥، ٧٦]

ويناقش الإمام ابن القيم المسألة نفسها في كتابه: «الروح» فيقول: <sup>(٩)</sup>

\* المسألة الحادية والعشرون: وهي هل النفس واحدة أم ثلات؟

فقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلات أنفس، نفس مطمئنة، ونفس لوماة، ونفس أمارۃ. وأن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه الأخرى، ويحتاجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النُّفُوسُ الْمُطْمَئِنَاتُ﴾. (الفجر: ٢٧)، وبقوله تعالى: ﴿لَا أَقْسُمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا أَقْسُمُ بِالنُّفُوسِ الْلَّوَمَاتِ﴾. (القيامة: ١، ٢)، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ النُّفُوسَ لِأَمَارَةِ بَالسُّوءِ﴾. (يوسف: ٥٣). والتحقيق: أنها نفس واحدة ولكن

(٨) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أبي أيوب (ابن قيم الجوزية) إغاثة اللھفان من مصائد الشیطان (جزءان)، بيروت: دار المعرفة، دون تاريخ، ج ١.

(٩) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أبي أيوب (ابن قيم الجوزية) الروح لابن القيم: في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل، من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ھ - ١٩٨٢م، ص ٢٩٤ وما بعدها.

لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم، فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنيتها إلى ربه بعبدايتها ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكنون إليه... . وأما النفس اللوامة وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْلَّوَامَةِ﴾ (القيمة: ٢). فاختلف فيها فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حال واحدة، أخذناها اللحظة من التلوم وهو التردد، فهي كثيرة التقلب والتلون، وهي من أعظم آيات الله... . وقالت طائفة: اللحظة مأخوذة من اللوم ثم اختلفوا فقالت فرقه: هي نفس المؤمن وهذا من صفاتها المجردة. قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائمًا يقول ما أردت بهذا؟ لم فعلت هذا؟ كان هذا أولى أو نحو هذا من الكلام؛ وأما النفس الأمارة فهي المذمومة التي تأمر بكل سوء، وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتتها وأعانتها فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله كما قال تعالى حاكياً عن امرأة العزيز: ﴿وَمَا أَبْرَءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ . (يوسف: ٥٣).

وقد امتحن الله سبحانه وتعالى الإنسان بهاتين النفسيتين الأمارة واللوامة كما أكرمه بالطمئنة، فهي نفس واحدة تكون أمارة ثم لوامة ومطمئنة، وهي غاية كمالها وصلاحها... .

وقد أفاد الإمام ابن القيم في الحديث عن صفات أو خصائص النفس المطمئنة فكأنه بذلك يتحدث عن صفات فرعية تتفرع عن صفة الطمأنينة وهي التي يسعى المؤمن لتحقيقها عبر حياته، ثم تناول بالحديث النفس الأمارة وهي التي تهوي بالإنسان إلى مدارك الشهوات، وقد عبر عنها في كتاب الروح باسم النفس السحارة لأنها كما يقول<sup>(١٠)</sup> «تسحر العقل والقلب فتأتي إلى أشرف الأشياء وأفضلها وأجملها فتخرجه في صورة مذمومة، وأكثر الخلق صبيان العقول، أطفال الأحلام، لم يصلوا إلى حد الفطام الأول عن العوائد والمؤلفات فضلاً عن البلوغ الذي يميز به العاقل البالغ بين خير الخرين فيؤثره وشر الشررين فيجتنبه» [ص ٣٠٧].

والإمام ابن القيم لم يكن أول العلماء المسلمين في مناقشة هذا التقسيم لحالات النفس والمستوى من آيات الكتاب الحكيم، فقد سبقه لذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك أبو حامد الغزالى، إلا أن ابن القيم قد أفاد في مناقشة وبيان هذه المسألة

(١٠) ابن القيم: الروح (مرجع سابق) ص ٣٠٧.

بشكل مستفيض ، وفي أكثر من مؤلف من مؤلفاته ، وربما كانت أطول مناقشة خص بها هذه المسألة هو ما ورد في كتابه «الروح» حيث قارن الصفات والخلق المنبعين من النفس المطمئنة بتلك المنبعثة عن النفس الأمارة . وهذه المقارنة الرائعة تدل على عمق المعرفة بالإنسان وسلوكه وعمق المقدرة على التحليل والمقارنة .

وقد حاول بعض الباحثين المحدثين في مجال الدراسات النفسية من المسلمين أن يعهدوا موازنة بين تلك الصفات للنفس التي تحدث عنها الإمام ابن القيم ومن سبقه من علماء المسلمين ، والتي استندوا فيها إلى المنهج الإسلامي قرآنًا وسنة ، وحالات أو أنظمة العقل التي تحدث عنها فرويد (الهو - الأنا - والأنا الأعلى ) ، إلا أنها لا تتوافق على مثل هذه المناظرة أو المقارنة ، فالباحث المدقق يجد بوناً شاسعاً بين ما يقرره علماء المسلمين وبصفة خاصة الإمام ابن القيم وبين ذلك الذي تخيله فرويد . ذلك أن علماء المسلمين حين يعرضون للصفات العامة الثلاث للنفس : الأمارة ، واللوامة ، والمطمئنة فإنها تكون معايير تحديد هذه الصفات واضحة أمامهم في ضوء المنهج الإسلامي وهي معايير متعددة تعدد الصفات التي يوصف بها المؤمنون الذين يتصرفون بالنفس المطمئنة والصفات التي يوصف بها من عداهم الذين تسيطر عليهم النفس الأمارة بالسوء وهذه المعايير تبدأ من العقيدة فالعبادات فالمعاملات ومكارم الأخلاق ، بينما فرويد قد بنى أنظمته على مجرد تصور قائم على أن سلوك الإنسان توجهه غريزتا الجنس والعدوان .

وما يذكر أن باحثاً غربياً هو إيريك بيرن Berne (١٩٦١م)<sup>(١)</sup> الذي افترض أن للإنسان ثلاثة جوانب يمثلها في الوالد ، والراشد ، والطفل ، وهي تقرب من تقسيم فرويد ، فالأب يمثل الضمير والراشد يمثل العقل والطفل يمثل اللهو ، هذا الباحث يرفض أن يقارن نظامه مع نظام فرويد على أساس أن نظام فرويد لا يمكن أن نقف عند لحظة ما ، ونقول : إن هذا الشخص يعيش الآن حالة تسيطر فيها الهو أو الأنا أو الأنا الأعلى بينما يمكن تبعاً لنظرية بيرن (تحليل التعاملات Transactional Analysis) أن نتعرّف حالة الفرد (والد ، راشد ، طفل) من خلال تحليل المحاور التي تجري بينه وبين شخص آخر ، فكيف يسمح

(١) إيريك بيرن E. Berne هو صاحب نظرية العلاج بتحليل التحويلات Transactional Analysis لاطلاع على تلك النظرية انظر :

باحث مسلم لنفسه أن يعقد مثل هذه الماكرة، بينما المنطلقات التي ينطلق منها الباحث المسلم، وهي منطلقات العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد وشريعة الإسلام، وأوضحة العالم صريحة المعايير محددة بحدود واضحة لكل مسلم؟

﴿قد تبين الرشد من الغي﴾. (البقرة: ٢٥٦).

﴿وتلك حدود الله بيبيها لقوم يعلمون﴾. (البقرة: ٢٣٠).

﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾. (البقرة: ٢٢٩).

﴿يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾. (النساء: ١٧٦).

وعلى حين يحدد المنهج الإسلامي بوضوح الغاية العليا لخلق الإنسان، وهي عبادة الله وحده تصديقاً لقوله تعالى:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. (الذاريات: ٥٦).

﴿قل إن صلاتي ونسكي وحيائي وعاتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾. (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

نجد من الناحية الأخرى أن «فرويد» في نظريته للتحليل النفسي قد جعل المحرك الأساس لسلوك الإنسان هو غريزة الجنس وغريزة العدوان، وراح يفسر بهاتين الغريزتين كل مظاهر السلوك؛ الحسن منها والقبح، وقد أدى ذلك الاضطراب في التصور، والذي بناه على خيال مريض وتعامل مع المرضى النفسيين، أدى ذلك إلى معارضة قوية من زملاء وتلاميذ له.

لقد هبط فرويد، بهذه المغالاة في الدور الذي يقوم به الجنس أو العدوان، بالإنسان الذي كرمه الله، هبوطاً سحيقاً واحتزل الإنسان المكرم، والمكلف، والمسؤول، والعابد، والعاقل إلى مستوى البهائم التي تحركها الشهوات، ونحن نقرأ في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد وصف أناساً بأنهم كالأنعام؛ لأنهم ابتعدوا عن الهدى وأصبحت حياتهم دائرة حول حاجتهم الشهوانية كالجنس والطعام... وأغلقوا عقولهم عن أن تصل إليها معالم الحق والهدى وانشغلوا بالدنيا واعتبروها غايتها.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾.

(التوبية: ٣٨).

ويقول :

﴿وَيَوْمَ يُعَرِّضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَبَاتِكُمْ فِي حَيَاكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تَحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْكُنُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسِقُونَ﴾ . (الأحقاف : ٢٠).

ويقول أيضًا :

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقُلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ . (الفرقان : ٤٤).

وعلى حين اعتبر فرويد أن الإنسان ينطلق في سلوكه من طبيعة شريرة فإن الإسلام يقرر أن الإنسان قد فطر على الخير وأنه يأتي إلى الدنيا على فطرة الإسلام فطرة الخير، يقرر القرآن ذلك وتقرره السنة النبوية أيضًا.

يقول الله تعالى :

﴿وَإِذَا أَخْذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظَهُورِهِمْ ذَرِيتُهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلْسُتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلِّي شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَا كَنَا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ . (الأعراف : ١٧٢).

ويقول سبحانه :

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . (الروم : ٣٠).

ويقول الرسول ﷺ :

«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». (متفق عليه).  
والإنسان وهو مفطور على الخير، فإنه يقبل الشر حيث يتعلمه من بيته بدءًا من أسرته ومن أبيه بشكل خاص إذا كان ذلك منهجهما في الحياة، لكنه أيضًا يعود إلى الخير إذا ذكر به وأرشد إليه وشاء الله أن يهديه.

شتان بين أن نظر للإنسان تلك النظرة الوضعية التي نظر إليها بها «فرويد» وأن ننظر لهذا الإنسان تلك النظرة العالية التي كرمه فيها الإسلام بتكريم خالقه جل وعلا له، وبالتزامه بغاية خلقه عبادة الله، ووظيفة حياته، الخلافة في الأرض وعمرانها، فإنه يستمر في انطلاقه من هذه الفطرة، فطرة إسلام الوجه لله والإيمان به سبحانه، فطرة الخير والسلام. نعود إلى القول إنه لا وجه لمقارنة أو ماثلة بين فكرة سطحية، نشأت كما يقول

أصحاب المدرسة الإنسانية في علم النفس، من عمل مع مرضى النفوس فما كان لها أن تعطينا غير منظور مريض للإنسان وسلوكه ودراوشه، وبين عمق المنهج الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، المنهج الذي يقرر أن النفس خلقت على السواء على الصحيح وأنها تقبل مفطورة على الخير لا تستعصي على الشر وأن الخير واضح ومحدد والشر معروف ومحدد. وصدق الله العظيم:

﴿ونفس وما سواها. فألمّها فجورها وتقوها. قد أفلح من زكاهـا. وقد خاب من دساهـا﴾.

(الشمس: ١٠-٧).

### (ب) سمات الشخصية

السمة في علم النفس الحديث هي «بنية عقلية تعمل على بدء الاستجابات وتوجهها وبذلك فهي ذات أهمية في الاتساق الذي يظهر في سلوك الفرد». (ألبورت ١٩٣٧م، ص ٢٨٩)<sup>(١٢)</sup>.

وتعتبر النظرة إلى الشخصية على أنها تتكون من مجموعة من السمات، التي توجه الاستجابة إزاء مثيرات معينة وتعمل على وجود الاتساق في سلوك الفرد، وجهة من وجهات دراسة الشخصية التي بدأت في التبلور منذ قيام ألبورت وأودبيرت Allport (١٩٣٦م)<sup>(١٣)</sup> & بفحص مجموعة من الصفات المتداولة في وصف الناس وصل عددها إلى ١٧٩٥٣ صفة.

وقد عاد ألبورت (١٩٦١م)<sup>(١٤)</sup> فعرف السمة بأنها: «بناء عصبي نفسي له إمكانية اعتبار عديد من المثيرات على أنها متكافئة وظيفياً، وأن يؤدي إلى بدء وتوجيه صور متسقة من السلوك التكيفي والتعبيرـي». (ألبورت ١٩٦١م، ص ٣٤٧).

: (١٢) ألبورت

Gordan Allport (1937) Personality: A psychological Interpretation New York: Henry Holt.

: (١٣) ألبورت وأودبيرت

Gordon Allport & H.S. Odbart (1936) Trait Names: A psycho-Lexical Study Psychological Monographs, 47, No.211, 1-171.

: (١٤) ألبورت (١٩٦١م) مرجع سابق، ص ٣٤٧

إن السمات في رأي ألبورت هي المسؤولة عن الاتساق في سلوك البشر، وأنه لا يوجد شخصان لديهما السمات نفسها تماماً فإن كلاً منها يواجه الخبرات البيئية بشكل مختلف. وعلى سبيل المثال فإن الشخص الذي لديه سمة الألفة والودة سيستجيب للغريب بشكل مختلف عن شخص لديه سمة التشكيك، وفي كلتا الحالتين فإن المثير واحد، ولكن الاستجابات مختلفة لوجود سمات مختلفة تشارك فيها أو كما يقول ألبورت معبراً عن ذلك<sup>(١٥)</sup>.

«إن النار التي تصهر الزيد هي نفسها التي تقسي البيض (تحعله صلباً)» (ألبورت ١٩٦١م، ص ٣٤٧). ويفقق الباحث مع ألبورت في هذا التعريف للسمة.

ولقد تعددت تصنيفات الباحثين في مجال علم النفس للسمات ولعددها، فمنهم من جعلها عديدة ومنهم من اختصرها اختصاراً شديداً ووضعها في صورة أبعاد، وقد حاول بص وفين (١٩٨٧م) Buss & Finn<sup>(١٦)</sup> تصنيفاً جديداً للسمات تحت فروع نزوعية (أعمال وتصرفات) مثل السيطرة والتمرد والعدوان والوصولية والغيرية والعطاء والنجد، ووجودانية مثل الخجل والخزي والتعاطف والاستياء والتأمّل والاهناء والغضب والخوف، ومعرفية مثل الوعي بالذات ومركز ضبط التعزيز والتخلق وتقدير الذات والثقة في الآخرين والتبلد والتشكل حسب الموقف... الخ.

إذا رجعنا إلى ما كتبه الإمام ابن القيم في هذا الخصوص نجده في كتاب الروح قد أفرد له فصولاً في أعقاب حديثه عن صفات النفس: الأمارة، واللومة، والمطمئنة. وابن القيم في هذا التناول يصوغ موضوع السمات صياغة إسلامية رائعة، فهو لا يأخذ السمة ولا ما ينطلق عنها من سلوكيات (أفعال وأخلاق) في صورة مجردة ولكنه يأخذها من بوتقة الإسلام مصهورة فيها مختلطة بأسواعه. وبذلك فقد يكون أمامنا في الظاهر سلوك ينم عن صفة أو سمة معينة ولكنه في الواقع لا ينطلق من النفس المطمئنة التي تعبر عن الشخصية الصحيحة إسلامياً وإنما ينطلق من النفس الأمارة بالسوء.

يقول رحمة الله في الحديث عن «النفس الأمارة»<sup>(١٧)</sup>:

(١٥) ألبورت (١٩٣٧م) مرجع سابق، ص ١٠٢.

(١٦) انظر بص وفين:

«أعجب من ذلك أنها تضاهي ما يحبه الله ورسوله من الصفات والأخلاق والأفعال بما يبغضه منها، وتلبيس على العبد أحد الأمرين بالأخر، ولا يخلص من هذه إلا أرباب البصائر، فإن الأفعال تصدر عن الإرادات، وتظهر على الأركان من النفسيين الأمارء والمطمئنة في تبادل الفعلان في الباطن ويستبهان في الظاهر... ولذلك أمثلة كثيرة منها المداراة والمداهنة: فال الأول من المطمئنة والثاني من الأمارة. وخشوع الإيمان وخشوع النفاق، وشرف النفس والتيه، والحمىّة والجفاء، والتواضع والمهانة، والقوة في أمر الله والعلو في الأرض، والحمىّة لله والغضب له والحمىّة للنفس والغضب لها، والجود والسرف، والمهابة والكبر، والصيانت والتکبر، والشجاعة والجرأة، والخزم والجبن، والاقتصاد والشح، والاحتراز وسوء الظن، والفراسة والظن، والنصيحة والغيبة، والهدية و الرشوة، والصبر والقسوة، والعفو والذل، وسلامة القلب والبله والغفلة، والثقة والغرة، والرجاء والتمني، والتحدث بنعم الله والفاخر بها، وفرح القلب وفرح النفس، ورقة القلب والحزع، والمحاجدة والخذل، والمنافسة والحسد، وحب الرياسة وحب الأمارة والدعوة إلى الله، والحب لله والحب مع الله، والتوكيل والعجز، والاحتياط والموسعة، وإلهام الملك وإلهام الشيطان، والأناة والتسويف، والاقتصاد والتقصير، والاجتهاد والغلو، والنصيحة والتأنيب، والمبادرة والعجلة، والإخبار بالحال عند الحاجة والشكوى....». (الروح ص ٣١٠).

ولعل الإمام ابن القيم في هذه الفقرة الموجزة التي جمع فيها العديد من السمات قد أبرز المنهج الإسلامي فهو لا يأخذ السلوك الظاهر وحده في الحسبان لبيان ما إذا كانت السمة سوية أو معتلة، وإنما يبحث عن المنطلق الذي تنطلق منه. وهو يرى أن الأفعال تصدر عن الإرادات ويعني هذا أن السلوك الظاهر (ال فعل) تحكمه الإرادة وهي (أي الإرادة) جانب معرفي، وهو سبق للعلامة ابن القيم على علم النفس الحديث وبصفة خاصة ما نادت به المدرسة السلوكية من أن الأفعال تخضع لمثيرات خارج الشخص من البيئة وليس لها توجيه داخلي. إلا أن هذه الأفعال في رأي ابن القيم تعود لتفاعل مع البنية السائدة أو الصفة السائدة للنفس فإذا صدرت عن النفس الأمارة فإن مجرى الفعل ومقصده و نتيجته تختلف عما لو صدرت عن النفس المطمئنة فالنفس المطمئنة تدعى صاحبها للتواضع في كل موقف في حين أن النفس الأمارة تأخذ السلوك الظاهر نفسه وتجعله في شكل مهانة أو تصوره لصاحبها بأنه مهانة. وهنا يكون الحكم على السلوك أمراً يرتبط بالصفة الغالية للنفس : مطمئنة؟ أم أمارة؟

ولعل هذا التمييز الذي فصله الإمام ابن القيم حين بدأ في عقد المقارنات بين الأعمال المشابهة في الظاهر المتباينة في الباطن، وفي ميزان الحكم عليها بين نفس مطمئنة ونفس أماراء، هذا التمييز قائم على علم وأفق واسعين قد تعجز عن الوصول إليه الأساليب الإحصائية التي تتعدد مسمياتها بين تحليل عاملي، وتحليل جمومعات Cluster Analysis ، وتحليل عاملی توکیدی Confirmatory Factor Analysis ، وتحليل للأبنية Structural Analysis وغيرها لأن هذه الأساليب تعتمد على الصورة الظاهرة بل والمزيفة أحياناً من خلال إجابة نمطية على أسئلة مقياس. أما التمييز الذي يقومه العلامة ابن القيم فهو تمييز يعتمد على المنهج الإسلامي الذي يجعل صاحب السلوك ومشاهده يتقيان على الحكم عليه.

ففي المقارنة بين رقة القلب (صورة انفعالية للتعاطف) وبين الجزع الذي قد يكون في ظاهره شبهاً برقة القلب ولكنه يصدر عن اضطراب شديد، يقول الإمام ابن القيم :<sup>(١٨)</sup>

«والفرق بين رقة القلب والجزع، أن الجزع ضعف في النفس وخوف في القلب يمده شدة الطمع والحرص ويولد من ضعف الإيمان بالقدر، وإن فتى علم أن المقدر كائن ولا بدّ كان الجزع عناء مخضاً ومصيبة ثانية، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مَصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَّا نَبَرَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. لَّكِي لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتُكُمْ وَلَا تَفْرَحُو بِمَا آتَكُمْ﴾ . (الحديد: ٢٢ ، ٢٣)، فمتى آمن العبد بالقدر وعلم أن المصيبة مقدرة في الحاضر والغائب لم يجزع ولم يفرح. ولا ينافي هذا رقة القلب، فإنها ناشئة من صفة الرحمة التي هي كمال، والله سبحانه إنما يرحم من عباده الرحماء، وقد كان رسول الله ﷺ أرق الناس قلباً وأبعدهم عن الجزع، فرقة القلب رأفة ورحمة، وجزعه مرض وضعف.

فالجزع حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه دخان النفس الأمارة فأخذ بأنفاسه وضيق عليه مسالك الآخرة وصار في سجن الهوى والنفس، وهو سجن ضيق الأرجاء مظلم المسالك. فانحصر القلب وضيقه يجعله يجزع من أدنى ما يصيبه ولا يتحمله، فإذا أشرقت فيه نور الإيمان واليقين بالوعد وامتلاً من محبة الله وإجلاله رق وصارت فيه الرأفة والرحمة فتراه رحيمًا رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم ، يرحم النملة في جحرها والتير في وكره فضلاً

---

(١٨) ابن القيم: الروح، مرجع سابق، ص ٣٣٨.

عن بني جنسه فهذا أقرب القلوب من الله. قال أنس: كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالعيال. والله سبحانه إذا أراد أن يرحم عبداً أسكن في قلبه الرأفة والرحمة. وإذا أراد أن يعذبه نزع من قلبه الرأفة والرحمة وأبدل بهما الغلظة والقسوة. وفي الحديث الثابت «لا تنزع الرحمة إلا من شقي» (رواه الترمذى وأحمد) وفيه «من لا يرحم لا يُرحم». (متفق عليه). وفيه: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». (أبو داود والترمذى) . . . (ص ٣٣٨). هكذا في هذه المقارنة الرائعة يتبع الإمام ابن القيم عملين أو سلوكين قد يتباها في جانب من دلائلهما كالبكاء مثلاً، ولكنها يتباينان في مصدرهما فأحدهما وهو الرقة يصدر عن النفس المطمئنة التي من سماتها الرحمة. أما الثاني وهو الجزع فيصدر عن النفس الأمارة التي من طباعها أو سماتها السخط والهلع مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَهُ لِهُوَ عَا إِذَا مَسَهُ الشَّرُّ جُزُوعًا وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مُنْوِعًا إِلَّا الْمُصْلِينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومُونَ وَالَّذِينَ يَصْدُقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مَشْفُوقُونَ﴾ (المعارج: ٢٧-١٩).

وفي فصل آخر من كتابه «الروح» يتناول الإمام ابن القيم بالمقارنة كلاً من الموجدة والحدق، فيقول رحمة الله (١٩):

«والفرق بين الموجدة والحدق أن الموجد الإحساس بالمؤلم والعلم به وتحرك النفس في رفعه فهو كمال، وأما الحدق فهو إضمار الشر وتوقعه كل وقت فيمن وجدت عليه فلا يزال القلب أثراه. وفرق آخر وهو أن الموجدة لما ينالك منه، والحدق لما يناله منك فالموجدة وجود ما نالك من أذاء، والحدق توقع وجود ما يناله من المقابلة، فالموجدة سريعة الزوال، والحدق يجيء مع ضيق القلب واستيلاء ظلمة النفس الأمارة ودخانها عليه، بخلاف الموجدة فإنها تكون مع قوته وصلابته وقوتها نوره وإحساسه». (ص ٣٣٩).

هكذا يرجع الإمام ابن القيم انفعال الموجدة وهو في معناه العام الإحساس بالظلم إلى النفس المطمئنة ويصفه بأنه صفة كمال أو في المفاهيم النفسية الحديثة مظاهر من مظاهر الصحة النفسية. بينما يرجع انفعال الحدق وهو من الانفعالات الكدرة الشديدة إلى النفس الأمارة وهو على النحو الذي يظهره به الإمام ابن القيم مظاهر من مظاهر المرض والاضطراب النفسي. والموجدة تحرك صاحبها حركة إيجابية لرفع سبب الموجدة في حين أن الحدق وهو

(١٩) ابن القيم: الروح، مرجع سابق، ص ٣٣٩.

انفعال مركب فيه الكراهة يؤدي إلى الإضرار بالغير وارتكاب ما حرم الله من عداوان. وفي فصل آخر يعقد الإمام ابن القيم مقارنة بين المنافسة والحسد فيقول: (٢٠) «والفرق بين المنافسة والحسد، أن المنافسة هي المبادرة إلى الكمال الذي تشاهده من غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلِيَتَنافسُ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦). وأصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفوس طلباً ورغبة، فينافس فيه كل من النفسين الأخرى، وربما فرحت إذا شاركتها فيه كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يتنا夙ون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه، بل يخوض بعضهم بعضاً عليه مع تنافسهم فيه، وهي نوع من المسابقة، وقد قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨)، وقال تعالى: ﴿سَابَقُوكُمْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجْهَهَا كَعْرُضُ السَّمَاءِ﴾ (الحديد: ٢١...).

والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة وساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها وتتمتنى أن لو فاته كسبها حتى يساووها في العدم كما قال تعالى: ﴿وَدُولَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاء﴾ (النساء: ٨٩)، وقال تعالى: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرِدُونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسِدًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: ١٠٩). فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو، والمنافس مسابق النعمة متمن تمامها عليه وعلى من ينافسه، فهو ينافس غيره أن يعلو عليه ويحب لحاقه به أو مجاوزته له في الفضل، والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان، وأكثر النفوس الفاضلة الخيرة ترتفع بالمنافسة، فمن جعل نصب عينيه شخصاً من أهل الفضل والسبق فنافسه انتفع به كثيراً فإنه سيتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه وهذا لا ندمه...» (ص ٣٤٠).

ويمكن أن نخلص إلى القول بأن الإمام ابن القيم قد نظر إلى نفس الإنسان (في ضوء النهج الإسلامي) على أنها ذات صبغة تجعلها إما مطمئنة وهي النفس التي صقلتها الإيمان وألزمت صاحبها التقوى أو أمارة بالسوء وهي النفس التي استسلمت لتزيين الشيطان فأفضلت صاحبها وبينها تقف النفس اللوامة التي تساعد صاحبها، على مراجعة ما قام به. وعلى الرغم من أن النفس تشتمل على مجموعة من السمات التي تحكم السلوك فتحركه بداية

(٢٠) ابن القيم: الروح، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

وتوجهه في مساره فإن هذا السلوك وهو يصدر عن إرادة يمر على حالة النفس ، فإذا صدر عن النفس المطمئنة فإنه سلوك يسعى للكمال وإذا صدر عن النفس الأمارة فهو سلوك مريض يصدر عن نقص وضعف . وينبه ابن القيم إلى أن الأفعال وإن تشابهت في الظاهر فإنها تختلف في الباطن : فالصبر والقسوة قد يتشابهان في بعض مظاهرهما كالتحمّل والجلد ولكن أحدهما وهو الصبر صادر عن نفس مطمئنة راضية بقضاء الله محتسبة له سبحانه وتعالى ، أما الثاني وهو القسوة فهو صادر عن غلطة وخسونة وانعدام في الرحمة والمشاعر الإنسانية وهي صادرة عن نفس يزّين لها الشيطان ويسيطرها .

وعلى خلاف ما يراه بعض الباحثين في علم النفس من خصوص هذه الصفات وما يرافقها من أفعال إما لغريزة داخلية (مثل الجنس) أو مؤثر بيئي خارجي (مثيرات أو معزّزات في البيئة) فإن الإمام ابن القيم يرى أن هذه الصفات تخضع للإرادة أو لحكم العقل يقودها في ذلك حكم الشرع بمعنى أنها تخضع لقوة متحدة من « الإيمان والعقل » : يقول رحمة الله : (٢١)

« ولا يخلص من هذا إلا أرباب البصائر، فإن الأفعال تصدر عن الإرادات، وتظهر على الأركان من التفسين الأمارة والمطمئنة في تباين الفعلان في الباطن ويشبهان في الظاهر، ولذلك أمثلة كثيرة منها المداراة والمداهنة، فال الأول من المطمئنة والثاني من الأمارة...» ، (الروح ص ٣٠٨، ٣٠٩).

ويعنى آخر يمكن أن نقول : إن النفس وهي تنموا وتتغذى بالإيمان تصير إلى نفس مطمئنة تعمل على مراجعة ما يرد عليها من خواطر وما يأمرها به العقل من سلوكيات ، تعرّضها هنا على مصفاة الإيمان الذي نسجت منه هذه النفس ، فيقبل ما يوافق ما أمر الله بها ويتهمي بما نهى الله عنه وتخرج الأفعال ساعية لرضا الله سبحانه وتعالى محققة لرضا أصحابها بها إذا أقدم عليها عالمًا بأن فيها مرضًا ربه فيكون بين من ينادون :

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عَبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٧-٣٠).

وأما إذا نمت في طريق الشيطان وأصبحت قوامها الأمر بالسوء واتباع خطوات الشيطان فإن كل سقطات السلوك وهناته وكل صفات الصفات ستزيّنها لصاحبها دافعة به

(٢١) ابن القيم : الروح ، مرجع سابق ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

إلى المهالك، ويكون فيمن قال الله فيهم:  
 «إن المجرمين في ضلال وسعن» (القمر: ٤٧).

### ثالثاً: الوسطية والاعتدال في شخصية المسلم

يناقش الإمام ابن القيم الحد المناسب أو المحمود من الأخلاق والذي ينبغي للمسلم أن يحاول الالتزام به، ويعتبر أن هذا الحد إذا تجاوزه الفرد دخل إلى الإفراط وإذا قصر عنه كان التغريط وكل من الطرفين يمثل احتلالاً وأضراراً، ويعني ذلك أن الاعتدال والتوسط في الصفات والأفعال هو الذي تبني عليه الشخصية السوية شخصية المسلم المؤمن. وقاعدة الاعتدال والوسطية من المفاهيم الأساسية في المنج الإسلامي.

﴿وَكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلَا تَسْفِرُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١).

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامٌ﴾ (الفرقان: ٦٧).

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مُغْلولةٍ إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تُبْسِطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدْ مُلْوَماً مُحْسُوراً﴾  
 (الإسراء: ٢٩).

ويقول الإمام ابن القيم رحمة الله في كتابه «الفوائد»:

«للأخلاق حد، متى جاوزته صارت عدواً، ومتى قصرت عنه كانت نقصاً ومهانة، فللغضب حد وهو الشجاعة المحمودة والأنفة من الرذائل والنقائص، وهذا كمال الغضب، فإذا جاوز حده تعدى صاحبه وجار، وإن نقص عنه جبن ولم يأنف من الرذائل.. وللحرص حد هو الكفاية في أمور الدنيا وحصول البلاغ منها، فمتى نقص عن ذلك كان مهانة وإضاعة، ومتى زاد كان شرها ورغبة فيها لا يحمد الرغبة فيه.

وللحسد حد، وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ومحرس على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة وذلة نفس، قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس» - فهذا حسد منافسة يطالب الحاسد به نفسه أن يكون مثل المحسود لا حسد مهانة يتمنى بها زوال النعمة عن المحسود...».

(٢٢) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية) الفوائد، القاهرة: مكتبة المتنبي، دون تاريخ، ص ١٣٩-١٤٢.

و«للراجة حد، وهو إجمام النفس والقوى المدركة والفعالة للاستعداد للطاعة واكتساب الفضائل وتوفتها على ذلك بحيث لا يضعفها الكد والتعب ويضعف أثرها، فمتي زاد على ذلك صار توانياً وكسلاً وإضاعة وفات به أكثر مصالح العبد، ومتي نقص عنه صار مضرًا بالقوى موهناً لها وربما انقطع به كالمبت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . . .» (ص ١٣١-١٤١).

ويحدد الإمام ابن القيم رحمه الله الضابط الذي يحدد لنا القدر الأمثل من الصفات أو الأفعال فيقول: <sup>(٢٣)</sup>

و«ضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرف الإفراط والتفرط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به، فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاءه أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك.

وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر، والأكل والشرب، والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك إذا كانت وسطاً بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً، وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً وأثمرت نقصاً. فمن أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود، ولا سيما حدود المشروع المأمور والمنهي، فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود . . .». (الفوائد: ص ١٤١)

ويناقش في موضع آخر أهمية تلبية حاجات الروح الموصولة لسعادة الآخرة بجانب حاجات النفس أي تلبية مطالب الآخرة مع مطالب الدنيا، فيقول: <sup>(٢٤)</sup>

«لذة كل أحد حسب قدره وهمة وشرف نفسه، فأشرف الناس نفسها وأعلاهم همة وأرفعهم قدرًا مِنْ لذَّتُه في معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والتودد إليه بما يحبه ويرضاه فلذته في إقباله عليه، وعكوف همه عليه، ودون ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله . . وأكمل الناس من جمع بين لذة القلب الروح ولذة البدن فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا ينقص حظه من الآخرة ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه فهذا من قال تعالى فيه: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطبيات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة» (الأعراف: ٣٢). وأبخسهم حظاً من اللذة من تناولها على وجه تحول

(٢٣) ابن القيم: الفوائد، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٢٤) ابن القيم: الفوائد، مرجع سابق، ص ١٥٠.

بينه وبين لذات الآخرة فيكون من يقال لهم يوم استيفاء اللذات «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها» (الأحقاف: ٢٠) فهؤلاء تمعنوا بالطيبات وأولئك تمعنوا بالطيبات، وافتقدوا في وجه التمتع فأولئك تمعنوا بها على الوجه الذي دعاهم إليه الهوى والشهوة وسواء أذن لهم فيه أم لا فانقطعت عنهم لذة الدنيا، وفاتهام لذة الآخرة فلا لذة الدنيا دامت لهم ولا لذة الآخرة حصلت لهم» (الفوائد: ص ١٥٠).

ويمدد الإمام ابن القيم الطريق الموصولة لهذا التوازن وهو أن يجعل المرء إشباع دوافعه وحاجاته (الحصول على اللذة) في الدنيا طريقاً موصلاً إلى لذة الآخرة بأن يستعين بها على فراغ قلبه لله ، إرادته وعبادته ، وأن يكون الوصول إلى هذه اللذة (لذة البدن أو لذة الدنيا) بشكل لا ينقص حظه في الآخرة وطريق ذلك ترك الذنوب والمعاصي . وحول هذا الجانب أي ترك الذنوب والمعاصي وما يتربّ عليه من فوائد يقول رحمة الله :

«من أخذ منافع الدنيا على وجه لا ينقص حظه من الآخرة وظفر بها جميّعاً وإلا خسرهما (يعني الدنيا والآخرة) جميّعاً، سبحان الله رب العالمين : لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة وصون العرض وحفظ الجاه وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة ، ومحبة الخلق وجوائز القول بينهم ، وصلاح المعاش وراحة البدن ، وقوّة القلب وطيب النفس ونعميم القلب وانشراح الصدر ، والأمن من مخاوف الفساق والفحار ، وقلة الهم والغم والحزن ، وعز النفس عن احتمال الذل ، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية ، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفحار وتيسير الطاعات عليه ، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب ، وتيسير ما عسر على أرباب الفسق والمعاصي ، وتسهيل الطاعات عليه ، وتيسير العلم والثناء الحسن في الناس وكثرة الدعاء له والحلوة التي يكتسبها وجهه والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس ، وانتصارهم وحميتهم له إذا أودي وظلم وذلّهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب ، وسرعة إجابة دعائه ، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله ، وقرب الملائكة منه وبعد شياطين الإنس والجن منه ، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه وخطبتهم لمودته وصحبته ، وعدم خوفه من الموت بل يفرح به لقدرته على ربه ولقاءه له ومصيره إليه . وصغر الدنيا في قلبه وكبر الآخرة عنده وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها ، وذوق حلوة الطاعة ، ووجد حلوة الإيمان ودعاء حملة العرش

(٢٥) ابن القيم: الفوائد، مرجع سابق، ص ١٥١، ١٥٢.

ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإليه وعمرته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه وفرحة بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرجه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا، فإذا مات تلقته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيمة، فإذا كان يوم القيمة كان الناس في الحر والعرق وهو في ظل العرش، فإذا انصرفا من بين يدي الله أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين **و(ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم)** (الفوائد ص ١٥١، ١٥٢).

ولعلنا من هذه الوقفات مع الإمام ابن القيم نرى كيف ينظر إلى شخصية المسلم على أنها شخصية تسودها حالة الاطمئنان أو صفة النفس المطمئنة وهذه النفس تتبع منها أمهات الأخلاق وهي نفس اطمأنت بالإيمان بالله واتباع ما شرعه من الدين، وتزينها أمهات الأخلاق مثل الصبر والشجاعة والعدل والمرءة والعفة والصيانة والجود والحلم والغفور والصفح والاحترام والإشار وعززة النفس عن الدناءات والتواضع والقناعة والصدق وغيرها.. وهذه الصفات لها ظاهر قد يتتشابه معها فيه مقابل لها، كان هذا المقابل ينبع من النفس الأمارة فهو مقصود لغير الله وهو كذلك مضيء لصاحبها مورد له موارد التهلكة. ثم إن الإمام ابن القيم يضع حدوداً للأخلاق إن زادت عنها دخلت إلى الإفراط وإن قصرت عنها دخلت إلى التفريط وهذا الحد هو حد العدل أو التوسط بين طرفين مذمومين، ولعل أقرب الأمثلة على ذلك فضيلة أو خلق الشجاعة، فزيادتها تعني عدم تقدير الموقف تقديرًا مناسباً والإقدام على التهلكة ولذلك يسمى ذلك «تهوراً» لا يتنمي إلى الشجاعة، ونقصها سيؤدي بصاحبها إلى التقاوع حتى عن مواجهة أيسر المواقف أو أكثرها إلحاحاً للمواجهة ويعتبر ذلك «خوراً وأنهزاماً».

ويجمع ابن القيم شتات الصفات وأصول الأخلاق المحمود منها والمذموم تحت مجموعات عامة فيقول رحمة الله :<sup>(٢٦)</sup>

**«أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة، وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة.**

(٢٦) ابن القيم : الفوائد ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

فالفخر، والبطر، والأشر، والعجب، والحسد، والبغى، والخيانة، والظلم، والقسوة؛ والتجر، والإعراض، وإباء قبول النصيحة، والاستئثار، وطلب العلو، وحب الجاه والرئاسة وأن يحمد بها لم يفعل وأمثال ذلك كلها ناشئة من الكبر، وأما الكذب، والخسفة، والخيانة، والرياء والمكر، والخديعة، والطمع، والفزع، والجبن، والبخل، والعجز، والكسل، والذل لغير الله، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ونحو ذلك فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس.

وأما الأخلاق الفاضلة كالصبر، والشجاعة، والعدل، والمرؤة، والغففة، والصيانة، والجود، والحلم، والعفو، والصفح، والاحترام، والإيثار، وعززة النفس عن الدناءات، والتواضع، والقناعة، والصدق، والإخلاص، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس وترك الاشتغال بما لا يعنيه وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة ونحو ذلك فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة...» . (الفوائد ١٤٤).

وقد علق الإمام ابن القيم أصول الأخلاق المحمودة على وجود همة عالية، ونية صحيحة، تدفعان صاحبها إلى طلب كل رفيع من الأخلاق والعلو بها عن الدناءة والمهانة وصغر النفس، وكأننا بابن القيم يتحدث عن دافع للارتفاع الخلقي بدليل عما يتحدث عنه الباحثون في علم النفس من وجود دافع للإنجاز، ودافع الهمة العالية دافع يرتبط بالجانب الديني الذي يجعل الفرد يرتفع بنفسه عن الدنيا. يقول رحمة الله في هذا الصدد<sup>(٢٧)</sup> .

«المطلب الأعلى موقف حصوله على همة عالية ونية صحيحة، فمن فقدهما تعذر عليه الوصول إليه، فإن الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده دون غيره (أي تعلقت بالله وحده) وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصولة إليه، فالنية تفرد له الطريق، ولهمة تفرد له المطلوب فإذا توحد مطلوبه والطريق الموصولة إليه كان الوصول غايته. وإذا كانت همته سافلة تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى، وإذا كانت النية غير صحيحة كانت طريقة غير موصولة إليه، فمدار الشأن على همة العبد ونيته وهمًا مطلوبه وطريقة لا يتم له إلا بترك ثلاثة أشياء:

**الأول: العوائد والرسوم والأوضاع التي أحدها الناس.**

**الثاني: هجر العوائق التي تعوقه عن إفراد مطلوبه وطريقه أو قطعها.**

(٢٧) ابن القيم: الفوائد، مرجع سابق، ص ١٤٥.

الثالث: قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين تجريد التعلق بالمطلوب . والفرق بينها (أي بين العوائق والعلاقات) أن العوائق هي الحوادث الخارجية والعلاقات هي العلاقات القلبية بالمباحات ونحوها وأصل ذلك ترك الفضول التي تشغل عن المقصود من الطعام والشراب والنمام والخلطة، فيأخذ من ذلك ما يعينه على طلبه، ويرفض من العلاقات القلبية ما يقطعه عنه أو يضعف طلبه والله المستعان». (الفوائد ص ١٤٤، ١٤٥).

ولعلنا نلمس في هذا العرض للإمام ابن القيم أنه حدد المتغيرات الثلاثة التي تؤثر في سلوك الإنسان وهي ما يجده من مجتمعه، ويدخل في تنشئة وصياغة أساليب تفكيره وانفعالاته وأفعاله ، وما يقابلها في البيئة من عوائق تعرقل طريقه ، وما يوجد داخل نفسه من علائق .

ولعل هذا التفريق الدقيق بين العوائق والعلاقات هو ما يحاول بعض الباحثين النفسيين في الوقت الراهن أن يخصوه بجانب من الدراسات الميدانية وتحت مسمى العوائق الشخصية أو الذاتية Self Handicapping وشتان بين ما يبحثون من جوانب مثل الخجل والقلق والمخاوف والغضب في معزل عن معيار الشرع وبين ما يتناوله الإمام ابن القيم أحدًا في اعتباره دائمًا جانب الشرع الذي يحدد لنا العوائق والعلاقة والبدع وغيرها مما يفسد على الإنسان سبيل الهدى .

#### رابعاً: الجوانب المعرفية للشخصية

الجوانب المعرفية Cognitive هي الجوانب المرتبطة بالعمليات العقلية وما يرتبط بها من مدخلات مثل الإحساس ، وما يتبع عنها من نواتج مثل اللغة ، وما بين ذلك من عمليات الإدراك والحفظ والتذكر والتفكير وغيرها .

لقد أغلق علم النفس الحديث موضوع العمليات المعرفية ردحاً طويلاً من الزمن وخاصة حين سيطرت المدرسة السلوكية على فكر الباحثين النفسيين ، فقد أعطت للبيئة الدور الأول والأخير في توجيه سلوك البشر بعد استشارته ، وجعلته مجردًا من كل إرادة وتفكير، وتوهمت أنه يسير في استجاباته كما يستجيب أي كائن حي أدنى منه تبعًا لقوانين الإشراط (الكلاسيكي والإجرائي) . وقد بدأ الباحثون في محاولة لتدارك ما فات بإدخال العمليات العقلية كمتغيرات وسيطة بين المثيرات والاستجابات . وقد سبق علماء المسلمين ،

الباحثين في علم النفس إلى النظر إلى العمليات المعرفية على أنها المحرك الأساس للسلوك والانفعال، يقول الإمام ابن القيم:

(«مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار، فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعى إلى الإرادات والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة. فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها. فصلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لولتها وإلتهما صاعدة إليه دائرة على مرضاته ومحاباه، فإنه سبحانه به كل صلاح، ومن عنده كل هدى، ومن توفيقه كل رشد، ومن توليه لعبده كل حفظ، ومن توليه وإعراضه عنه كل ضلال وشقاء، فيظفر العبد بكل خير وهدى ورشد بقدر إثبات عين فكرته في آلائه ونعمته وتوحيده وطرق معرفته وطرق عبوديته وإنزاله إياه حاضرًا معه مشاهدًا له ناظرًا إليه رقياً عليه مطلعاً على خواطره وإرادته وهمه، فحينئذ يستحبى منه ويجعله أن يطلع منه على عوره يكره أن يطلع عليها مخلوق مثله، أو يرى في نفسه خاطرًا يمقته عليه (الفوائد ص ١٧٣).»)

وبناءً على ذلك فيقول في موضع آخر:

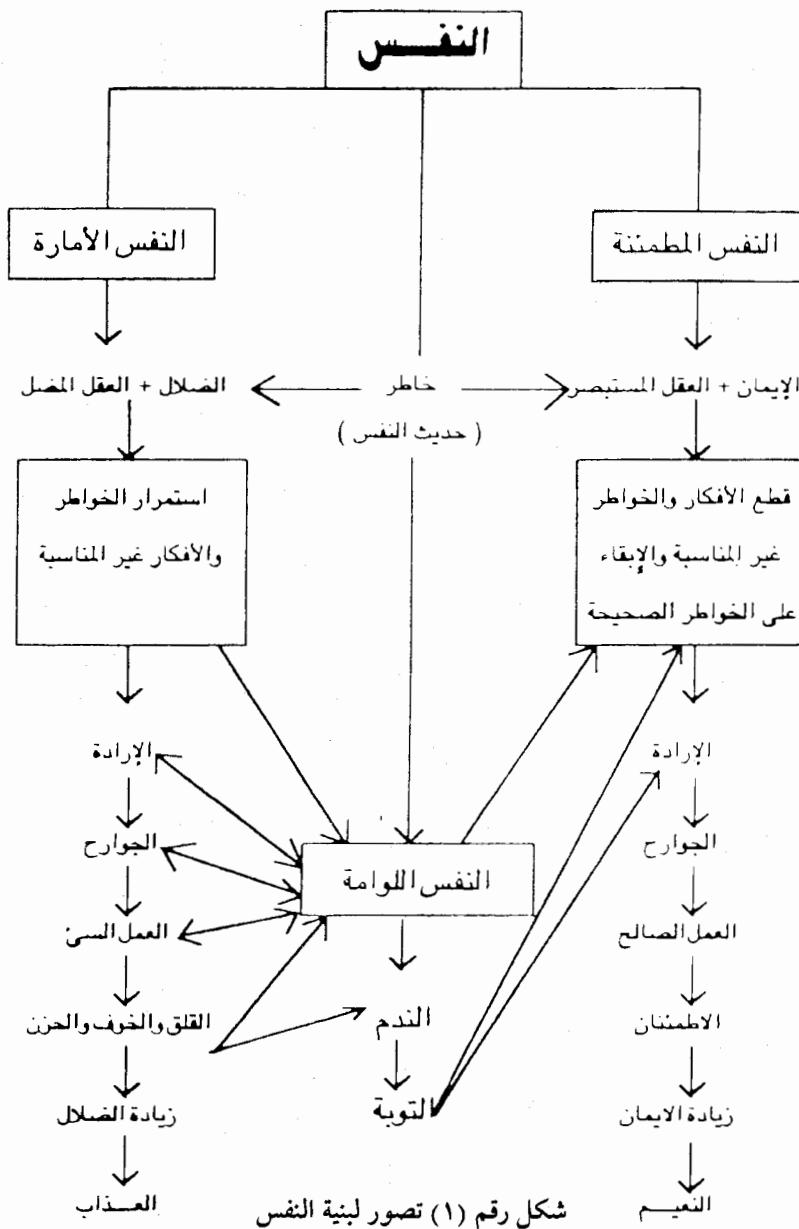
«واعلم أن الخطرات والوسوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر، فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة إلى الجوارح والعمل، فتستحكم فتصير عادة، فرداً من مبادئها أسهل من قطعها بعد فوتها وتمامها». (الفوائد ص ١٧٤).

إن الإمام ابن القيم يحدد لنا بناءً على هذا النموذج الذي يدل على نوع عظيم. [انظر شكل رقم (١)] إن الخواطر والأفكار هي البداية، وأنها تدخل المجال الإدراكي للفرد وتنمو لتصبح تصوراً لإجراءات وترجمتها الفرد إلى إرادات تدفعه إلى سلوكيات تقوم بها الجوارح، ومع تكرار السلوك يصبح عادة يقوم بها الفرد بعد ذلك بشكل تلقائي دون حاجة إلى هذه السلسلة. ويرى الإمام ابن القيم أن المؤمن يعرض هذه الخواطر على ميزان داخلي يشتمل على عاملين أو قوتين هما قوة الإيمان وقوة العقل وهما متفاعلاتان ومتكاملتان في عملهما.

يقول رحمه الله:

(٢٨) ابن القيم: الفوائد، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٢٩) ابن القيم: الفوائد، مرجع سابق، ص ١٧٤.



«ومعلوم أنه لو لم يعط الإنسان إماتة الخواطر ولا القوة على قطعها تهجم عليه هجوم النفس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه على قبول أحسنها ورضاه به ومساكته له، وعلى رفع أقبحها وكراهته له ونفرته منه كما قال الصحابة: يارسول الله إن أحدنا يجد في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حمّةً أحب إليه من أن يتكلم به، فقال: أ وقد وجدتوه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان». (الفوائد ص ١٧٤).

هكذا فسر لنا ابن القيم مبعث السلوك الظاهر بدءاً من الخاطر أو الفكرة، وحدد لنا أيضاً كيفية الوقاية من الوصول إلى عادة تتمكن من الشخص ويصعب عليه التخلص منها. ويؤكد الإمام ابن القيم أن الخواطر وتواردها على ذهن الفرد خصيصة من خصائص الإنسان لا يمكن الانفكاك عنها، وإنما كل ما يمكن أن يفعله هو أن يستبصر في هذه الخواطر ويعرضها على المحك الأساس وهو الإيمان مستخدماً العقل في الحكم على استيفائها لشروطه (الإيمان).

يقول رحمة الله في هذا الجانب: (٣٠)

«وقد خلق الله سبحانه النفس شبهاً بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولا بد لها من شيء تطحنه فإن وضع فيها حب طحنته وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته، فالأفكار والخواطر التي تحول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى ولا تبقى تلك الرحى معطلة قط، بل لا بد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملأ وحصى وتبناً ونحو ذلك فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين لهحقيقة طحينه». (الفوائد ص ١٧٤).

ولعل ما نادى به الإمام ابن القيم منذ حوالي سبعة قرون من أن أساس العلاج يكمن في منع الخواطر الفاسدة من أن تتمكن من الإرادة والجوارح فتصبح عادة، هو ما ينادي به اليوم المعالجون في المدرسة المعرفية Cognitive والتي تعتبر أحدث مدارس العلاج النفسي، ومن بين روادها أيليس، وميكنيبوم، وبيك وريمي الذين ينادون بتصحيح الأفكار والخواطر والتصورات للوصول إلى تصحيح التصرفات والمشاعر<sup>(٣١)</sup>.

(٣٠) ابن القيم: الفوائد، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٣١) للاطلاع على هذه النظريات انظر باترسون:

أما الفرق الجوهرى فإن هؤلاء يحددون فساد الأفكار والخواطر والتصورات على أساس شخصي قد لا يتفق عليه شخصان، أما عالمنا الإمام ابن القيم فإنه يحدد المعيار الذى نقيس إليه كل هذه الجوانب وهو معيار الإيمان والعقل. يقول رحمه الله :<sup>(٣٢)</sup>

«إذا دفعت الخاطر الوارد عليك اندفع عنك ما بعده، وإن قبلته صار فكرًا جوابًا، فاستخدم الإرادة فتساعدك هي والفكر على استخدام الجوارح، فإن تعذر استخدامها رجعًا إلى القلب بالمعنى والشهوة وتوجهه إلى جهة المراد، ومن العلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد. فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالتفكير فيما يعنيك دون ما لا يعنيك فالتفكير فيما لا يعنيك باب كل شرّ. ومن فكر فيما يعنيه فاته ما يعنيه واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة فيه، فالتفكير والخواطر والإرادة والهمة أحق شيء بإصلاحه من نفسك فإن هذه خاصتك وحقيقة التي تبتعد بها أو تقرب من إلهك معبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه ورضاه عنك وكل الشقاء في بعده عنه وسخطه عليك، ومن كان في خواطره و المجالات فكره دنياً خسيساً لم يكن في سائر أمره إلا كذلك. وإياك أن تُمْكِنَ الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك فإنه يفسدك عليك فساداً يصعب تداركه ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك وأنك الذي أنت عليه على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك.

(الفوائد، ص ١٧٥).

لعل الإمام ابن القيم يرحمه الله قد لمس حجم ما يمكن أن يمثل المنهج الوقائي في الإرشاد والعلاج النفسي والذي يفضي كذلك إلى المنهج العلاجي. وقد جعل مراقبة الخواطر والأفكار العنصر الأول في هذا الطريق الوقائي والعلاجي. ولأن معيار المسلم المؤمن هو معيار الشرع، معيار الإيمان والعمل الصالح، ووسيلته في إدراك مدى البعدين أو القرب عن هذا المعيار أو هذا الميزان هو العقل، لذا فقد جعل الإمام ابن القيم الإيمان والعقل بمثابة أداة واحدة متفاعلة يستخدمها المسلم في مراقبة خواطره وأفكاره والحكم عليها وتحديد مدى

= وانظر كذلك الشناوي، محمد محروس، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

(٣٢) ابن القيم: الفوائد، مرجع سابق، ص ١٧٥.

موافقتها للشرع والعقل فإذا تبين له فساد هذه الأفكار والخواطر ببعدها عن حكم الشرع فإن عليه أن يقطعها من بدايتها قبل أن تأخذ مجراها إلى العمل الظاهر، وأما إذا تبين له صلاح هذه الخواطر والأفكار بموافقتها لحكم الشرع ومقتضى الإيمان فإنه يمضي في طريق تنفيذها عملياً.

إن المعالجين النفسيين يحاولون اليوم استخدام مجموعة من الأساليب المعرفية لوقف الأفكار السيئة ولإلغاء المعتقدات الخاطئة وتغيير التصورات المشوهة ولتحسين نظرية الإنسان إلى عالمه وإلى نفسه، ويضعون هذه الأساليب تحت مسميات مثل وقف الأفكار Rational Emotive Thought Stopping (وولبيه Wolpe ) ، والعلاج العقلي الانفعالي Therapy (ايليس Ellis ) ، وأسلوب الحديث الذاتي Self Speech والتحصين الذاتي ضد الضغوط Stress Inoculation (ميكينبوم Meichenbaum ) وتصحيح التصورات الخاطئة Misconceptions (ريمي Rimmy) والعلاج المعرفي Cognitive (بيك Beck) وضبط النفس Self Control ( نوفاكو Novaco ) . - وهذه كلها يمكن أن تدرج تحت الأسلوب الذي اقرره الإمام ابن القيم من مراقبة الخواطر والأفكار وقطعها من بدايتها مع وجود اختلاف مهم كما قلنا من قبل وهو أن الإمام ابن القيم قد حدد المعيار (الميزان) الذي نقيس إليه الأفكار والخواطر لتحكم على صلاحتها أو بفسادها فنقطعها ونسد عليها الطريق ، وهذا الميزان هو ميزان الإيمان ميزان الشرع ، كما حدد الأداة التي نستخدمها في المعايرة أو القياس وهو العقل ، فالعقل يرجع إلى الشرع ليصدر الحكم . أما وولبيه وإيليس وبيك وغيرهم فلم يحددوا لنا معياراً واحداً يتتفقون عليه أو حتى يمكن أن يتلقى عنده المعالج أو المرشد مع المريض ، أو المسترشد ، إنها هذه المعايير تخضع لحكم المعالج وربما لمعتقداته ولثقافته مع كون كثير منهم يتخذ موقفاً معاذياً للدين أو في أيسر الأحوال لا يدخله في اعتباره .

وبذلك تتضح لنا قوة الأسلوب الإسلامي كما يصوّره الإمام ابن القيم ، فالمعيار فيه معيار عالٍ لم يضعه بشر وإنما تنزل به الوحي قرآنًا يُتلى ، وأرشدنا إليه رسول الله ﷺ في سنته المطهرة ، ومن هنا فإن المسلم المؤمن الذي يمر بمثل هذه الخبرة ، خبرة فكرة أو خاطر يعرضه على معيار الشرع فيلمس فساده ثم يقوم بقطعه بأن يوقف مجراه ، فإنه سيعايش خبرة خاصة ملؤها الإحساس بإشراقة الهدى وطمأنينة النفس .

﴿الذين آمنوا وطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد : ٢٨).

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصَرُونَ﴾  
 (الأعراف: ٢٠١).

هذا الإحساس الذي ينبعث من نفس المؤمن حين يرد كيد الشيطان ويقطع عليه طريقه بإدراكه واع منه بأساليب الشيطان وحيله وإدراكه واع منه بأن الرجوع إلى الحق وإلى الصراط المستقيم إنها هو عودة إلى حظيرة الإيمان، هذا الإحساس لاشك يتتفوق كثيراً على إحساس مسترشد يرضخ لتفسيرات المعالج ويصدق الأفكار أو الخواطر لمجرد أنها تنغضمه وأن المعالج يفسرها له على أنها خاطئة أو غير منطقية دون معيار واضح وثابت يرجعان إليه ويتلقان عليه... إن هذا الإحساس الذي ينبعث من نفس المؤمن حين يقطع الطريق على أفكار وخواطر فاسدة إنها ينبع من فطرة سليمة فطرة تسلم الوجه لله وتدين بالعبودية له وحده سبحانه وتعالى، وهي بذلك تستقبل هذا الموقف بفرح الضال الذي عاد إلى الطريق.

وهذه المقططفات التي أوردنها من كتاب الفوائد إنما هي تمثل نموذجاً من كتابات الإمام ابن القيم في الجوانب المعرفية ودقة صياغته لها وتحديده لعناصرها وتفاعلاتها ونواتجها.

وللإمام ابن القيم عديد من اللمسات في هذا الجانب، ولعل المناقشة المستفيضة التي أوردها في مؤلفه إعلام الموقعين على الرغم من أنها جاءت في الحديث عن الفقه وأصوله إنما تدل على سعة علم بهذه العمليات المعرفية التي ما زال علماء النفس المحدثون يجدون صعوبة في وصفها. وتحليل القارئ الكريم إلى الفصل الممتع الذي كتبه عن القياس وما يليه من فصول حول الموضوع نفسه ثم حديثه عن الأمثال.

يقول رحمه الله: <sup>(٣٣)</sup>

«قال تعالى: ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضَرَهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣). فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بينهما والفرق بين المختلفين وإنكار الجمع بينهما. قالوا: ومدار الاستدلال جميعه على التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين فإنه إما استدلال بمعين على معين، أو بمعين على عام أو بعام على معين أو بعام على عام، فهذه الأربعة هي مجتمع ضروب الاستدلال»، (إعلام الموقعين، ج ١، ص ١٣١).

(٣٣) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أبي يوب (ابن قيم الجوزية) إعلام الموقعين عن رب العالمين، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٣١.

ويقول في موضع آخر:  
 «والآقىسة المستعملة في الاستدلال ثلاثة: قياس علة، وقياس دلالة، وقياس شبه، وقد وردت كلها في القرآن». (ص ١٣٢).

ويمضي بعد ذلك ليناقش كل نوع من هذه الآقىسة في استفاضة رائعة، وتعتبر ذخيرة للباحثين المجددين الذين يتناولون العمليات المعرفية بالتحليل.

وفي مؤلفه مدارج السالكين نجد الإمام ابن القيم يتناول بالشرح والتفرقة مجموعة كبيرة من المصطلحات التي تدخل في سلوك الإنسان مما يتناوله الباحثون النفسيون في دراساتهم، وهو يعمل فيها فكره وسعة علمه حتى إنها تصبح في رأينا ضرورة للباحث النفسي المسلم.

يقول رحمه الله : (٣٤)

«التذكر والتفكير».

قال صاحب المنازل:

«التذكر فوق التفكير، لأن التفكير طلب والتذكر وجود».

و«التذكر» تفعل من الذكر. وهو ضد النسيان، وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب. واختير له بناء التفعّل، لحصوله بعد مهلة وتدريج - كالتبصر والتفهم والتعلم. «أبنية التذكر ثلاثة: الانتفاع بالعظة، والاستبصار بالعبرة، والظفر بشمرة الفكرة». (مدارج السالكين، ج ١، ص ٤٧٤ - ٤٨٨).

#### خامساً - الانفعالات (السلوك الوجداني)

تعتبر الانفعالات جانبًا مهمًا من جوانب سلوك الإنسان وحياته النفسية، وهي تشتمل على الجوانب النزوعية (التصرفات) والجوانب المعرفية (العمليات العقلية) والجوانب الوجدانية (الانفعالات والعواطف). وتمثل الانفعالات استجابات بدنية ونفسية إزاء موقف أو مثير معين، وهي قد تكون سارةً كما قد تكون مكدرة، ويطلق البعض على الحالات الخفيفة من الانفعالات اصطلاح الوجدان أو الشعور Feeling بينما يحتفظون باصطلاح الانفعال Emotion للحالات الشديدة.

(٣٤) ابن القيم: مدارج السالكين: مرجع سابق، ج ١ ص ٤٧٤ - ٤٨٨ . وصاحب المنازل يقصد به المروي مؤلف كتاب منازل السائرين.

ويعرف الانفعال بأنه: <sup>(٣٥)</sup> «اضطراب حاد يشمل الفرد كله ويؤثر في سلوكه وخبرته الشعورية ووظائفه الفيزيولوجية الداخلية، وهو ينشأ في الأصل عن مصدر نفسي، ونقول إن الانفعال اضطراب حاد لأنّه يتميز بحالة شديدة من التوتر والتهيج، وأنّه أثناء الانفعال تعطل جميع أنواع النشاط الأخرى التي يقوم بها الإنسان، ويصبح نشاطه كله مركزاً حول موضوع الانفعال. ويشتمل الانفعال على مجموعة من المكونات هي:

١ - إدراك الموقف الانفعالي.

٢ - التغيرات الفيزيولوجية الداخلية.

٣ - التغيرات البدنية الخارجية.

٤ - الخبرة الشعورية.

٥ - التوافق للموقف الانفعالي». (نجاتي، ١٩٨٤م، ص ١٠٠).

والانفعالات من حيث هي استجابات تعتبر من نعم الله على الإنسان ليواجه المواقف المتنوعة بما يناسبها من تصرف، فالخوف يساعد على التصرف بما يوافق النجاة من الأخطار، والغضب يهيء الإنسان لرد العدوان الواقع على ما يحبه وفي مقدمتها دينه ونفسه وعقله وعرضه ونسله وماليه.

لقد تناول الإمام ابن القيم الانفعالات والمشاعر في مواضع شتى من مؤلفاته. وقد مر بنا حديثه عن مجموعة منها مثل الجزع والحدق والحسد والموجدة والغضب وغيرها حين عقد المقارنة بين ما يشتبه على الإنسان وما يصدر عن النفس الأمارة في مقابل ما يصدر عن النفس المطمئنة، وكذلك عندما تحدث عن حدّ الأخلاق، كما تحدث الإمام ابن القيم عن الانفعالات والمشاعر التي يمر بها الإنسان في مواقف شتى خاصة عندما يمرض القلب وتسيطر على النفس أهواها ثم عند أوبه ورجوعه إلى ربه وصد الشيطان وسد الطريق على سالكه له. ومن المؤلفات التي تحدث فيها عن هذه المواقف كتاب إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، وكتاب الفوائد، وغيرها. وفي مؤلفه مدارج السالكين نجده يفرد فصولاً متعة للحديث عن مجموعة كبيرة من الانفعالات والمشاعر بل ويمضي وراء ذلك إلى التفريق بين المسميات المختلفة كالتفريق بين الرجاء والتمني، وبين الخوف والخشوع والوجل

---

<sup>(٣٥)</sup> محمد عثمان نجاتي: علم النفس في حياتنا اليومية (ط ١١) الكويت، دار القلم ١٩٨٤م.

والإِخْبَاتُ، كَمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْحُزْنِ وَعَنِ الْحَيَاةِ وَالسَّكِينَةِ وَالطَّمَانِيَّةِ، وَالْمَحْبَةِ وَالشَّوْقِ، وَالْقُلْقُ، وَالْوَجْدُ، وَالسُّرُورُ، وَالغَرْبَةُ وَالْأَغْرَابُ... إِلَخُ.

فَهِينَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الطَّمَانِيَّةِ يَقُولُ: <sup>(٣٦)</sup>

«الطَّمَانِيَّةُ سَكُونُ الْقَلْبِ إِلَى الشَّيْءِ وَعَدْمُ اضْطِرَابِهِ وَقْلَقِهِ» (مَدَارِجُ السَّالِكِينَ ج٢

ص٥٣٤).

وَهِينَ يَتَحَدَّثُ عَنِ السَّكِينَةِ يَقُولُ: <sup>(٣٧)</sup>

«وَأَصْلُ السَّكِينَةِ هِيَ الطَّمَانِيَّةُ وَالْوَقَارُ وَالسَّكُونُ الَّذِي يَنْزَلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شَدَّةِ الْخُوفِ فَلَا يَنْزَعُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ وَيُوجَبُ لَهُ زِيَادَةُ الْإِبَاهَانِ وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ وَالثَّبَاتِ» (ج٢ ص٥٢٥).

وَيَقُولُ عَنِ الْحَيَاةِ: <sup>(٣٨)</sup>

«الْحَيَاةُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَمِنْهُ الْحَيَاةُ لِلْمَطْرِ لَكُنْ هُوَ مَقْصُورٌ، وَعَلَى حَسْبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خَلْقِ الْحَيَاةِ، وَقَلْتُ الْحَيَاةَ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ فَكُلُّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَحْيَى كَانَ الْحَيَاةُ أَتَمْ». (ج٢، ص٢٧٠).

وَيَعُودُ بَعْدَهَا فِي قِسْمِ الْحَيَاةِ إِلَى عَشْرَةِ أَقْسَامٍ أَوْ أَنْوَاعٍ: حَيَاةُ جَنَاحِيَّةِ، وَحَيَاةُ تَقْصِيرٍ، وَحَيَاةُ إِجْلَالٍ، وَحَيَاةُ كَرْمٍ، وَحَيَاةُ حَشْمَةٍ، وَحَيَاةُ اسْتِصْغَارٍ لِلنَّفْسِ وَاحْتِقَارٍ لَهَا، وَحَيَاةُ مَحْبَةٍ، وَحَيَاةُ عَبُودِيَّةٍ، وَحَيَاةُ شَرْفٍ وَعَزَّةٍ، وَحَيَاةُ الْمُسْتَحِيِّ مِنْ نَفْسِهِ.

وَهِينَ يَقَارِنُ بَيْنَ «الْخُوفِ» وَ«الْخَشْيَةِ» وَ«الرَّهْبَةِ» وَ«الْوَجْلِ» وَ«الْهَبَةِ» يَقُولُ: <sup>(٣٩)</sup>

● الْخُوفُ: هَرَبَ الْقَلْبُ مِنْ حَلُولِ الْمَكْرُوهِ عِنْدَ اسْتِشْعَارِهِ.

● وَالْخَشْيَةُ: أَخْصَنُ مِنَ الْخُوفِ، فَإِنَّ الْخَشْيَةَ لِلْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا يَخْشِي

اللَّهَ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَاءِ» (فَاطِرٌ: ٢٨)، فَهِيَ خُوفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أَتَقَاكُمُ اللَّهَ وَأَشَدُكُمُ لَهُ خَشْيَةً». فَالْخُوفُ حَرْكَةٌ، وَالْخَشْيَةُ اِنْجِمَاعٌ وَانْقِبَاضٌ وَسَكُونٌ، فَإِنَّ الَّذِي يَرِي الدُّوَوَّ وَالسَّيْلَ وَنَحْوَ ذَلِكَ لَهُ حَالَتَانِ:

(٣٦) ابن القيم: مدارج السالكين: مرجع سابق، ج٢ ص٥٣٤.

(٣٧) ابن القيم: مدارج السالكين: مرجع سابق، ج٢ ص٥٢٥.

(٣٨) ابن القيم: مدارج السالكين: مرجع سابق، ج٢ ص٢٧٠.

(٣٩) ابن القيم: مدارج السالكين: مرجع سابق، ج٢ ص٥٤٩، ٥٥٠.

- \* أحدهما: حركة للهرب منه وهي حالة الخوف.
- \* والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية: ومنه انخش الشيء.
- وأما الرهبة: هي الإمعان في الهرب من المكروه وهي ضد «الرغبة» التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه...
- وأما «الوجل»: فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته.
- وأما «الهيبة»: فخوف مقارن للتعظيم والإجلال وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة.
- و«الإجلال»: تعظيم مقرون بالحب... (مدارج السالكين ج ١ ص ٥٤٩، ٥٥٠).

### سادساً - الفروق الفردية

على الرغم من وجود عناصر مشتركة بين البشر تحدد معاهم شخصياتهم فإن هناك جوانب عديدة تفرق بينهم حتى يصبح لكل واحد منهم شخصيته التي نعرفه بها. وكما حدد الإمام ابن القيم المعالم العامة للشخصية حين تحدث عن حالات النفس المطمئنة، واللؤامة، والأماراة، وكما عاد فجمع أصول الأخلاق المحمودة في الخشوع وعلو الهمة، وجمع أصول المذموم من الأخلاق في الكبر والمهانة والدناءة، فإنه يحدد أن هناك فروقاً بين الأفراد وبعضهم البعض يجب أن تؤخذ في الاعتبار سواء في جوانب الدين أو جوانب الدنيا.

يقول في كتابه تحفة المودود: (٤٠)

«وما ينبغي أن يعتمد حال الصبي، وما هو مستعد له من الأفعال ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له، فلا يحمله على غيره ما كان مأذوناً فيه شرعاً، فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه؛ وفاته ما هو مهيأ له؛ فإذا رأاه حسن الفهم، صحيح الإدراك؛ جيد الحفظ واعياً؛ فهذه من علامات قبوله وتهيئة للعلم، لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً

---

(٤٠) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية) تحفة المودود بأحكام المولد، دمشق: مكتبة دار البيان ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

فإنه يمكن فيه، ويستقر، ويزکو معه، وإن رأه بخلاف ذلك من كل وجه، وهو مستعد للفروسيّة، وأسبابها من الركوب والرمي، واللعب بالرمح، وأنه لا نفاد له في العلم، ولم يخلق له مكنته من أسباب الفروسيّة والتمرن عليها، فإنه أفعى له وللمسلمين، وإن رأه بخلاف ذلك، وأنه لم يخلق لذلك، ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع، مستعداً لها، قابلاً لها، وهي صناعة مباحة نافعة للناس، فليمكّنه منها، هذا كله بعد تعليميه له ما يحتاج إليه في دينه، فإن ذلك ميسّر على كل أحد ل تقوم حجة الله على العبد، فإن له على عباده الحجّة البالغة، كما له عليهم النعمة السابعة والله أعلم». (تحفة المودود ص ٢٤٣، ٢٤٤).

هكذا يلمس الإمام ابن القيم في هذا العرض الموجز ما يتحدث عنه الباحثون الآن تحت مفهوم الفروق الفردية والذي يعتبر مبدأ يستخدم في التعليم، والإرشاد النفسي والمهني وفي التوجيه التربوي والخدمة الاجتماعية والطب النفسي وغيرها. وقد أشار بصفة خاصة إلى الاستعدادات التي تعتبر نقطة الانطلاق لمجالات الحياة والتي باعتبارها يدخل الأفراد إلى ما يناسبهم من التعليم والعمل، وهذه الاستعدادات هي التي تتحول إلى قدرات نتيجة التدريب. كما يعتبر هذا الذي تحدث عنه الإمام ابن القيم سبقاً كبيراً فيما يعرف الآن بالإرشاد المهني وعلم النفس المهني والذي يرجعه كثير من الباحثين إلى الفكرة التي نادى بها الأمريكي بارسونز في كتابه كيف تختار مهنة (١٩٠٩)<sup>(٤١)</sup> والذي يقوم على فكرة الرجل أو الشخص المناسب للعمل المناسب، وهذا المعنى قد جمعه الإمام ابن القيم في عبارته السابقة.

#### سابعاً : نمو الشخصية

لم يهمل الإمام ابن القيم الحديث عن نمو الشخصية ولعله - كما كان في كثير مما تحدثنا عنه من جوانب الشخصية - له السبق أيضاً في التحدث عن أهمية مرحلة الطفولة في حياة الشخص وعن الدور الذي يلعبه الآباء في تكوين شخصية الأبناء كما تحدث أيضاً عن مراحل النمو وقسمها إلى مراحل متعاقبة أعطى كل منها اسمًا مميزاً. وربما يكون مؤلفه «تحفة المودود بأحكام المولود» من أمنع الكتب التي تناقض نمو الإنسان منذ كونه جنيناً.

يقول رحمه الله :<sup>(٤٢)</sup>

(٤١) بارسونز: F. Parsons (1909) Choosing a Vocation. Boston: Houghton Mifflin.

(٤٢) ابن القيم: تحفة المودود: مرجع سابق، ص ٢٤١.

«وما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربi في صغره من حَرَد وغضب وجحاج وعجلة وخفة مع هواه، وطيش وحدة، وجشع فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز، فضحته ولا بد يوماً ما. وهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي نشأوا عليها. وكذلك يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل: مجالس اللهو والباطل، والغناء، وسماع الفحش، والبدع، ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عَسْرٌ عليه مفارقته في الكبر، وعز على وليه استنقاده منه، فتغير العوائد من أصعب الأمور، ويحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية والخروج عن حكم الطبيعة عسر جداً...».

(ص ٢٤٠، ٢٤١).

هكذا نجد الإمام ابن القيم يتحدث عن التنشئة الاجتماعية ودور الأبوين فيها، وكيف أنها قد يدعمان في الإبن سلوكاً فاسداً كما أنها قد يعرضانه لنهاذج سيئة يتعلم منها ويقلدها، ويؤكد دور التربية ودور الوقاية.

أما في حديثه عن مراحل النمو فإنه يستهلle بالحديث عن مرحلة الحمل وكون الفرد فيها جنيناً، ويتحدث عن تطور الجنين استناداً إلى الآيات القرآنية والأحاديث المروية عن الرسول ﷺ، ثم تحدث بعد ذلك عن سبب الشبه بالأبوين أو أحدهما وسبب الإذكار والإيناث، وفي هذا الجانب يسجل ابن القيم لل المسلمين السابق في جانب كثيرة لم تكن معروفة لغيرهم مثل كون الإنسان مخلوقاً من نطفة الذكر ونطفة الأنثى، كما يقرر القرآن ذلك. وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن سن التمييز وهو حوالي سبع سنين، ثم في سن العاشرة حيث يضرب على ترك الصلاة كما أمر به النبي ﷺ وهذا ضرب تأديب وترغيب». (ص ٢٩٦). ثم في المرحلة بعد العشر إلى سن البلوغ يسمى مراهقاً مناهزاً للاحتمام، ثم البلوغ ثم الرشد من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين، ثم يبدأ في الضعف. ويربط ابن القيم بين مراحل النمو ومجموعة من الأسماء التي تطلق عليها فيقول: <sup>(٤٣)</sup>

«ثم بعد الأربعين يأخذ في النقصان وضعف القوى على التدريج، كما أخذ في زيادتها على التدريج. قال الله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيئاً﴾ (الروم: ٥٤). فقوته بين ضعفين، وحياته بين موتين،

<sup>(٤٣)</sup> ابن القيم: تحفة المودود: مرجع سابق، ص ٣٠١، ٣٠٢.

فهو أولاً نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم جنيناً ماداماً في البطن، فإذا خرج فهو وليد، فما لم يتم سبعة أيام فهو صديع؛ لأنه لم يشتد صدقه، ثم ماداماً يرضع فهو رضيع، فإذا قطع عنه اللبن فهو فطيم، فإذا دب ودرج فهو دارج، قال الراجز:

(يا ليتني قد زرت غير خارج)      أم صبيٌّ قد حباً ودارج

فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو: خاسي، فإذا سقطت أسنانه فهو مشغور، وقد ثغر، فإذا نبت بعد سقوطها فهو مُثغر (بوزن مذكور)، بالتباء والثاء معًا، فإذا بلغ السبع وقارها فهو ممِيز، فإذا بلغ العشر فهو متعرع وناشيء، فإذا قارب الحلم، فهو يافع ومرافق، ومناهز للحلم، فإذا بلغ فهو بالغ، فإذا اجتمعت قوته فهو حزور واسمه في جميع ذلك غلام ما لم يحضر شاربه، فإذا أخضر شاربه وأخذ عذاره في الطلوع، فهو باقل، وقد بقل وجهه بالتحفيف، ثم هو ما بين ذلك وبين تكامل لحيته فتى وشارخ بحصول شرخ الشباب له، فإذا اجتمعت لحيته فهو شاب إلى الأربعين، ثم يأخذ في الكهولة إلى الستين، ثم يأخذ في الشيخوخة، فإذا أخذ شعره في البياض قيل شاب، فإذا ازداد قيل وخطه الشيب، فإذا زاد قيل شمط، فإذا غالب شيبه فهو أغثم، فإذا اشتعل رأسه ولحيته شيئاً فهو متقوس، فإذا انحط قواه فهو هرم، فإذا تغيرت أحواله وظهر نقصه فقد رد إلى أرذل العمر، فالمولت أقرب إليه من اليد إلى الفم» (تحفة المودود ص ٣٠١، ٣٠٢).

ولا يقف الإمام ابن القيم في كتابه «تحفة المودود» عند الحديث عن مراحل النمو والنصائح التي يوجهها للأباء في التعامل مع أنوثتهم ومسئوليتهم في ذلك، بل يتناول بالحديث ما يعرض الطفل من مشكلات<sup>(٤٤)</sup>.

«وبيني أن يوقى الطفل كل أمر يفرزعه من الأصوات الشديدة الشنيعة والمناظر الفظيعة، والحركات المزعجة، فإن ذلك ربما أدى إلى فساد قوته العاقلة لضعفها، فلا يتتفع بها بعد كبره، فإذا عرض له عارض من ذلك، فينبغي المبادرة إلى تلافيه بضده، وإناسه بما ينسيه إياه، وأن يلقم ثديه في الحال، ويسارع إلى رضاعه ليزول عنه ذلك المزعج له، ولا يرتسם في قوته الحافظة، فيعسر زواله، ويستعمل تهبيده بالحركة اللطيفة إلى أن ينام، فينسى ذلك، ولا يهمل هذا الأمر، فإن في إهماله إسكان الفزع والرُّوع في قلبه، فينشأ على ذلك ويُعسر زواله ويتعذر». (تحفة المودود، ص ٢٣٣).

<sup>(٤٤)</sup> ابن القيم: تحفة المودود: مرجع سابق، ص ٢٣٣.

ولعل هذا النموذج الذي أورده الإمام ابن القيم يشتمل على كل ما يحاوله المعالجون النفسيون في الوقت الحالي لمعالجة الخوف، وفيه جانب الوقاية مقدم على جانب العلاج، ثم العلاج بالتطمين بالضد، أو ما يعرف الآن بالعلاج «بالكف بالنفيض والتخلص من الحساسية»، عن طريق إرضاع الطفل من أمه وإناسه بما ينسيه الفزع وهو يناسب أيضاً أسلوب التشتت أو الإشغال Distraction وهذا النموذج الذي ينصح به الإمام ابن القيم يماشل الأساليب التي نتجت عن تجارب ماري كوفر جونز (١٩٢٤م)، وجوزيف وولبيه Reciprocal Inhibitory Conditioning (١٩٥٨م) للإشراط المضاد Counter Conditioning والكف بالنفيض Inhibition ، وما هو جدير بالذكر أن الإمام ابن القيم قد اعتبرها علاجاً بالضد «فينبغي المبادرة إلى تلافيه بضده».

#### ثامناً: اضطرابات الشخصية

رأينا عبر هذه الدراسة كيف أقام الإمام ابن القيم تصوّره للسلوك البشري على أساس من المنهج الإسلامي وأن النفس تشتمل في بنيتها على أركان: أمارة، ومطمئنة، ولوامة. وأن نمو الفرد في أحضان الإيمان وعرضه لخواطره وأفكاره على ميزان الإيمان والعقل يجعله يقبل الصالح منها ويرفض الفاسد فتسود لديه حالة النفس المطمئنة ويصبح الالتزام الإيماني أمراً سهلاً ليس فيه مشقة وعادة مألوفة يشعر بها بالسعادة واللهة بتحقق وإشباع مطالب بدنه ومطالب آخرته، وهذا هو نسيج الصحة النفسية للمسلم. أما إذا غلت على الفرد النفس الأمارة بالسوء وتكن الشيطان منه، وأضلله عقله بعد الالتزام بحكم الشرع وميزان الإيمان، فإن الأعمال تختلط عليه حتى يرى سيئها أحسنتها، وما له الذي لا مفر منه الا ضطرب ، والذي يطلق عليه الإمام ابن القيم في كثير من مؤلفاته مرض القلب.

لقد خصص الإمام ابن القيم وهو الفقيه العالم الداعية كثيراً من كتاباته للحديث عن أمراض القلوب وأسبابها، حتى لا يكاد يخلو مؤلف منها، وإن بدلت في بعض المؤلفات بشكل أكبر مثل مؤلفه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (جزءان)، ومدارج السالكين (ثلاثة أجزاء) والفوائد، والجواب الكافي، والروح . . . وغيرها. وهو ينظر إلى أمراض القلوب من المنطلق نفسه الذي تبصر به في نفس الإنسان على أساس من الالتزام بمنع الإسلام من عدمه، فمرض القلب ما هو إلا انحراف النفس عما أمر الله به وإيتائها ما نهى عنه.

وفي كتابه الروح فإنه يجمع أصل كل عمل فاسد في الكبر والمهانة، فالكبر يصد عن الحق ويعمي البصيرة و يؤدي إلى البغي والعدوان، والمهانة والدناءة تنخفض بالمرء إلى الأسفل من الأعمال والأخلاق فتمنعه عن طلب الرفيع منها وتزيّن له الوضيع منها.

وفي كتابه مدارج السالكين يجمع الإمام ابن القيم مفسدات القلب في خمسة أسباب :<sup>(٤٥)</sup>

«وأما مفسدات القلب الخمسة فهي التي أشار إليها الهروي مؤلف منازل السائرين من كثرة الخلطة، والتمني، والتعلق بغير الله، والشبع، والنمam فهذه الخمسة من أكبر مفسدات القلب». (مدارج السالكين، ج ١، ص ٤٨٨).

وتجمع هذه الجوانب الخمسة بين الإسراف في العلاقات الشخصية مع ما يصاحبها من تعلم من نهادج سيئة والتأثر بأفكارهم والانقياد لأهوائهم، والتمني وهو ما يعبر عنه الباحثون النفسيون بأحلام اليقظة وبعد عن الواقع، فإن التمни لا يشتمل على عمل في حين أن الرجاء يكون مصحوباً بجهد، والتعلق بغير الله لأنه ضلال عن الطريق وعدم اهتداء إلى الإله الواحد الحق الذي خلقنا لعبادته فلا يكون هناك إخلاص في العمل، والشبع وهو يمثل نموذجاً للإسراف في إشباع الحاجات الأساسية والتغالي في ذلك مما يليه عن إشباع مطالب الآخرة وكذلك الأمر في النمام حيث يفوت في كثرته على الإنسان لذة العبادة ولذة السعي .

ولا يقف الإمام ابن القيم عند عرض هذه المفسدات بل يفرد لها فصولاً لشرحها وبيان آثارها وفي مؤلفه إغاثة اللھفان من مصادى الشیطان فإنه يفرد فصولاً عديدة للحديث عن أمراض القلوب فتحديث عن انقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت، حقيقة مرض القلب، أمراض القلب طبيعية وشرعية، حياة القلب، القرآن متضمن لأدوية القلب وعلاجه من كل أمراضه، علامات مرض القلب، علاج مرض القلب من استيلاء النفس عليه، ومكائد الشیطان لابن آدم . . . إلخ .

وقد تناول الإمام ابن القيم بعد حديثه عن النفس وأنواعها وأمراض القلوب وأسبابها، بالحديث مجموعة كبيرة من الآفات التي تصيب الأشخاص والمجتمعات والتي أوضح الإسلام شرع الله فيها سواء منها ما يتعلق بالعقيدة أو العبادات أو المعاملات بين

<sup>(٤٥)</sup> ابن القيم: مدارج السالكين: مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٨.

الناس أو الأخلاق، وهي في عددها أكبر من أن تتناوله بالعرض الموجز. ولكن ما نود أن نؤكده في هذا المقام أن هذه الآفات كما يراها الإسلام هي أسباب تنس الأفراد والمجتمعات، وأن بعد عن النهج الإسلامي هو الموضع فيها، وأن قصور الباحثين هو الذي صرفهم عنها وشغلهم بسميات مثل العصاب والقلق والاكتتاب وهي كلها إنما تأتي نتيجة مباشرة أو لاحقة لتلك الآفات التي تصيب بها المجتمعات والأفراد والتي تغلق قلوبهم عن الحق، فيمرض الأفراد وتمرض المجتمعات. يقول رحمة الله تعالى :

«وقد يمرض القلب ويشتت مرضه، ولا يعرف به صاحبه، لاستغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحب لا يشعر بمортته وعلامة ذلك أنه لا تؤله جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة تأمل بورود القبيح عليه، وتتألم بجهله بالحق بسبب حياته : وما لجرح بمتى إيلام

وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها، فهو يؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء، فإن دواء مخالفة الموى، وذلك أصعب شيء على النفس، وليس فيها أفعع منه». (إغاثة اللهفان، ج ١، ص ٦٨، ٦٩).

ويقول في موضع آخر:

«ومن علامات صحة القلب أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينبع إلى الله وبخت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه، الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به، فيه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوى، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، وله يخاف، فذكره قوته وغذاؤه ومحبته، والشوق إليه حياته ونعمته ولذته وسروره، والالتفاتات إلى غيره والتعلق بسواء داؤه، والرجوع إليه داؤه، فإذا حصل له ربه سكن إليه واطمأن به، وزال ذلك الاضطراب والقلق، وانسدت تلك الفاقة، فإن في القلب فاقة لا يسدّها شيء سوى الله تعالى أبداً، وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له، وعبادته وحده، فهو دائمًا يضرب على صاحبه حتى يسكن ويطمئن إلى إلهه ومعبوده، فحينئذ يباشر روح الحياة، ويندوّق طعمها،

(٤٦) ابن القيم: إغاثة اللهفان: مرجع سابق، ج ١، ص ٦٨، ٦٩.

(٤٧) ابن القيم: إغاثة اللهفان: مرجع سابق، ج ١، ص ٧١ - ٧٣.

ويصير له حياة أخرى غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر الذي له خلق الخلق، وأجله خلقت الجنة والنار، وله أرسلت الرسول ونزلت الكتب، ولو لم يكن جزاء إلا نفس وجوده لكتفى به جزاء وكفى بقوته حسرة وعقوبة . . . ». (ص ٧١).

«وبالجملة فالقلب الصحيح : هو الذي همه كله في الله ، وجبه كله له ، وقصده له ، وبذله له ، وأعماله له ، ونومه له ، ويقظته له ، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث». (ص ٧٣).

هكذا في تناجم واتساق تامّين يتحدث ابن القيم عن أمراض القلوب وعن صحتها وقيام ذلك كله هو الالتزام بواجب العبودية لله وطاعته فيها أمر به والانتهاء عنها عنده ، فذلك هو الطريق الموصى لصحة القلب ، والبعد عنه هو المؤدي إلى مرضه.

ولعل ما تشهده البشرية الآن من ضغوط هي في معظمها من صنع الإنسان نفسه بالتخلي عن الدين والأنسياق وراء الماديات وإشباع الحاجات البدنية وإهمال الحاجات الروحية والصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان والظلم والبغى والعدوان واقتراف الآثام والانزلاق إلى مهابي الجريمة وتعاطي المسكرات والمخدرات ، وهذه كلها قد أدت إلى تفاقم الأضطرابات النفسية وفي مقدمتها عدوا الإنسان اللذودان القلق والاكتئاب.

لقد وضع الإمام ابن القيم أن عدو الإنسان هو نفسه التي بين جنبيه ، وأن الشيطان يحاول بلا هواة أن يجد طريقه إلى القلب من خلال الأفكار والخواطر التي لو وجدت طريقها إلى الإرادة وإلى الجوارح لأصبحت عادات يصعب زوالها ، كما أوضح أن المؤمن يبني «صفة» بداخله أساسها الإيمان والعقل لتمر عليها هذه الخواطر والأفكار فيقبل منها ما يوافق الإيمان وبذلك يخلص قلبه ويصبح وينجو من المرض. أما الذي لم يخلص إيمانه فإن هذه المصفة تعطل وبذلك تجد الأفكار الفاسدة طريقها إلى الإرادة وإلى الجوارح فتصبح القبائح والآثام طريقه وعاداته المألوفة . والرجوع إلى الدين الحق والتمسك به عقيدة وشريعة هو الطريق الموصى إلى الصحة صحة القلب وسلامته أو بلغة علم النفس الصحة النفسية أو السلامة وطيب العيش Well Being .

وقد بدأ بعض الباحثين مؤخرًا في الحديث عن نوع من الشخصية أطلقوا عليها الشخصية الصلبة أو الشديدة Hardy Personality وهي شخصية تتميز بالضبط و بمواجهة الضغوط والشدائد دون استسلام لها أو انفعال بالغضب أو الخوف ، ولعل الإسلام هو الذي

حدد معالم هذه الشخصية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان كما نلمسه في الحديث الشريف . ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». [البخاري حديث ٩٥٠٦]

وهذه الشخصية توافر في المؤمن الحق الذي يدرك غاية وجوده وهو عبادة الله ، ويعمل للأخرة كما يعمل للدنيا ، ويرضى بالقضاء ويتمسك بالصبر ، ويضبط تصرفاته ويتحكم فيها ويلتزم حد الاعتدال في أفكاره ومشاعره وتصرفاته .

### تاسعاً - العلاج النفسي

ترتبط أساليب العلاج النفسي بالنظريات التي نشأت في ظلها ، وتسق معها اتساقاً كاملاً . والتأمل في فكر الإمام ابن القيم وكتاباته يجد أنه يجمع فيها نسقاً واحداً لا تجده عن مقدار أنملة ، وهذا النسق - كما ذكرنا من قبل - هو نسق الإيمان الذي يتخذ منه معياراً للحكم على الخاطر وال فكرة منذ ورودها على ذهن المرء ويستمر هذا المعيار معه حتى لو نجح الخاطر في الوصول إلى الجوارح وظهوره في شكل فعل ظاهر ، فإن المسلم كما يقول الإمام ابن القيم يلزمته نوعان من المحاسبة «محاسبة قبل وقوع الفعل». وهذه لها دور وقائي و«محاسبة بعد وقوع الفعل». وهذه لها دور علاجي .

لو أردنا أن نلخص نظرة الإمام ابن القيم في العلاج لقلنا إنها نموذج إيماني معرفي ، نموذج يستخدم العقل في التعرف على موافقة الفكرة أو الخاطر لميزان الشرع ، أو معيار الإيمان ، وأن العلاج يكمن أساساً في قطع الأفكار أو الخواطر من بدايتها إذا لم تكن مستوفية لشروط الإيمان وبالتالي يقطع عليها طريق الظهور والاستحكام في شكل عادات سلوكية . كذلك فإن من بين ما يجعله ابن القيم قاعدة وقائية وعلاجية أن يلتزم المسلم الحد المحمود من الأخلاق فلا إفراط ولا تفريط ، وهو يضرب العديد من الأمثلة على ذلك . أما أساليب العلاج وتصحيح ما وقع فيه فهي الأساليب الإيمانية المعروفة من محاسبة النفس والتوبة والإنابة والرجوع إلى الله والدعاء والذكر والعبادات . وقد أورد الكثير من هذه الجوانب في كتبه مثل مدارج السالكين ، والوابل الصيب من الكلم الطيب ، وإغاثة اللهمان ، وطريق المجرتين وباب السعادتين ، والجواب الكافي (الداء والدواء) والطب النبوى . . . وغيرها .

وبذلك فإن المسلم قد تعرّض طريقة هنات تثيره - أكبرها هو ما يتعلّق بالجوانب الشرعية الإيمانية وأساليب تصحيحها هي أساليب إسلامية بحثة تأتي التوبة في مقدمتها. ولكي يصل المسلم إلى واقع التوبة فلابد له أن يكون قد عرض نفسه وأعماله على ميزان الإيمان وتبيّن له ما قصر فيه ووجه القصور يقول رحمة الله :<sup>(٤٨)</sup>

«ومن منزلة المحاسبة يصح له نزول منزلة «التوبة»؛ لأنّه إذا حاسب نفسه، عرف ما عليه من الحق فخرج منه، وتنصلّ منه إلى صاحبه، وهي حقيقة «التوبة» فكان تقديم المحاسبة عليها لذلك أولى.

ولتأخيرها عنها وجه أيضًا وهو أن «المحاسبة» لا تكون إلا بعد تصحيح التوبة. والتحقيق: أن التوبة بين محاسبتين، محاسبة قبلها، تقتضي وجوبها، ومحاسبة بعدها تقتضي حفظها. فالتوبة محفوظة بمحاسبتين. وقد دل على المحاسبة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَنْظُرُنَّفُسَمَا قَدْمَتْ لَغَدِ...﴾ (الحاشر: ١٨). فأمر سبحانه العبد أن ينظر ما قدم لغد، وذلك يتضمّن محاسبة نفسه على ذلك، والنّظر: هل يصلح ما قدمه أن يلقى الله به أو لا يصلح؟ (مدارج السالكين ج ١ ص ١٨٩).

ويقول في مكان آخر:<sup>(٤٩)</sup>

«وشرائط التوبة ثلاثة: الندم، والإقلال، والاعتذار».

ناقش ابن القيم فكرة الاعتذار التي أدخلها الهروي في شروط التوبة فيقول رحمة الله: «حقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلال عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل».

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلّع ويعزم. فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها. وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة». (مدارج السالكين ج ١ ص ٢٠٢).

وفي الواقع فإن كل ما يعمله الإنسان متصلة بشؤون دنياه له أيضًا علاقة بواقع إيمانه وله بيان في الكتاب والسنة، فالعمل والإخلاص فيه، والأسرة وبناؤها والعلاقات التي تسود بين أفرادها، والمجتمع وما بين أفراده من علاقات ومصالح، وشغل الإنسان وفراغه، كلها

(٤٨) ابن القيم: مدارج السالكين: مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٩.

(٤٩) ابن القيم: مدارج السالكين: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٢.

جوانب لا بد للإنسان أن يراقب ربه فيها، وأكثر ما يحدث من اضطرابات نفسية إنما يأتي من خلل في هذه الجوانب لبعدها عن منهج الإسلام. فالصراع بين الناس يأتي نتيجة الجور والبغى من بعضهم (من ضعف إيمانه) على بعض، والخلل داخل الأسرة يأتي من عدم التزام الشرع وما يفرضه من المسؤولية والعدل على كل فرد من أفرادها، وقد يكون أكثره كما يقول الإمام ابن القيم من تقصير الآباء في تربية أبنائهم وتعريضهم لنهاذج سيئة يتعلمون منها، وقد يكونون هم أنفسهم (أي الآباء) هذه النهاذج السيئة. والتقصير في العمل إنما يكون لفقدان معنى الإخلاص وهو أمر يتصل بحفظ الأمانة وحفظ العهد، وهي أمور يلزم الإسلام بها أتباعه. وهكذا كلما تبعنا أمراً من الأمور التي نظن أنها منفصلة عن الدين نجد أنها في الواقع ذات صلة وثيقة به؛ لأنها يجمعها شخص واحد يتسلق سلوكه، فالذي يهدى الوقت ويضيع الصلاة ستجده في إهدار وقت العمل أكثر، والذي سيسقط حق الله في ماله فإنه سيكون إلى غش الناس أسرع، وهكذا فكما أن صلاح الأعمال بصلاح الخواطر فإن صلاح السلوك كله بصحة الإيمان؛ لأن الميزان الذي نحكم به على الخواطر والأعمال كما قلنا هو ميزان الإيمان، وأما العقل فهو الأداة التي تجعلنا نحكم الحكم الصحيح تبعاً لهذا الميزان.

ومن هنا فإن نموذج التوبة ذلك الأسلوب الإسلامي يقع كما يقول ابن القيم بين محاسبتين أو بلغة علم النفس بين قياسين، المحاسبة الأولى قبل التوبة؛ لأنها هي التي تحدد لنا مدى البعد عن مسار الإيمان. والمحاسبة الثانية بعد التوبة وهي محاسبة تعين المسلم على معرفة ما إذا كان قد التزم بما عقد العزم عليه.

ويحاول الباحثون النفسيون في السنوات الأخيرة اتباع نموذج قريب من نموذج التوبة وهو يبدأ أيضاً بمراقبة الذات ثم يتلو ذلك عملية التصحيح وأخيراً الحكم على هذا التصحيح، والتشابه أو القرب الذي أشير إليه هنا هو تشابه الإطار وليس تشابه المحتوى، فأسلوب مراقبة الذات كما يقترحه هؤلاء الباحثون أسلوب ذاتي لا يقيس السلوك إلى شيء موضوعي وإنما يقيس السلوك إلى الإحساس الذاتي فهو نموذج خاوي، لأنه سيباين في محتواه بين شخص وآخر ويخضع فقط إما لحكم العقل أو لحكم العاطفة، ولا يربط بين أفعال الدنيا وجانب الدين، أما النموذج الإسلامي فهو نموذج ثابت قائم على منهج الإسلام، المنجح الثابت الواضح الذي شرعه خالق الإنسان، سبحانه وتعالى، لهذا الإنسان هدایته وإصلاح

حياته وأخراه، ولذلك فمحتواه معلوم للإنسان بحكم الهدایة والتبلیغ وليس أمراً اجتهادياً بين الفرد ونفسه أو حتى بينه وبين مرشد آخر.

ومن هنا نقول إن نموذج التوبه في مجال العلاج يمكن بجانب كونه أساسياً فيما يتصل بجوائب الإيمان، نموذج إسلامي يمكن أن تستخدمنه أيضاً في سائر شؤون الحياة. والإسلام دين المسؤولية وهو يطلب من كل مسلم أن يتحمل مسؤوليته نحو ربه في العبودية له سبحانه ونحو نفسه ونحو الآخرين، ولا يمكن أن يوجد انحراف خارج هذه الجوانب بل إن الباحث المدقق يعرف أنها كلها جوانب متكاملة. فكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن العبادة إنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضى عنه.

والذي يمكن أن نخلص إليه هنا هو ما يأني:

١ - إن عبودية الإنسان لربه هي غاية حياته كما حدد القرآن ذلك: ﴿وَمَا خلقتُ الْجِنَّا تَوْلِيدًا لِّيَعْبُدُونَ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٢ - إن العبودية لله يمكن أن تشمل كل ما يقوم به الإنسان من أعمال يرضى الله عنها. كما يعرفها بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله<sup>(٥٠)</sup> حيث يقول: «العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة...». (ص ٣٨).

٣ - إن الإنسان عليه أن يراقب عمله ويحاسب نفسه ليس عن العمل فقط ولكن على بداية الأعمال وهي الخواطر والأفكار ويعرضها على ميزان الإيمان مستخدماً عقله الذي كرمه الله به في الحكم عليها (أي على الأفكار والأعمال).

٤ - إن قطع الأعمال من بدايتها منذ أن تكون أفكاراً وخواطر أسهل وأولى من تركها إلى أن تصبح عادات.

٥ - إن التوبه والرجوع والإتابة وتصحيح ما صدر عن الإنسان سواء في حق ربه وهذا طريقه التوبه والإيمان والعمل الصالح أو في حق نفسه أو في حق الآخرين بما يفرضه الإسلام عليه، هذه كلها أساليب تصحيح السلوك ومعالجته.

---

(٥٠) تقى الدين أحمد بن عبدالحليم (ابن تيمية) العبودية (ط٥) دمشق، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩هـ، ص ٣٨.

### الخلاصة

عرضنا في هذه الأوراق جانب من فكر الإمام الفقيه المحدث العلامة ابن قيم الجوزية حول الإنسان ومنزلته وحول النفس وأحوالها وما يتفرع عنها من صفات تنتهي إلى النفس الأمارة أو إلى النفس المطمئنة، وكيف أن هناك لكل خلق حداً إذا تجاوزه مال إلى الإفراط وإذا قصر عنه مال إلى التفريط، وأن النفس دائرة كالرحا، وأن ما تطمحه بين شقيها هي الأفكار والخواطر، وهذه الأفكار والخواطر منها ما هو صالح يناسب منهج الإيمان ومنها ما هو فاسد يلقيه الشيطان للإنسان ليضله عن الصراط المستقيم. فإذا تركت الأفكار والخواطر فإنها تصل إلى الإرادات، والإرادات تسلّمها إلى الجواح فتخرج أعمالاً وأقوالاً وتتصبح بتكرارها عادات. وأن المؤمن يعرض هذه الخواطر والأفكار على ميزان الإيمان ويستخدم الأداة التي وهبها الله له وهي العقل في الحكم على مدى موافقتها لمنهج الإيمان أو عدم موافقتها له، وأن صاحب النفس المطمئنة الذي اعتادها سرعان ما يستبعد هذه الخواطر والأفكار من بدايتها. وأما صاحب النفس الأمارة فإنه لضعف ميزان الإيمان عنده يكون حكمه على هذه الخواطر والأفكار حكماً فاسداً مما يجعلها تتحرك إلى الإرادات والجواح وتخرج أعمالاً ظاهرة، ثم تصبح عادات مستحكمة. وإذا قويت النفس اللوامة عنده فإنه يمكن أن يحاسب نفسه على ما فكرت فيه، فيمنعه من بدايته وهذا أفضل، فإذا وقع الفعل فإنه يندم عليه ولكن الندم وحده لا يكفي بل لابد من مسار إجرائي ، للتصحيح والعلاج وهو مسار التوبة. وقد يكون التنبيه من خارج الفرد عن طريق الموعظة من الآخرين وهنا فإنه قد يبدأ في محاسبة نفسه والحكم على ما فكر فيه أو ما أقدم عليه فعلاً بأنه إثم أو فسق أو عصيان ، وبناء على هذا الحكم تتتابع خطوات التوبة. ويمكن أن نلخص فكر الإمام ابن القيم حول شخصية الإنسان باعتبارها السلوك المتسق فيما يأتي :

- ١ - إن الإنسان مخلوق ذو خصوصية في الخلق والتكرير.
- ٢ - إن الإنسان مخلوق لعبادة الله سبحانه وتعالى وحده وكل أعماله تدور في هذا المسار.
- ٣ - إن الإنسان يولد على الفطرة والفطرة هي الإسلام والخير.
- ٤ - إن للأبدين دوراً مهماً في تربية الطفل وتنشئته على القيام بالواجب الذي من أجله خلق وهو عبادة الله ، والالتزام بها شرعاً .
- ٥ - إن النفس الإنسانية بداخلها أحوال تتفاعل بعضها مع بعض هي النفس الأمارة،

والنفس المطمئنة والنفس اللوامة.

- ٦ - في الوقت الواحد لا يكون للإنسان إلا نفس واحدة هي السائدة فهي إما أماره أو مطمئنة أو لوامة.
- ٧ - إن النفس المطمئنة هي التي تحكم إلى الإيمان وتستفيد في الحكم من العقل، وهي التي تشبع حاجات الدنيا وتلبي مطالب الآخرة.
- ٨ - إن النفس الأمارة هي التي تستجيب لنزغات الشيطان الذي يلبس عليها دينها وحياتها فترى الخير قبيحاً وترى القبيح جميلاً.
- ٩ - وإن الظاهر الذي يبدو هو إما قلب صحيح قد التزم صاحبه بالإيمان، أو قلب مريض قد خضع صاحبه للشيطان.
- ١٠ - إن بداية الأعمال الظاهرة خواطر أو أفكار باطنية، والنفس دائمًا تعامل مع الخواطر والأفكار وهذه تعامل مع الإرادات فإذا نجحت فإن الإرادات تأمر الجوارح، فيخرج العمل من الباطن إلى الظاهر.
- ١١ - إن أمثل أساليب الوقاية هو وقف الخواطر المنافية للشرع من بدايتها، وهذا يستلزم من المسلم أن يكون محاسباً لنفسه عارضاً لخواطره وأفكاره وأعماله على ميزان الإيمان، مستفيداً مما وله الله من عقل في هذا الحكم.
- ١٢ - وأما أساليب العلاج فهي تستلزم اتخاذ طبيعة جديدة، والعلاج ليس بالأمر السهل ولكنه معكן لمن هدأ الله إلى مخالفته نفسه والعزم على التغيير والتصحيح.
- ١٣ - يؤكد ابن القيم مبدأ الفروق الفردية، وأهمية توجيه الأبناء بناء على هذه الفروق.
- ١٤ - كما يؤكّد كذلك الدور الذي يقوم به العقل واضعاً ميزان الإيمان أمامه دائمًا.
- ١٥ - يرى ابن القيم أن أفضل منهج تنمو فيه شخصية المسلم الطاعة لله والخوف والرجاء ومحاسبة النفس وقطع الخواطر والأفكار من بدايتها وإلزام النفس بما يخالف هواها وإيجاد توازن بين مطالب الدنيا ولذتها وبين مطالب الآخرة ولذتها مع كون الآخرة أولى، لأنها موقف الحصاد الذي يعمل المؤمن من أجله.
- ١٦ - وينظر الإمام ابن القيم إلى مرض القلب على أنه راجع إلى البعد عن طريق الله واتباع خطوات الشيطان.
- ١٧ - كما يرى أن العلاج والتصحيح إنما هو فيها شرع الله وأن القرآن هو الشفاء من أمراض القلوب ..

١٨ - ويرى أن صحة الإنسان تقع بين ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وتشتمل على العمليات الآتية (المنازل) : «اليقظة» و«البصرة» و«الفكرة» و«العزم» .

وهذه العمليات يمكن أن نصاヒها بما يقرره علم النفس الحديث من عمليات مثل الانتباه، والإحساس، والإدراك، والتفكير، والدافعية، فاليقظة تشتمل على الإحساس والانتباه، والبصرة تشتمل على الإدراك والتذكر، وال فكرة تشتمل على التفكير، والعزم يشتمل على الدافعية وعلى إitan السلوك .

يقول رحمه الله : (٥١)

«فلنرجع إلى ذكر منازل : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ التي لا يكون العبد من أهلها حتى ينزل منها : فذكرنا منها «اليقظة» و«البصرة» و«الفكرة» و«العزم» .

وهذه المنازل الأربع لسائر المنازل كالأساس للبيان ، وعليها مدار السفر إلى الله ولا يتصور السفر إليه بدون نزولها البتة . وهي على ترتيب السير الحسي فإن المقيم في وطنه لا يتأتى منه السفر حتى يستيقظ من غفلته عن السفر . ثم يتبصر في أمر سفره وخطره ، وما فيه من المنفعة له والمصلحة ، ثم يفكر في أهبة السفر ، والتزود وإعداد عدته ، ثم يعزّم عليه ، فإذا عزم عليه وأجمع قصده انتقل إلى منزلة «المحاسبة» وهي «التمييز» بين ما له وما عليه فيستصحب ما له أو يؤدي ما عليه ؛ لأنّه مسافر سفر من لا يعود . (مدارج السالكين ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩) .

وهذا النموذج الذي نستقرئه من كتابات الإمام ابن القيم والذي فصله على أساس من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، هو نموذج شامل لتفسير سلوك الإنسان سواء في معانٍ الدينية أو عمله وسعيه للأخرة ، وفي رأينا أن التفريق بين الجانبيين لا مكان له في حياة المسلم المؤمن الذي يعرف أن غاية خلقه هو عبادة الله سبحانه وتعالى وأن وظيفته الموصلة لهذه الغاية هي الخلافة في الأرض وعمارتها ، ومن هنا تبدو قوّة هذا التصور للشخصية عن أي نموذج آخر لا يستند إلى المنهج الحق ، منهج الإسلام ، وصدق الله القائل : ﴿من عمل

---

(٥١) ابن القيم : مدارج السالكين : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

صالحا من ذكر أو أنشى وهو مؤمن فلنحييئه حياة طيبة ولنجزينهم أجراهم بأحسن ما كانوا يعملون» (النحل : ٩٧).

رحم الله إمامنا ابن القيم رحمة واسعة جراء ما ترك من فكر وعلم ونفعنا بعلمه،  
وعلمنا ما ينفعنا، ونفعنا بما علمنا.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## نحو خطة منظمة ومتكاملة للتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية

الأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود السيد

قسم علم النفس، كلية التربية - جامعة الملك سعود

### ملخص البحث

تناولت الدراسة موضوع التأصيل الإسلامي من ثلاثة جوانب أساسية وهي : دوافع التأصيل الإسلامي لعلم النفس وتشمل حرص الإسلام على معرفة سنن الله في الكون وفي النفس، حيث الإسلام علماء النفس على اكتشاف سنن الله في النفس وتفسيرها لصالح الإنسان المسلم، وإدراك أعداء الإسلام قيمة علم النفس في اكتشاف قوانين السلوك الإنساني وتطوريها لصالحهم.

وكذلك من أهم العقبات التي تقف أمام التأصيل الإسلامي لعلم النفس ويتضمن مصدررين أساسيين أوهماً في العقبات التي يضعها أمام التأصيل الإسلامي لعلم النفس، مفكرون من خارج مجال التخصص النفسي، وإن كانوا يعنون بالإنسان المسلم. أما المصدر الآخر لعقبات التأصيل، فيأتي من باحثين من داخل التخصص النفسي.

وأيضاً، أهم ملامح التأصيل الإسلامي المتكامل لعلم النفس، وتمثل في الجوانب المشتركة بين علم النفس وغيرها من العلوم الكونية، التي تعد جوانب عامة، ومستقلة إلى حد كبير، وجوانب تحكم فيها الثقافة التي يتمتع بها العلماء وتمثل إطاراً لنشاط العلماء، وقد شملت الدراسة قائمة من ثلاثة وثلاثين موضوعاً للدراسة العلمية التي تجمع بين المعاصرة واستخدام مناهج البحث العلمي النفسي الحديث من ناحية، وتوظيفه لصالح الثقافة الإسلامية من ناحية أخرى.

### مقدمة

التأصيل الإسلامي لعلم النفس<sup>(\*)</sup>، أصبح موضوعاً مهماً في عصرنا الحاضر، وقد كان للثقافة الإسلامية - التي تأسست على دعائم من علوم القرآن الكريم وحديث رسول الله ،

(\*) وقد مهد لهذا المستوى من الوعي وخروج عدد كثير من الدراسات في هذا المجال عدد متتابع من =

، واجتهد الفقهاء، والعلماء، والمفكريين - في مختلف فروع المعرفة الإنسانية التي ازدهرت وبلغت أوجها في عهود النهضة الإسلامية - كان لهذه الثقافة الإسلامية دور بارز في تحديد ملامح إطار نفسي وتربوي إسلامي ، ظل موجهاً لبرامج التربية والتنمية وتنمية سلوك الأفراد والجماعات في المجتمع الإسلامي ، إلى أن تراكم عدد من الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية الوافدة، ساهم (في ظل ضعف المسلمين أمام المحتل عسكرياً وثقافياً) في عزل المتعلمين بالعالم الإسلامي عن ثقافتهم الإسلامية الأصيلة، وذلك عندما نقل المستعمرون إلى بلاد المسلمين من خلال أبنائهم الذين تشربوا ثقافته - ، نظام ثنائية التعليم أو تشعييه إلى شعبتين، إحداهما حديثة أو علمانية ، والأخرى تقليدية أو دينية ، في محاكاة آلية للغرب المسيحي الذي ارتبطت فيه النهضة العلمية بالثورة على الدين ؛ وعزله عن توجيه دفة الحياة ، بل وإنكار علماء الغرب أو معظمهم - للغيب - كرد فعل لطغيان

الجهود المخلصة ، لإثارة الاهتمام ، ومحاولة تقديم نماذج ، ومناقشة الاعتراضات ، واقتراح الحلول فيما يتصل بعملية التأصيل الإسلامي للدراسات الفسقية والتربية ، من أهمها جهود عدد من المؤسسات العلمية بالمملكة العربية السعودية ، وعدد من البلاد العربية الأخرى ونخص بالذكر كلاً من :

- ١ - ندوة «الإسلام وعلم النفس» التي نظمها قسم علم النفس بجامعة الملك سعود عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٧م.
- ٢ - ندوة «التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية» بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ٣ - اللقاء العالمي الرابع حول : «قضايا المنهجية في العلوم السلوكية» الذي نظمه كل من : المعهد العالمي للفكر الإسلامي بوشنطن ، وقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الخرطوم ، عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٤ - ندوة «علم النفس والإسلام» التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- ٥ - ندوة «المنظمة العالمية للطلب الإسلامي» لدراسة أوجه الإعجاز الطبي في القرآن الكريم وعدد من قضايا الطب المستحدثة ، والتوجهات الشرعية لها ، بكل من القاهرة ، والكويت . وهذا ليس بمعزل عن جهود التأصيل الإسلامي لمعظم جوانب الحياة التشريعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتنامى على مستوى العالم العربي والإسلامي .

الكنيسة في العصور الوسطى<sup>(\*)</sup>.

وقد أدى هذا العزل بين الحداثة والأصالة في نظام التعليم بمعظم أنحاء العالم العربي والإسلامي ، إلى إبعاد معظم الشباب المتعلم في البلاد العربية والإسلامية عن منابع الثقافة الإسلامية وجهلهم بملامحها الأساسية ، هذا في الوقت نفسه الذي تم فيه عزل قطاع كبير من طلاب العلم بالمعاهد الدينية والجامعات الإسلامية عن مصادر ومناهج العلوم الحديثة (نجاتي ، ١٩٨٩).

مع أن هذا الفصل بين العلوم الكونية والعلوم الشرعية ، غريب عن روح الثقافة الإسلامية ، حيث كانت برامج التعليم تبدأ وستمر في تعليم علوم القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والعلوم الشرعية جنباً إلى جنب مع العلوم الكونية ، وقد برع المسلمون في إعداد برامج تعليم النشء المسلم (انظر الأهواي ، أحمد فؤاد).

وقد ترتب على هذا العزل بين التعليم الحديث والتعليم الديني ، وجود أجيال من الباحثين في مجال الدراسات النفسية والتربية تحمل أعلى المؤهلات العلمية ، تنقل ما تعلمه من الخارج - بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال أساتذة أو مراجع - دون تمييز بين ما يتميي إلى دائرة العلم النافع ، وبين ما يدخل في دائرة المسلمات الثقافية لعلم نشأ في مجتمع له ثقافة الغربية ، وظروفه التاريخية التي تحدد عقائده وتوجهاته ، وهم يعتقدون في أنفسهم أنهم ينقلون إلى بلادهم العلم الذي سينهض بهم.

ويقابل هؤلاء أجيال تحمل ثقافة إسلامية أو حماسة للدين<sup>(\*)</sup> ، لكنها لم تتمكن من مناهج البحث العلمي التجاريبي الحديث ، التي تساعدها على عزل ما ينفع من علوم

(\*) وهذا مختلف عن موقف علماء المسلمين الذين حثهم الإسلام على مزيد من المحاولة واكتشاف سنن الله في الكون.

(\*) يسجل للحق وللتاريخ ، جهود الرعيل الأول من حملة الثقافة الإسلامية الذين سعوا إلى نشر كتب التراث ، ذات المضمون النفسي ، التي تصف أحوال النفس وفضائلها أو نقائصها ، وطرق إصلاحها أو تهذيبها ، والتحكم في أحوالها وصراعاتها مثل كتابات الغزالي : إحياء علوم الدين ، وميزان العمل ، والعلم والعمل .. إلخ ، وابن مسكونيه : تهذيب الأخلاق واللذات والآلام ، والمحاسبي : رعاية حقوق الله ، وابن الجوزي ، ذم الهوى ، والبيهقي ، المحاسن والمساويء أو تلك الكتابات التي تناولت صفات العقل الإنساني وحصول العقلاة ومراتبهم ، مثل : المحاسبي ، ماهية العقل ، وابن الجوزي ، =

الغرب وقبوله ورفض ما يضر، لهذا فقد وقع بعضهم في أخطاء تعميم الحكم من رفض نماذج محددة من النظريات أو الأطر النظرية النفسية، إلى رفض علم النفس الحديث ككل، وقد تقدم بديلاً له، عبارة عن نماذج من التراث الصوفي أو غيره من نماذج التناول التراصي لظواهر نفسية لكنها لا تغنى وحدها عن متابعة اكتشاف قوانين السلوك البشري التي أمرنا الله بها. (انظر: الشرقاوي، حسن محمد، ١٩٧٦م).

ووقفت بين الفريقين، فئة ثالثة ظلت حائرة، ت يريد العلم النافع، وتحاول أن تحصله لكنها تجد فيها تعلمه بعضاً مما لا تقبله. وقد شارك هذه الفئة حيرتها من المثقفين المسلمين المخلصين الذين تعلموا بعضاً مما يدرس في الجامعات من علم النفس، وأدركوا عقمه، لكنهم لم يفقدوا الأمل في علم بسنن الله في أحوال النفس، تماماً ك السنن العالى في الكون، وفي المجتمع، التي أمكن للإنسان اكتشاف عدده منها. (سعيد، جودت، ١٩٧٥م).

وسوف نعرض في هذه الدراسة لثلاثة جوانب، نعتقد أن إلقاء الضوء عليها يمكن أن يسهم في تأصيل إسلامي للدراسات النفسية من منظور متكامل. وهذه الجوانب الثلاثة هي:

**أولاً: أهم دوافع التأصيل الإسلامي لعلم النفس.**

**ثانياً: أهم العقبات أمام التأصيل الإسلامي لعلم النفس.**

**ثالثاً: أهم ملامح التأصيل الإسلامي المتكامل لعلم النفس.**

**أولاً: أهم دوافع التأصيل الإسلامي لعلم النفس.**

١ - من أهم دوافع التأصيل الإسلامي، أن الإسلام يonus على معرفة سنن الله في النفس والكون

إذ يأمر الإسلام الناس بالتفكير في أنفسهم، وفيما خلق الله في السموات والأرض:  
﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الروم، الآية ٨).

أخبار الأذكياء، وأخبار الحمقى والمغفلين، وتلك التي تناولت اضطرابات النفس وأمراضها وكذلك جهود الباحثين المحقدين الذين قاموا بقراءات نفسية في كتب التراث. (انظر عبد الكريم العثمان، ١٩٦٣م، وأحمد فؤاد الأهلواني، ومحمد عثمان نجاشي).

لأن الله تعالى يقرر أن طبيعة تكوين الأنفس وطبيعة هذا الكون كله من السموات والأرض وما بينها، توحى بأن هذا الوجود قائم على الحق، ثابت على الناموس، لا يضطرب ولا تتفرق به السبل، ولا تختلف دورته، ولا يصطدم بعضه ببعض، ولا يسير وفق المصادفة العمياء، ولا وفق الهوى المتقلب وإنما يمضي في نظامه المحكم المقدر تقديرًا. [قطب، سيد،

١٩٦٧م، ص ص ٢٧٥٩ ، ٦٠].

ولهذا فإن أكثر الناس معرفة وعلمًا، يكون أكثرهم خشية الله وتعظيمًا.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر، الآية: ٢٨).

وقد وعد الله تعالى عباده -بني الإنسان- أن يطلعهم على شيء من خفايا هذا الكون، ومن خفايا أنفسهم على السواء. قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ (\*) وفي أنفسهم، حتى يتبيّن لهم أنه الحق﴾ (فصلت، الآية: ٥٣).

ووعد الله مازال قائماً. [قطب، سيد، ج ٥، ص ص ٣١٣ ، ٣١]. وقد صدقهم الله وعده فكشف لهم عن آياته في الآفاق، خلال القرون الأربع عشر التي تلت هذا الوعد.

فقد عرفوا منذ ذلك الحين:

أن أرضهم التي كانوا يظنونها مركز الكون، إن هي إلا ذرة صغيرة تابعة للشمس. وأن الشمس كرة صغيرة، منها في الكون مئات الملايين. وأن الكون كله من إشعاع في صور شتى هي التي تجعل منه هذه الأشكال والأجسام.

وعن كونهم الصغير عرفوا أنه كرة أو كالكرة، وأنه يدور حول نفسه وحول الشمس. وعرفوا قاراته ومحيطاته وأنهاره، وكشفوا عن شيء من باطنها.. وعن الكثير من المخبأ في جوفه من الأقوات.

وعرفوا وحدة النومايس التي تربط كوكبهم بالكون الكبير وتصرف هذا الكون، ومنهم من اهتدى فارتقى من معرفة النومايس إلى معرفة خالق النومايس، ومنهم من انحرف فوق عند ظاهر العلم لا يتعداه.

(\*) قال عطاء وابن زايد «في الآفاق» أي في أقصى السموات والأرض: من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهر والرياح، والأمطار والرعد والبرق، والصواعق، والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها.

(القرطبي، طبعة دار الشعب، ص ٥٨١٨).

ولم تكن فتوح العلم والمعرفة في أغوار النفس بأقل منها في جسم الكون، فقد عرروا عن الجسم البشري ، وتركيبه وخصائصه وأسراره الشيء الكبير. عرروا منه تكوينه وتركيبيه ووظائفه، وأمراضه، وغذائه، ومثله، وعمله، وحركته، ما يكشف عن خوارق لا يعرفها إلا الله .

وبعد أن اكتشف العلماء - عظمة التدبير والتقدير الإلهي فيما يتصل بنمو وارتقاء الإنسان من النطفة إلى العلقة فالمضغة: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» (المؤمنون، الآيات: ١٤ - ١٢).

واكتشاف ارتقاء قدرات الإنسان التي تميز تماماً عن كل مخلوقات الله: لغته، وتفكيره، وتعلمها، وذكاؤه، وإبداعه، ومهاراته في التفاعل الاجتماعي ، وسمات شخصيته وطاقاته التي تتفجر وتصل إلى حد الإعجاز في طفولته وصباه ورشده وكهولته وهرمه بل إن ما كشفت عنه الدراسات النفسية الحديثة للنمو والارتقاء الإنساني عن إمكانات الوليد البشري ونمط استجاباته - بالرغم من شدة عجزه - منذ لحظة ولادته و خلال الساعات والأيام والشهور الأولى فضلاً عن سنواته الأولى ، تعدد أي إمكانات لأي وليد حيواني آخر، مما يشير إلى العناية الإلهية في كل لحظة .

وما زال وعد الله قائماً إذ يتضرر أن تُكتشف مزيد من الأسرار عن الوظائف النفسية والعقلية ، مما لم يتبيّن لأحد من قبل . ويدعم عقيدة التوحيد وإقرار أن الله حق وأن هذا الدين وهذا القرآن العظيم حق متزل من عند الله الحق .

ونرى من كل ما سبق أن الإسلام يوجب علينا إتقان هذا العلم ؛ لأنه إذا كان الفزع العسكري يقتضي من الإمام السرعة والخروج والمبادرة - للاستبراء للناس - كما فعل رسول الله ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإن الغارة الثقافية والفزع الثقافي يستوجب على أهل العلم أن يكونوا أولى الناس بالخروج إليها مسرعين راكضين حتى يعودوا للناس بحقيقة الخبر وجلاء الفزع . خاصة وأن خسائر الفزع الثقافي أفدح وأبقى على مر الزمن من خسائر الغزو العسكري . (سعيد، جودت ، ١٩٧٥ م).

وقد تراكمت المعرفة العلمية في علم النفس وتعاظمت الأهمية التطبيقية لفروعه في

عدد كبير من نواحي الحياة الإنسانية العقلية والوجودانية والتربوية والاجتماعية والإعلامية والتعليمية والعملية، للأفراد والجماعات في حالات السواء والمرض، وفي مختلف مراحل العمر الإنساني، بحيث أصبح من واجب المسلمين تحصيل النافع من هذا العلم، إذا أرادوا صحة بعد غفوتهم، وتقديماً بعد تأخرهم، وحماية لكيانهم وعقيدتهم.

وإذا كان المستشرق الإسكتلندي المعاصر مونجومري وات (Watt M., 1974) يتساءل في كتابه: «محمد النبي ورجل الدولة» (بعد أن يذكر أن الإسلام دين أقام حضارة عريقة في الماضي): هل يمكن أن تقوم بهذا الدين حضارة حديثة؟ ويترك الإجابة عن هذا السؤال (على سبيل التحدي للمسلمين المعاصرين)، أي لقدرتهم على استعادة عناصر الأصالة لديهم عن طريق تشكيل حياتهم بأسلوب إسلامي ومعاصر معاً. وهو تحدٌ مفروض على هذه الأمة الإسلامية، بحكم دورها الذي يمكن أن تمارسه إذا تمثلت تعاليم دينها الحنيف، أولاً، واستواعت العلوم النافعة ثانياً.

٢ - وفي ضوء ما سبق يتبين أن الإسلام يوجب على علماء النفس المسلمين: اكتشاف سنن الله في النفس، فالمسلم المتبصر الذي تعلم حديث رسول الله، ﷺ: «المسلم لل المسلم كالبنيان يشد بعضه ببعضًا». (أخرجه البخاري في الصلاة والأدب و المسلم في الأدب والترمذ في الزهد). يدرك أن هذا البنيان المتمثل في تماسك الجماعة المسلمة يحتاج إلى علم، لكي يقوم على أساس ودعائم سليمة تساند الإيمان وتحمييه وتكون فعالة في إقامة دعائم البنيان الإسلامي المتاسك، بدلاً من أن تتفعل بأحداث من نوازع النفس الأمارة بالسوء أو دوافع المتربيين بالإسلام فتداعى الجماعة المسلمة، ومهلك بذلك أبناء المسلمين، وتشوه صورة الإسلام. (كما هو حادث في هذا الزمان).

وبالطريقة نفسها يفهم علم النفس المسلم من حديث رسول الله، ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وترابحهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكت منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهور» (متفق عليه). إن أجسام الجماعات الإسلامية تحتاج لحفظها إلى اكتشاف السنن والقوانين التي تستقيم بها هذه الجماعات. (انظر: سعيد، جودت، ١٩٧٥).

كما يوجب الإسلام على علماء النفس تسخير قوانين السلوك البشري، لصالح الإنسان المسلم وحماية الإسلام والمسلمين.

### ٣ - أعداء الإسلام يدركون قيمة علم النفس في اكتشاف قوانين السلوك وتعديلها، وتطويع هذه القوانين لصالحهم

ويكفي هنا أن نشير إلى أن أعداء الإسلام ينظمون فرقاً بل ومراكز للبحوث النفسية والنفسية الاجتماعية لدراسة أحواهم وتغييرها للأفضل من ذلك مثلاً:

(أ) إنقان علماء النفس اليهود لعلم النفس الاجتماعي واكتشاف قوانين التفاعل الاجتماعي في الجماعات وتغيير الاتجاهات ومن أمثلة ذلك أن عالم النفس الصهيوني «كيرت ليفين» (K.Levien) الذي يلقبه الصهاينة باسم «الصهيوني المتأجج». (والذي لا تعرف هذه الصفة عنه في العالم العربي). وإنما يعرف بتجاربه الدقيقة في قياس وتغيير: مناخ الجماعات الصغيرة وسلوك الزعماء، والتوتر داخل الجماعة، مما يحتل أعظم إنجازات علم النفس الاجتماعي الحديث. (سويف، ١٩٦٠م، ص ٣٠). وليفين في الأصل عالم للفيزياء الصهيوني - ألماني هاجر إلى الولايات المتحدة، وتفرغ لدراسة قوانين التفاعل بين الأفراد في الجماعات الصغيرة، وله إسهامات في دعم الصهيونية، وتنمية معنويات الأقليات اليهودية في العالم، من خلال مركز بحوث دراسات الجماعات الصغيرة بجامعة متشفاجن، وقد اشتهرت بحثه منذ الثلثينات، وبرز تلاميذه في بحث «ديناميات الجماعة، وحل الصراعات داخل الجماعات وفيها بينها». (انظر كتاب: Hare P.A., 1972).

(ب) وجود مراكز البحث العلمي النفسي في إسرائيل، هذا فضلاً عن وجود أكثر من مركز علمي متخصص في الدعوة الصهيونية وبناء الإنسان الصهيوني في إسرائيل منذ إنشائها وحتى الآن.

ومن أهم هذه المراكز:

- ١ - مركز الدراسات الاجتماعية التطبيقية بحيفا.
- ٢ - مركز البحوث بالجامعة العبرية بالقدس ويرأسه عالم نفسي أمريكي صهيوني كبير هو (جوتمان Guttmann).

هذا فضلاً عن:

\* تجارب وبحوث علماء النفس اليهود في إسرائيل وفي أنحاء العالم كله فيها يتصل بنشائة أبناء الصهيونية الجدد في «الكمبيوترات» بإسرائيل، وفي بلادهم الأخرى خارج إسرائيل. (حوفي، قدرى، ١٩٧٩م).

\* وبحوث ودراسات الباحثين الصهاينة داخل وخارج إسرائيل حول «الهوية الفلسطينية» التي عجزوا عن اقتلاع جذورها الإسلامية، فضلاً عن جهود علماء النفس اليهود في جميع أنحاء العالم وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا - في دعم الهوية الصهيونية.

ويكفي أن نلقي نظرة عامة على أعداد كل من : «مجلة علم النفس الاجتماعي»- Jour nal of Social Psychology و«مجلة حل الصراعات» Journal of Conflict Resolution وغيرها من المجالات التي يسيطر عليها الصهاينة منذ إنشائها من عشرات السنين، لكي نجدها مليئة بدراسات نفسية اجتماعية عن :

- \* صورة العرب في العالم، وصورتهم عند أنفسهم ( وخاصة عرب الأرضي المحتلة).
- \* علاقات الصراع في الشرق الأوسط .
- \* الهوية الفلسطينية .

\* مختلف الأساليب المقترحة حول حل مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي .  
\* جهود تطبيع العلاقات الاجتماعية بين العرب واليهود داخل إسرائيل وخارجها.

(ج) اهتمام عدد من مراكز البحث العلمي النفسي والاجتماعي وعلماء النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية والشرقية بدراسة عوامل القوة والضعف عند المسلمين ، ومن ذلك الدراسة الموضوعية لاكتشاف عوامل ازدهار وتدهور «روح الجهاد» والروح القتالية عند المسلمين ، كما تستمد من القرآن الكريم والتراجم الإسلامية ، وعوامل تجمع وتفرق «الجماعات والمجتمعات الإسلامية» ، ويمكن أن نجد الكثير من هذه الدراسات في مجالات علمية مثل مجلة Human Relations .

والعجب أنه لم يتقدم بعد ، عدد من الباحثين المسلمين ، لدراسة هذه الموضوعات بشكل منظم ، ولا يخفى الخسائر الناجمة عن غياب هيئات علمية إسلامية توفر هذه الموضوعات عنابة خاصة .

(د) وجود مراكز بحث علمي مسيحي ، وانعقاد مؤتمرات علمية مسيحية متخصصة ينظمها فرق من علماء السلوك المسيحيين بالجامعات أو الرهبان المسيحيين ، وعلى سبيل المثال فقد اشتملت منشورات المؤتمر الكاثوليكي العالمي عام ١٩٦٧ على :

- ١ - وضع خطة للامتحن الخطوط الرئيسة المشتركة بين أصحاب جميع العقائد المسيحية .

٢ - تحديد أهم المعلم المشتركة أو العناصر التي تيسر التفاعل بين المسيحيين وأصحاب المعتقدات السماوية الأخرى: كاليهودية، والإسلام، بل والديانات غير السماوية مثل البوذية والمجوسية.. الخ، والمعتقدات الأرضية مثل الشيوعية.. إلخ، وذلك تيسيراً لطرق خاطبتهم وجذبهم إلى بعض ملامح الثقافة المسيحية.

٣ - وضع خطط منظمة لإشراك أكبر عدد من العلماء العلمانيين في تخطيط وتنفيذ المخططات الدينية المسيحية من خلال برامج التعليم والثقافة المختلفة.

٤ - التخطيط لإشراك أكبر عدد من جمهور المسيحيين في النشاط الديني المسيحي والدعوة للمسيحية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٥ - إعداد أجيال من الكتاب والمؤلفين والمتخصصين للمواد الثقافية والإعلامية من يتشربون بالثقافة المسيحية لنقدمها في أعمالهم بطريقة غير مباشرة.. الخ. (وثائق المجتمع المسكوني الفاتيكانى، ١٩٧٠م).

«أليس المسلمون أولى، بتطبيقات علم النفس، تنمية لأنفسهم وحماية لعقيدتهم ومقدساتهم ومستقبلهم؟».

ثانياً: أهم العقبات أمام التأصيل الإسلامي لعلم النفس  
تأتي معظم العقبات أمام التأصيل الإسلامي لعلم النفس من مصدرين أساسين:

**المصدر الأول لعقبات التأصيل الإسلامي لعلم النفس**  
يتمثل في عقبات يضعها - أما التأصيل الإسلامي لعلم النفس - مفكرون يتعمدون إلى تخصصات أخرى، خارج التخصص النفسي وإن كانوا يعنون بالإنسان المسلم، ويعتقدون أنهم يدافعون عنه.

١ - من أمثلة هذه العقبات اعتقاد البعض بعدم علمية علم النفس، وأن مواصفات العلم الدقيق لا تتطبق عليه، كما أنهم لا يعتقدون في اكتشاف قوانين علمية للسلوك البشري، كما يدعى علماء النفس.

ويتعارض هذا مع أفكار إسلامية ملخصة حاولت تلميس سنن الله في النفس والمجتمع مثل جهود مالك بن نبي، وجودت سعيد. (بن نبي، مالك، ١٩٦٨م؛ وسعيد، جودت، ١٩٧٥م).

ولا يخفى على أي دارس مبتدئ لعلم النفس انطباق شروط العلم الحديث على الدراسات النفسية، كما أنه يتعلم قوانين الإدراك والتذكر والتعلم والتفاعل الاجتماعي، لكن عدم ذيوعها في العالم العربي هو الذي وراء هذه العقبة.

٢ - ومن العقبات الأخرى، اعتقاد البعض أن علم النفس برمته مرفوض؛ لأنه غربي ومادي. ويكشف هذا عن عدم القدرة على الفصل بين خصائص الثقافة الغربية المادية، وبين نتائج البحوث التجريبية التي تكشف عن سنن الله التي تحكم السلوك البشري.

٣ - واعتراض البعض على اعتقاد علم النفس - في إطار المدرسة السلوكية الميكانيكية الساذجة - على التجارب الحيوانية، مما يبعد أن يكون علماً للنفس البشرية، على الرغم من أنه قد وجه - من داخل علم النفس أنواع من النقد لنهاذج التجارب الحيوانية وما أقيم عليها من نظريات لا تفسر سلوك الإنسان وعملياته العقلية العليا، واقتصرت نهاذج أكثر ملاءمة لدراسة العمليات المعرفية والوظائف العقلية العليا، والجوانب الروحية مع وضع التجارب الحيوانية في إطارها المحدود.

وهذه الأوجه من النقد، لا تنفي وجود علم نفس يكتشف قوانين السلوك والتفكير والانفعال، والتفاعل النفسي بين الأفراد، وتتغير - من حين لآخر الأطر النظرية أو المسلمات العامة له، مما يدفعه إلى مزيد من الكفاءة في التوقع بالسلوك البشري وإمكان وضع مبادئه في خدمة الإنسان. (مثله مثل أي علم من العلوم الأخرى).

٤ - واعتراض كثير من النقاد والأدباء والمفكرين في المجتمعات الإسلامية على علم النفس برمته، على أساس التوحيد بين علم النفس إجمالاً، وبين مدرسة التحليل النفسي الفرويدي بوجه خاص - على أساس أن فرويد في نظريته للتحليل النفسي، قام بتشويه دوافع الإنسان، واختزلاها كلها في الغريرة الجنسية<sup>(\*)</sup>. (مصطفى محمود، ١٩٨٨م).

(\*) قد نلتمس العذر لغير المتخصصين في هذا الخطأ، لأن علم النفس الذي كان يقدم في مصر والعالم العربي من خلال التدريس بالمدارس والجامعات ووسائل الإعلام حتى أوائل السنتين كان مختلفاً لعلم النفس العلمي، كما يقدم في المدارس والجامعات الغربية نفسها. كما أن فرويد والتحليل النفسي ودراسة الجانب الوجداني هو الذي يرتبط غالباً بمعنى علم النفس لدى عامة الجمهور في مصر بفعل الكتابات الأدبية والأعمال السينمائية.. إلخ (السيد، عبدالحليم محمود وأخرون، ١٩٨٨م، ص ١٣ - ١٨).

مع العلم بأن نظرية التحليل النفسي، ليست هي كل علم النفس، بل لم تعد إلا جزءاً من تاريخ علم النفس، يضرب به المثل في دراسة تاريخ علم النفس على أنواع الأخطاء المنهجية والعلمية في صياغة الإطارات النظرية.

ومعظم أساتذة علم النفس المتخصصين في العالم العربي والإسلامي، يشرحون أوجه القصور المنهجي في هذه النظرية بشكل موضوعي (انظر البدرى، ١٩٧٩م، والسيد آخرون، ١٩٩١م).

ويتفق معظم الباحثين الآن على وجود محكّات أساسية تكشف عن كفاءة تطبيق المنهج العلمي، من أهم هذه المحكّات:

(أ) وجود علاقة دينامية بين المشاهدات الموضوعية والإطارات النظرية، لأن القيام بالتجارب وجمع المشاهدات، لا يستوعب النشاط العلمي كله، لأن هذا النشاط دينامي متتابع للعلاقات، تتفاعل فيه كل من المشاهدات المضبوطة (والتجارب) والمفاهيم المجردة، والمفهوم الخصب هو الذي يثير مزيداً من التجارب والمشاهدات تتسم بنوع من الخصوبة.

(ب) توافر شروط التتحقق من النظريات العلمية: إذ أن جمع المشاهدات لتأييد نظرية معينة له ضوابط، حتى لا يتحول إلى مجرد تجميع مشاهدات متحيزة، تؤيد النظرية. لهذا، فلابد أن يتوافر في النظرية العلمية عدد من الشروط، من أهمها:

١ - أن تتوقع - على سبيل المخاطرة - ببعض الأمور، على أن لا يقتصر دورها على تفسير ما يحدث بعد حدوثه.

٢ - أن تتوقع بعدم حدوث بعض الأمور.

٣ - لا تقبل النظرية، ولا ينطبق عليها مواصفات النظرية العلمية، إذا لم تقبل التتحقق منها أي لم تقبل إمكان الرفض أو جمع بيانات للتحقق من الظروف التي من شأنها إذا توافرت أن تؤدي إلى رفض هذه النظرية (Popper, 1972).

وقد أدى تطبيق هذه المحكّات إلى حسم كثير من أوجه الخلاف التي ثارت حول بعض النظريات التي لم يتوافر فيها شروط النظرية العلمية، مثل (نظرية التحليل النفسي) التي قدم فيها فرويد وتلامذته عدداً من القضايا لا يمكن التتحقق من بطلانها، مثل «مفهوم عقدة أو ديب». وقد ظل هذا المفهوم غير قابل للتحقق من بطلانه إلى أن أمكن وضعه

موضع الاختبار عام ١٩٢٧ م فتبين بطلانه<sup>(\*)</sup>.

كما أن الإنجازات التنظيرية في علم النفس الحديث تعاظمت أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها؛ ويكفي أن نجد حوالي (١٥) نظرية للتعلم تعرض في كتاب هيلجارد (Hilgard) عن «التعليم»، و(١٢) نظرية عن تغير الاتجاهات يعرضها «اينسكيو» (Insko، 1967)، فضلاً عن نظريات الشخصية والذكاء والقدرات الإبداعية!

ونظريات علم النفس الاجتماعي المعاصر تؤكد على توجهات سيكولوجية التعلم وعلم النفس المعرفي وسيكولوجية اتخاذ القرار، وسيكولوجية لعب الدور ونظرية التنظيرات (Inedp، 1985) ليس فيها أي إشارة إلى التحليل النفسي.

كما أن العديد من الإنجازات في مجال النمو أو الارقاء العقلي والوجوداني والإدراكي لا صلة لها بالتحليل النفسي (Hussen.P.H.., 1983, Osufsky.J.D., 1979).

ولا ينظر الباحثون المحققون إلى نظرية التحليل النفسي الآن إلا على أنها جزء «تاريجي» من التاريخ القديم لعلم النفس، يمكن أن نعثر فيه على أنواع من الأخطاء التقليدية في التفكير العلمي.

كما أن هذه النظرية قد فقدت مصداقيتها في مجال التشخيص والعلاج النفسي - وهو لب اهتمامها وأصبح من المأثور أن تجد كتاباً في علاج السلوك المرضي، لا يذكر فيها اسم فرويد ولا التحليل النفسي إطلاقاً (انظر Lindgy and Rowell, 1987).

وقد ناقش بعض الباحثين المتخصصين فحوى حجج المهاجمين لعلم النفس بمزيد من التفصيل، ويمكن الرجوع مثل هذه الكتابات التي تتضمن حجج المهاجمين لعلم النفس - من غير ذوي الاختصاص وترد عليهم. (انظر، أبو حطب، ١٩٨٩م).

(\*) وذلك على يد الباحث الأنثروبولوجي د. مالينوفسكي حوالي عام ١٩٢٧ م الذي عثر على مجتمع بدائي يتمثل في قبائل التروبياند في بعض جزر جنوب غرب المحيط الهادئ، حيث تنفصل فيها وظائف الأب كما تتم في المجتمعات الحديثة.

إذ يقوم الحال بتأديب الأبناء، ويقوم الأب بحب الأم، وعندئذ افترض الباحث إمكان التتحقق من صحة أو بطلان فرض فرويد بأن الأبناء يكرهون الآباء؛ لأنهم يحبون الأمهات بدافع جنسي وأوضحت المشاهدات بطلان الفرض الذي ذهب إليه فرويد إذ كان الأبناء يشعرون بالتقدير للأب، والضيق والتململ من الحال، الذي يقوم بعملية التأديب. (محمد السيد، عبدالحليم، ١٩٧٩م، ص ١٤).

**المصدر الثاني : عقبات التأصيل الإسلامي لعلم النفس**  
 يتمثل هذا المصدر، في عقبات تدرج في بعض المفاهيم الخاطئة المتدولة بين عدد من الأساتذة المشتغلين بعلم النفس ، أي أنها عقبات تأتي من داخل التخصص أو تصورات أهل التخصص ، ومن أهم هذه العقبات :

١ - رفض بعض الأساتذة - الذين أتوا دراستهم العليا في علم النفس بالخارج ، أو على أيدي أساتذة تعلموا بالخارج ، وبالمفهوم الغربي الذي يعزل العلم عن الدين - لموضع التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، على أساس افتراض حياد العلم ، والحرص على عدم النزج بالدين والفلسفة في ميدان العلم .

ومعظم هؤلاء الأساتذة يفصل بين حياته العلمية وحياته الدينية التي يحرص فيها على الالتزام بأداء شعائر الإسلام والمشاركة في المواقف الدينية الحياتية (البدري ، ١٤٠٧هـ) .  
 ولا يتبعه للفصل بين مكونات الثقافة الغربية ومسلماتها من ناحية ، وبين المناهج والأساليب والتجارب العلمية من ناحية أخرى .

٢ - ويرفض البعض الآخر من أساتذة علم النفس - في العالم العربي والإسلامي - عملية الأسلامة أو تكوين «علم نفس إسلامي» على أساس أن هذه العملية تحول علم النفس لدى المسلمين إلى مجرد أحد فروع علم النفس الديني ، يمكن أن يطلق عليه اسم «علم النفس الإسلامي» تماماً كما يوجد علم نفس مسيحي ، وعلم نفس يهودي .. إلخ .  
 وهذا يمثل تضييقاً لنطاق الاهتمام بموضوعات علم النفس الحديث ومكتشفاته ، التي تتناول جانباً عريضاً من الوظائف النفسية المعرفية والوجودانية والدافعية ونماذج التجريب والتعلم ونمو الشخصية ، وتطبيقات علم النفس في مختلف مجالات الحياة .

مع أن المقصود بالتأصيل الإسلامي ، هو ازدهار كل فروع علم النفس ، في إطار الثقافة الإسلامية وخدمة الأفراد والجماعات والمجتمعات الإسلامية .

ويبدو أن مفهوم «الإسلامة» باللغة الإنجليزية<sup>(١)</sup> عند ترجمته إلى العربية ، يوحى بإيحاءات يعني عنها تماماً مصطلح «التأصيل الإسلامي لعلم النفس» لأن الأسلامة قد توحى بتحويل علم النفس من الكفر إلى الإيمان ، كما أن مفهوم علم النفس الإسلامي قد يوحى بالدعوة إلى إنشاء فرع لعلم النفس الديني الإسلامي . (أبو حطب ، ١٩٨٩م) .

وحقيقة الأمر أن المطلوب ليس هكذا إذ أن مفهوم التأصيل يوحى بأنه «في إطار الثقافة الإسلامية ومسلماً لها»، ينبغي تنظيم جهود علماء النفس في العالم العربي والإسلامي ، في جميع مجالات الاهتمام التي يشغلهـا علماء النفس في العالم الآـن بهـدف تـنمية طـاقات الأفراد والجماعـات، وحل مشكلـاتهمـ، فضلاً عن حـماولة اكتـشاف قـوانـين السـلوك الإنسـاني أو سنـن اللهـ في النفسـ، من أجل تسخيرـها لصالـح الإنسانـ المسلمـ والمـجـتمعـ المـسـلمـ».

٣- ويـرفض البعضـ مـفـهـومـ التـأـصـيلـ إـلـاسـلامـيـ أوـ يـعـتـرـضـ عـلـيـهـ، لاـعـقـادـهـمـ أـنـهـ مـجـردـ دـعـوةـ لـلـاعـتـهـادـ الـكـامـلـ عـلـىـ التـرـاثـ إـلـاسـلامـيـ الـقـدـيمـ وإـهـمـالـ مـوـضـوعـاتـ عـلـمـ النـفـسـ الـحـدـيثـ.

وـهـمـ يـرـفـضـونـ هـذـاـ، إـمـاـ لـاـعـقـادـهـمـ أـنـ هـذـاـ الرـجـوعـ لـلـأـصـولـ التـرـاثـيـةـ مـاـ هـوـ إـلـاـ إـحـيـاءـ لـتـرـاثـ قـدـيمـ كـانـ الـمـفـكـرـونـ إـلـاسـلامـيـونـ فـيـهـ مـجـرـدـ نـقـلـةـ لـلـتـرـاثـ اليـونـانـيـ -ـ كـمـاـ يـدـعـىـ تـمـاماـ مـؤـرـخـوـ الغـربـ، لـجـهـلـهـمـ أـوـ تـجـاهـلـهـمـ هـذـاـ التـرـاثـ، أـوـ يـرـفـضـونـ هـذـاـ الرـجـوعـ لـلـتـرـاثـ لـأـنـهـ فـكـرـ قـدـيمـ وـغـيرـ مـعـاصـرـ وـلـاـ صـلـةـ لـهـ بـمـوـضـوعـاتـ عـلـمـ النـفـسـ الـحـدـيثـ!

ولـاشـكـ أـنـ دـعـوةـ نـشـرـ التـرـاثـ إـلـاسـلامـيـ فـيـ عـلـمـ النـفـسـ نـشـرـاـ مـلـائـمـاـ، هوـ المـسـؤـولـ عنـ هـذـهـ العـقـبةـ، لـأـنـ باـحـثـيـنـ مـحـقـقـيـنـ أـثـبـتوـ فـعـلـاـ أـنـ مـعـظـمـ التـرـاثـ إـلـاسـلامـيـ لمـ يـكـنـ مـجـرـدـ تـرـجمـةـ لـتـرـاثـ اليـونـانـ، وإنـهاـ كـانـ لـعـلـمـاءـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـهـ إـسـهـامـ وـإـضـافـاتـ سـبـقـواـ بـهـ عـلـمـاءـ الغـربـ فـيـ مـجاـلـاتـ عـدـيدـةـ مـنـهـاـ مـجاـلـ الإـدـراكـ الـحـسـيـ، وـالـتـشـرـيطـ، وـالـتـذـكـرـ وـالـنـسـيـانـ..ـ الخـ.ـ (ـانـظـرـ نـجـاتـيـ،ـ ١٩٩٢ـ مـ؛ـ اـبـنـ الـهـيـشـ،ـ ١٩٨٣ـ مـ).

كـمـاـ أـنـ الرـجـوعـ هـذـاـ التـرـاثـ لـاـ يـعـنيـ عـدـ فـرـزـهـ وـأـنـذـ المـفـيدـ وـإـبـراـزـهـ، وـتـرـكـ مـاـ لـاـ قـيـمةـ لـهـ،ـ إـلـاـ أـنـ لـاـ يـعـقـلـ أـنـ يـكـونـ لـلـمـسـلـمـيـنـ هـذـاـ التـرـاثـ الـذـيـ هـوـ جـزـءـ مـطـمـوـسـ الـعـالـمـ -ـ مـنـ حـلـقـاتـ تـارـيخـ عـلـمـ النـفـسـ فـيـ الـعـالـمـ -ـ وـيـجـهـلـهـمـ أـوـ يـتـجـاهـلـهـمـ تـمـاماـ كـمـاـ يـفـعـلـ عـلـمـاءـ الغـربـ -ـ الـبـعـيـدـوـنـ عـنـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـمـصـادـرـ التـرـاثـ إـلـاسـلامـيـ -ـ عـنـدـمـاـ يـؤـرـخـونـ لـعـلـمـ النـفـسـ.

هـذـاـ فـضـلـاـ عـمـاـ تـسـدـيـهـ عـمـلـيـةـ تـكـشـيفـ الـمـصـادـرـ النـفـسـيـةـ التـرـاثـيـةـ مـنـ خـدـمـةـ جـلـيـةـ لـلـمـصـطـلـحـ الـفـسـيـ فـيـ عـلـمـ النـفـسـ فـيـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ إـلـاسـلامـيـةـ،ـ مـاـ يـسـاعـدـ عـلـىـ حلـ بـعـضـ مـشـكـلـاتـ فـيـ اـسـتـخـدـمـ الـمـصـطـلـحـاتـ بـيـنـ الـمـؤـلـفـيـنـ الـمـحـدـثـيـنـ،ـ فـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ،ـ مـثـلـ مـشـكـلـةـ اـسـتـخـدـمـ أـكـثـرـ مـنـ مـصـطـلـحـ لـلـتـبـيـرـ عـنـ الـمـفـهـومـ نـفـسـهـ،ـ أـوـ تـدـاـخـلـ الـمـعـانـيـ أـوـ دـلـالـاتـ بـعـضـ الـمـصـطـلـحـاتـ الـتـيـ يـسـتـخـدـمـهـاـ الـبـعـضـ،ـ مـاـ يـدـعـىـ إـلـىـ اـسـتـخـدـمـ الـمـصـطـلـحـ الـوـاحـدـ بـمـعـنىـ

واحد، والتمييز بين الفروق الدقيقة في معانٍ بعض المصطلحات (السيد، عبدالحليم محمود، ١٩٩٢م).

٤ - تنفيز بعض المحاولات التلقيفية التي يقوم بها بعض الباحثين النفسيين باسم «الأسلامة»، حيث تتسنم بعض هذه المحاولات بالسطحية والافعال، والتعسّف، مما ينفر البعض من يعتقد أن هذا هو «نموذج الأسلامة» لعلم النفس. كما قد تؤدي موجات الهجوم الشديدة على من يحاولون عملية الأسلامة دون التسلح بمهارات الرجوع إلى الأصول التراثية، وحسن صياغة القضايا، إلى إحجامهم، وبعض زملائهم عن معاودة المحاولة (البدري، ١٩٨٧م).

٥ - يؤدي عدم تبني أية هيئة علمية على مستوى العالم العربي كله، لمسؤولية تنظيم عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس - وتوضيح مفاهيمها، والتخطيط لعملية التأصيل ووضع مراحل لها، ومتابعة الجهود لتحقيقها، ورصد مكافآت وجوائز للإنجازات البارزة في هذا الميدان - يؤدي هذا الافتقار لهيئة علمية تنظم جهود التأصيل الإسلامي في العالم العربي، إلى تناثر الجهود، والاعتماد على مجهودات فردية، أو على إقامة الندوات أو المؤتمرات في أوقات متباينة، ويغلب أن تنحصر آثار هذه الندوات في دائرة ضيقة من تناح لهم المشاركة فيها، لأن معظم أعمال هذه الندوات محدودة النشر والتوزيع وهذا يدعم ظروف استمرار كل العقبات التي سبق الإشارة إليها.

**ثالثاً: أهم ملامح التأصيل الإسلامي المتكامل لعلم النفس**

يقترح أن تعتمد خطة التأصيل الإسلامي المتكامل لعلم النفس في البلاد العربية والإسلامية على تحقيق أكبر قدر من الاتفاق بين المشتغلين فعلاً بعلم النفس في الجامعات ومراكز البحث العلمي (ويستبعد في المرحلة الأولى من هذه الخطة مؤقاً خطابة غير المتخصصين أو الهواة من عامة أو خاصة المثقفين) (\*) من خلال التمييز بين كل من:

---

(\*) لأن من شأن اتفاق علماء النفس فيما بينهم من ناحية، وفيما بينهم وبين العلماء من تخصصات أخرى متكاملة ومتعاونة (مثل: علماء التربية، وعلماء الاجتماع، والعلماء من التخصصات الشرعية.. إلخ من ناحية أخرى)، على عدد من أسس التأصيل الإسلامي، أن يجعل مهمة التأصيل أقل غموضاً، وأقل قابلية للخلاف على جدواها، وطبعاً هذا لا يمنع تنوع الأفكار وتراثها حول أساليب تحقيق =

## (١) الجوانب المشتركة بين علم النفس، وبين غيره من العلوم الكونية

وهذه الجوانب عامة مستقلة إلى حد كبير عن ظروف الثقافة المحلية التي يتميّز إليها العلماء، مما يتمثل في كل من: إن علم النفس كعلم، يتميّز بفروعه النظرية والتطبيقية، تراكم بحوثه ونتائجها بشكل متزايد، يشترك مع غيره من العلوم الأخرى في عدد من الخصائص، التي لا تكون بدونها المعرفة علىًّا من العلوم الحديثة.

ويتمثل هذا الجانب المشترك بين علم النفس وكل العلوم الكونية في كل من:

١ - وجود الأطر النظرية أو المسلمات أو فلسفة العلم السائدة التي يحددها مستوى التنظير لدى علماء العصر، وتاريخ العلم ومستوى تقدمه .. الخ.

من ذلك مثلاً:

تأكيد الجانب الموضوعي أو الواقعي المتمثل في جمع البيانات - في مقابل - تأكيد أولوية الجانب العقلي التصورى وتأكيد التوجه النظري أو وجود النظرية التي تنبثق من خلالها بعض الفروض.

وقد تعرضت فلسفة العلم التي وجهت علم النفس والعلوم الأخرى لعدد من التغيرات الأساسية - ابتداء من أواخر الخمسينات وأوائل السبعينات.

حيث تغيرت من فلسفة تؤكد المعرفة الواقعية (الإمبريقية) إلى فلسفة تسلم بالتوجه العقلي للمعرفة، بحيث إن أكثر المشاهدات حياداً لا يتحقق إلا من خلال نوع من التجريد التصورى.

وقد أسهمت عدد من فلاسفة العلم في الغرب في هذا التغيير لفلسفة العلم، ابتداء من «بيبر» (Pepper, 1942)؛ و«هانسون» (Hansson, 1958)؛ و«كارل بوير» (Popper, 1972)؛ و«كون» (Khun, 1970) الذي نشر فلسفة للعلم تؤكد المسلمات العقلية المعرفية مما أدى إلى ظهور إطارات تؤكد العلاقة بين الأنساق التصورية والبحوث الواقعية. كذلك فإنه بينما تؤكد بعض فلسفات العلم أن هدف العلم إنما يتمثل في اكتشاف قوانين كافية عامة، عن العالم والسلوك، يؤكّد البعض الآخر أن هدف العلم إنما يتمثل في محاولة حل المشكلات.

ومع أن أي تصور لفلسفة العلم لا يمكن أن يلقي قبولاً عاماً من سائر العلماء إلا أن تصوراً معيناً هو الذي يظل سائداً لفترة من الوقت، إلى أن ينبعق إطار جديد يحاول أن يثبت نفسه ويتجنب عيوب الإطارات السابقة، ولا يثبت أن يسود لفترة من الوقت ليحل محله إطار جديد. هذه هي طبيعة العلم البشري المحدود، الذي يحاول جاهداً أن يصحح مسار نفسه.

المهم أن فلسفة العلم التي تفتح آفاقاً لمزيد من البحث والتي تمثل إطاراً لبرامج البحث، توجهه لفترة من الوقت إلى أن يحل غيرها محلها، يشجعها الإسلام بقدر ما تؤدي إلى اكتشاف سنن الله في الكون والنفس، ولا يعرض عليها ما دامت لم تتعارض مع أهم خصائص التصور الإسلامي للكون والإنسان.

٢ - الشروط المنهجية المميزة للنشاط العلمي : من أهم جوانب الاتقان بين الباحثين توافر عدد من الشروط المنهجية تميز ما يوصف بالنشاط العلمي .

ومع أن كل علم من العلوم الكونية (الطبيعية والإنسانية) يتضمن تراكمًا متراكماً من المعرفة الترجيحية<sup>(\*)</sup> (ويستبعد من هذا الرياضيات؛ لأنها تمثل أداة صورية للعلوم وليس على أي ضيف عن العالم شيئاً).

ويتمثل هذا التراث في سلسلة متربطة من المفاهيم والإطارات النظرية التي نشأت نتيجة استخدام المنهج العلمي الذي يعتمد على التجارب والمشاهدات المنظمة<sup>(\*\*)</sup> مما يساعد على اكتشاف المتغيرات المهمة أو الربط بينها، أو تفسير العلاقات القائمة بينها، من خلال اكتشاف المبادئ والقوانين التي تخضع لها.

وباستقراء أهم ما يميز النشاط العلمي يتبين أن تراكم المعرفة الإنسانية وتنظيمها فقط لا يكفي لوصف مجال معين بأنه «علم» بالمعنى الحديث وإنما ينبغي أن يتواجد في هذه العلاقة شرطان :

الأول : إثارة مشكلة قابلة للحل أو التتحقق منها في حدود القدرة البشرية العادية .  
الثاني : تطبيق المنهج العلمي على هذه المشكلة ، ويتمثل المنهج العلمي في أنواع

(\*) لأن هذا من طبيعة علوم البشر كلها، ولأن اليقين لا يكون إلا لعلم الله تعالى.

(\*\*) وقد كان للعلماء المسلمين إسهام في العلوم التجريبية يسجله لهم التاريخ . (انظر: ابن الهيثم ، وابن حيان ، والرازي .. إلخ).

النشاط المنظمة التي يتبعها العلماء لاكتشاف التغيرات المهمة في التطبيق أو الربط بينها أو تفسيرها، وتتنوع المنهج المستخدمة وفقاً لطبيعة التغيرات ومستوى التقدم في دراستها مثل المنهج الاستكشافي أو الارتباطية أو شبه التجريبية أو التجريبية.. إلخ (McGuigan, 1983).

وهذا النوع من الالتزام بالمنهج العلمي ليس غريباً على الثقافة الإسلامية إذ أن علماء المسلمين مثل: جابر بن حيان، والحسن بن الهيثم، والرازي كانوا رواداً في ابتكار المنهج العلمي التجاري الذي حول مجالات للمعرفة كاملة (مثل الكيمياء والبصرىات والطب) وعدد من مجالات علم النفس.. إلخ إلى علم بعد تحويل الكيفيات إلى كميات ومقدار، وابتكار منهج موضوعية مثل علم الميزان أو القياس الكمي للكيفيات. (انظر: مخطوط كتاب «البحث لجابر بن حيان، والقانون في الطب لابن سينا، والبصرىات للحسين بن الهيثم.. إلخ»).

فعلم النفس بوصفه نشاطاً إنسانياً يحاول اكتشاف قوانين السلوك الإنساني - بجوانبه المعرفية والوجدانية، والاجتماعية.. إلخ - يتأثر بالثقافة التي يتسمى إليها الباحثون المشتغلون به، لهذا فإن نمو هذا العلم نمواً حقيقياً - في البلاد العربية والإسلامية - يتوقف بظهور الخصائص المميزة للثقافة العربية الإسلامية في جوانب النشاط والإنتاج العلمي للباحثين في البلاد العربية والإسلامية، أي يعتمد على ظهور هوية عربية إسلامية لمعظم النشاط العلمي في مجال الدراسات النفسية، وذلك كنتيجة لوعي الباحثين في البلاد العربية والإسلامية بكل من:

- ١ - الأسس الفلسفية العامة المميزة للثقافة الإسلامية.
- ٢ - التصور الإسلامي للإنسان.
- ٣ - تصنيف العلوم في إطار الثقافة الإسلامية.
- ٤ - تحديد أهم ملامح أسس التصور الإسلامي للإنسان.
- ٥ - تحديد أسس التصور الإسلامي لأنماط العلامة بوجه عام وعلماء النفس بوجه خاص.
- ٦ - استيعاب التراث الإسلامي المتمثل في جهود المفكرين السابقين في مجال دراسات خصال السلوك وأحوال النفس في كل من القرآن الكريم، والسنّة المطهرة.

٧ - ترتيب الأولويات لموضوعات البحث النفسيه وتراث العلماء والمفكرين والأدباء واللغويين النابعة من الثقافة العربية الإسلامية.

ومع أن كل جانب من جوانب تحقيق الهوية الإسلامية التي تجعل لعلم النفس في العالم العربي والإسلامي خصوصيته الثقافية - مع اشتراك الباحثين العرب وال المسلمين مع إخوانهم من علماء النفس في العالم في مجال اكتشاف سنن الله في النفس ومحاولة وضعها موضع التطبيق تماماً كما يوجد الآن، علم نفس ياباني ، علم نفس صيني ، وعلم نفس أوربي في مقابل علم النفس الأمريكي - مع أن كل جانب من هذه الجوانب يحتاج وحده لعقد عدة ندوات ودعوة الباحثين من داخل مجال علم النفس ومن المجالات المتصلة بفروع الثقافة الإسلامية للمشاركة فيها - فسوف نقدم فيما يلي تخطيطاً مبدئياً، يمكن أن يكون بمثابة تمثيل أو ورقة للعمل تبدأ منها عدد من الجهدات البناءة، في ندوات ومؤتمرات ومؤلفات تالية .

(ب) جوانب تحكم فيها الثقافة التي يتميّز إليها العلماء

وتتمثل هذه الجوانب بالنسبة للثقافة الإسلامية، في كل من :

١ - الفلسفة العامة المميزة للثقافة الإسلامية : تمثل هذه الفلسفة العامة إطاراً عاماً أو جسراً يعبره المجتمع للرقي والتمدن، كما تمثل سياجاً يحفظ الأفراد من السقوط أو الضياع . (مالك بن نبي ، ١٩٦٨م ، ص ١٣).

فإذا تميزت التصورات الفلسفية العامة في المجتمعات الغربية باللادبية، وإذا كان تاريخ العلم لديهم ارتبط بمحاولات مستمبطة للتحرر من قبضة رجال الدين المتجمدين . فإن الأمر بالنسبة لعلماء المسلمين عموماً - في الماضي والحاضر - وعلماء النفس بوجه خاص يختلف تماماً . لأن الله تعالى أكرمهم بالانتماء إلى دين يدعو إلى العلم وتحث عليه .

لهذا فإن بذرة أسس التصور الإسلامي ، أو خصائص الفلسفة العامة الإسلامية وخاصة التي تمثل مسلمات ينطلق منها العلماء في كل المجالات ، (وعلم النفس بوجه خاص) تحتاج إلى نوع من العناية ، حتى لا تختلط بأية تصورات وثنية أو مادية . وهذا موضوع يحتاج وحده إلى عدد من الندوات أو المؤتمرات ، وإلى لجان دائمة تنتهي إلى مؤلفات شديدة الشمول والوضوح ، تقدم فيها المبادئ التي يقرها معظم الثقات من علماء المسلمين في كل من المجال النفسي والتربوي والاجتماعي والشعري ، ويمكن أن تمثل - في هذه المرحلة -

«خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» التي أوجزها الشهيد سيد قطب في كتابه الذي خصصه لهذا الموضوع نقطة البداية في هذه الجهود وقد تمثلت هذه الخصائص في كل من:

- ١ - الربانية.
  - ٢ - الثبات.
  - ٣ - الشمول.
  - ٤ - التوازن.
  - ٥ - الإيجابية.
  - ٦ - الواقعية.
  - ٧ - التوحيد.
- ٢ - التصور الإسلامي للإنسان: علم النفس يحتاج إلى جهد خاص لصياغة التصور الإسلامي للإنسان، وهناك جهود فردية قيمة بالرغم من أنها غير منظمة، في هذا المجال. (انظر: قطب، محمد، ١٩٧٤م؛ وإدريس، جعفر الشيخ، ونجاتي، محمد عثمان، ١٩٨٩م).

ويمكن مبدئياً إيجاز التصور الإسلامي للإنسان، في النقاط التالية:

- (١) التكريم: قال تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً» (الإسراء: ٧٠).
- كرم الله الإنسان على كثير من خلقه:
- \* في هيئة، وفي فطرته التي تجمع بين الطين والنفحة الإلهية.
  - \* وفي استعداداته التي أودعها الله فطرته وجعلته فداً على الخلائق في ملك الله، واستأهل بها خلافة الأرض.
  - \* وبتسخير القوى الكونية له.
  - \* وبذلك الاستقبال الضخم الذي استقبله به الوجود، وسجود الملائكة له، وإعلان الخالق جل شأنه هذا التكريم.
  - \* وكرمه بحمله في البر والبحر وتسخير النوميس له.
  - \* وكرمه بفضيلته على كثير من خلقه بهذا الاستخلاف في الأرض.
  - \* وكرمه بجعله قبيحاً على نفسه محتملاً تبعه اتجاهه وعمله.

وهذه الصفة الأولى هي التي تجعل الإنسان إنساناً، يتميز بحرية الاتجاه، وفردية التبعة وبها استخلف في دار العمل. (انظر: قطب، سيد، ١٩٧٧م، ص ٢٤١).

(ب) الفطرة: أي استعداد الإنسان للميل إلى الحق، مما يجعله يختار الحق، حين ترك له حرية الاختيار على لا يلحق هذا الاستعداد تشويه.

فالإنسان يولد «مسلمًا» وخيراً بالاستعداد، أما تحويله إلى مسلم بالفعل، فإنه يكون بعملية تنشئة في بيئه اجتماعية معينة، ومن خلال التربية التي يتلقاها من أبويه أو من يقوم مقامهما، ومن خلال تزكية للنفس.

﴿ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقوها قد أفلح من زakah و قد خاب من دساه﴾ (الشمس: ١٠-٧)، (سعيد، جودت، ١٩٧٥م).

قال صل الله عليه وسلم:

«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

(ج) تحمل التبعة والمسؤولية: خلق الله الإنسان، وجعله عاقلاً، مریداً، مدركاً. وعقل الإنسان جعله صالحًا للتكليف وتحمل مسؤولية الشواب والعقاب، وهذا الأمر تعجز عنه السموات والأرض والجبال نظراً لضخامته.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَيْنَمَا أَنْجَلَنَا وَأَشْفَقَنَا مِنْهَا وَحْلَمَهَا إِنَّهُ كَانَ ظَلَومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

وهذا الإنسان كان ظلوماً لنفسه جهولاً بطاقته، بالإضافة إلى ما زجَّ بنفسه لحمله، خاصة وأنه مخلوق صغير الحجم محدود العمر، قليل القوة تتنازعه الشهوات والرغبات والميول لكنه يملك الإرادة، والإدراك، والعقل، وحمل التبعة، وهذه ميزة الإنسان على سائر الخلق.. وهذا هو مناط التكريم في الملا الأعلى. (قطب، سيد، ١٩٧٧م، ج ٤، ص ٢٨٨٥).

(د) المساواة ووحدة الأصل: أي وحدة الإنسانية، وأخوة جميع البشر مما تمثل في كون البشر جمِيعاً أبناء أب واحد وأم واحدة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذِكْرٍ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعوبًا وَقَبَائِيلَ لَتَعْرَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

فالمساواة هي الأساس، والتكريم إنما يكون بالتقوى، وهذا أيضاً مبدأ يحتاج إلى

وضعه في منظومة التصور الإسلامي للإنسان.

(هـ) النية: النية، بمعنى التوجّه الأخلاقي أو الغائي للفعل، هي التي تكسبه قيمة حسنة أو سيئة.

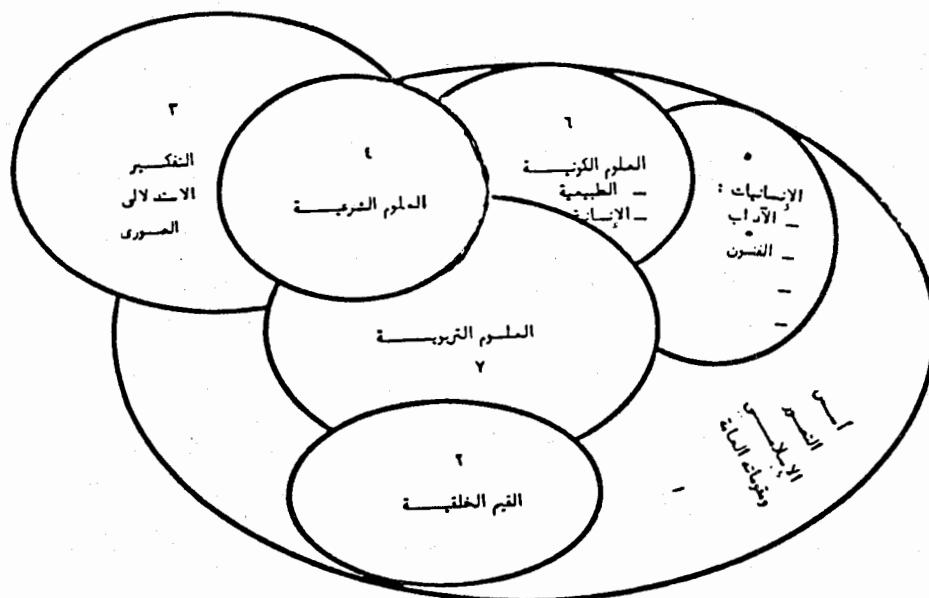
قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». (رواه السيدة إلـا ابن ماجة).

واهتمام علم النفس بالنية بالمعنى النفسي الذي يتصل بمجرد نزوع الإرادة نحو شيء معين لتحصيله أو إحرازه، أو بمنع حق الحياة أو التحقق. (دراز، ١٩٧٣م، ص ٤٢١، ٤٢٢). يحتاج لمزيد من البحث والاهتمام بعلاقة النية بالمعنى الغائي الأخلاقي «بالدّوافع» التي تحرّك السلوك نحو الفعل الحسن أو القبيح، خاصة وأن النية هي التي يرتبط بها قبول العادات وتحمل المسؤوليات؛ بل إن الفعل الواحد يجازى به - حسب نية فاعله. بل إن الفعل إذا تعلق به قصد تعلقت به الأحكام التكليفية، وإذا عرى عن القصد لم يتعلّق به شيء منها، كعمل النائم، والغافل، والمجنون. (عطية، جمال، ١٩٨٨م، ص ٢).

٣ - تصنيف العلوم في إطار الثقافة الإسلامية: حيث الإسلام على اكتشاف سنن الله في الكون وفي النفس، ودعا أبناءه لإنقاذ كل العلوم الكونية التي تجعلهم يدركون آيات الله في الكون وفي الأنفس، وتصلح لها معيشتهم، وكل العلوم الشرعية، التي تصلح بها أحواهم في الدنيا والآخرة.

ويحتاج العلماء المشغلون بالعلوم الكونية (وعلم النفس والعلوم الاجتماعية جزء من هذه العلوم) إلى تبني تصور لتصنيف هذه العلوم في إطار الثقافة الإسلامية، مما يجعلها نابعة من هذه الثقافة وخادمة لها في الوقت نفسه.

وفيما يلي نموذج مقترن لتصنيف العلوم الكونية (علوم الطبيعة والعلوم الإنسانية بما في ذلك علم النفس)، والعلوم الشرعية، وعلاقتها بكل من علوم التربية والإنسانيات والأداب والفنون والقيم الخلقية. ويوضح الشكل رقم (١) العلاقات بين كل هذه العلوم.



شكل ١ - يوضح تصنيف العلوم الكونية والإنسانية والشرعية وعلاقة كل منها بالآخر.

- ١ - أسس التصور الإسلامي: ومقوماته وهي تمثل إطاراً شاملاً يستوعب كل العلوم الأخرى (ماعدا التفكير الاستدلالي الصوري)، فيأخذ منه ما يوظف في إطار الثقافة الإسلامية، لأن بناءه ليس علمًا وإنما هو أداة للعلوم).
- ٢ - القيم الخلقية: وتدخل في إطار التصور الإسلامي الشامل، ويدخل في إطارها كل العلوم الشرعية والتربية والجانب الأخلاقي من العلوم والإنسانيات.
- ٣ - التفكير المنطقي الاستدلالي: أو المنطق الصوري، وهو أساس تعتمد عليه العلوم الشرعية، والعلوم الأخرى.
- ٤ - العلوم الشرعية وأصول الفقه: وتقع ضمن الإطار الفلسفى الإسلامي، والقيم الخلقية الإسلامية وتأثر بكل من العلوم التربوية والإنسانية وترتشر فيها وتستعين بالاستدلال المنطقي.
- ٥ - الإنسانيات: الأدب والفنون، وفيها ينطلق الخيال ويستمتع بالوجودان، في «إطار التصور الإسلامي»، ويتم تبادل التأثير والتأثير بين الإنسانيات وكل من القيم الإنسانية

والعلوم الكونية، حيث تستمد هذه العلوم من الإنسانيات الأفكار الخصبة التي تسعى فيها بعد للتحقق منها بطريقة البحث العلمي .

٦ - العلوم الكونية : وتمثل في كل من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية (ومنها علم النفس)، وهي كلها تسعى لاكتشاف القوانين التي تعكس سنن الله في الكون وفي النفس .

٧ - العلوم التربوية : تخدم هذه العلوم العملية التربوية الأفراد والجماعات ، وتعتمد الخدمات التطبيقية لهذه العلوم على كل من القوائم المكتشفة في مجال علم النفس (كالتعلم .. والد الواقع) من ناحية وعلى الإطار الثقافي للحضارة التي تنتهي إليها من ناحية أخرى .

وما يفرض أن تكون أسس التصور الإسلامي والثقافة الإسلامية العامة هي المصدر الرئيسي الذي تستلهمه هذه العلوم النفسية التربوية (كمصدر) وكهدف تسعى لتدعميه .

ويلاحظ أن هذا النموذج، يمكن أن يمثل تصنيفاً - في إطار إسلامي - للعلوم الكونية والإنسانيات والقيم الخلقية التي تدخل كلها ضمن إطار شامل تحيطه أسس التصور الإسلامي ومقوماته .

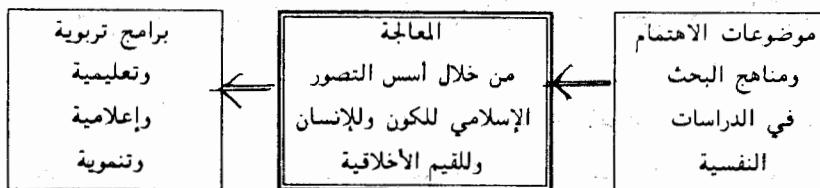
وهذا التصور نفسه ينطبق على تصنيف العلوم من منظور فلسفة عامة غير إيمانية ، كل ما في الأمر أن مقومات التصور العام للكون وللإنسان (التي سيدخل ضمنها كل نشاطات الإنسان) تصبح في إطار عام آخر غير إيماني غالباً، حتى إذا ادعى أنه حيادي ، لأن ادعاء الحياد عن التصور الإيماني ، هو إقصاء لهذا التصور الإيماني عن الحياة .

وهذا التصور الإسلامي لتصنيف العلوم والمعارف من شأنه أن يطلق طاقات العلماء المسلمين لاكتشاف سنن الله في الكون والنفس ، لتعمير الأرض وإقرار الحق وتكريم الإنسان عموماً والإنسان المسلم بوجه خاص .

كما أنه يسمح بالتفاعل بين مختلف جوانب النشاط الإنساني وإثراء للحياة ورفعه لها وتزكيته .

وببناء على هذا التصنيف نستطيع أن نتصور التفاعل بين كل من موضوعات الاهتمام في الدراسات النفسية والتربوية ، ومناهج البحث التي تحاول اكتشاف سنن الله في الأنفس

(أفراداً وجماعات) وبين الإطار الثقافي الإسلامي مما يترتب عليه برامج للتربية والتعليم والإعلام والدعوة تدعم كيان الفرد المسلم والجماعات والمجتمعات المسلمة، مما يمكن توضيحه في الشكل رقم (٢) التالي:



شكل رقم ٢ . يوضح تفاعل موضوعات الاهتمام ومناهج البحث في الدراسات النفسية والتربوية مع إطار الثقافة الإسلامية والتصورات العلمية الإسلامية للكون والإنسان وللقيم الأخلاقية، وما يترتب على هذا من برامج تربوية وتعلمية وإعلامية وتنمية تدعم كيان الأفراد والمجتمعات الإسلامية.

٤ - أسس التصور الإسلامي لأخلاق العلماء عامة (وعلماء النفس بوجه خاص)  
من أهم ملامح هذا التصور تلك الحصول التي أكدتها الزرنوجي في كتابه «تعليم المتعلم طريق التعليم» (الزرنوجي)، تحقيق عبدالعاطي، محمد، ١٩٥٦م، وقراءة سيد عثمان لهذا الكتاب (عثمان، سيد، ١٩٨٩م).

وكذلك كتاب «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناني». ومن أهم المبادئ الأخلاقية للعلماء التي يؤكدها التصور الإسلامي - كما يعرضها الزرنوجي :

١ - أن يكون هدف الباحث من طلب العلم، هو رضاء الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل والضعف عن نفسه وعن سائر الناس، وإنقاذ الإسلام بالعلم والشكر على نعمة العلم والعقل والصحة البدنية والجسمية.

٢ - دعمخلق القوي، لأن علماء النفس في جميع أنحاء العالم ملتزمون بالمبادئ التي يسلم بها مجتمعهم، وهنا يجب التزام الباحث والعالم المسلم في المجتمع الإسلامي بمبادئ الإسلام حتى وإن تعارض هذا مع مسلمات وسلوك باحثين غربيين، مثل قبولهم لأنواع الشذوذ الجنسي وعدم محاولة علاجها!

- ٣ - الحدية والمواظبة والهمة في تحصیل العلم<sup>(\*)</sup>، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾.
  - ٤ - احترام العلماء والأساتذة والزملاء والتلاميذ والباحثين.
  - ٥ - عدم الاشتغال بشيء آخر غير العلم الذي ينفع المسلمين.
  - ٦ - طلب العلم والخبرة من كل مصدر، ومن جميع أنحاء الأرض، من أجل رفعة الإسلام.
  - ٧ - إعطاء أولوية للتخصصات ذات النفع الأكبر للمسلمين.
  - ٨ - حسن الظن بالمؤمن.
  - ٩ - التواضع وعدم التكبر.
  - ١٠ - التحمل من السفهاء.
  - ١١ - الصبر على طلب العلم.
  - ١٢ - يلتزم الباحث المسلم، بكل مبادئ الأخلاق العلمية التي تقرها الجماعات العلمية العالمية في كل ما لا يتعارض مع مبادئ الإسلام الحنيف.
- مع الحرص على إبراز - وتمثل - القواعد الأصولية للضوابط الأخلاقية لممارسات المهنة النفسية، وما يمكن أن يصاغ على ضوئها من الضوابط الأخلاقية والقواعد التطبيقية أو القانونية في ممارسة المهنة والعلاقة بين الباحثين فيما بينهم، وحقوق المبحوثين... إلخ.
- (التوجيحي، ١٤٠٩ـ١٩٨٩م).
- ويمكن أن تمثل المبادئ والأسس السابقة، نواة لدستور أخلاقي لعلماء النفس في العالم العربي والإسلامي.

**٥ - إعادة استيعاب التراث الإسلامي من منظور نفسيي**  
إن من شأن حسن استيعاب الباحثين النفسيين للتراث الإسلامي وخاصية:

(\*) نذكر هنا قول الأستاذ جودت سعيد ١٩٧٥م، ص ١٢: أن في شباب العالم الإسلامي من عندهم استعداد لبذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الإسلام، ولكن قل أن نجد فيهم من يتقدم ليبذل سنين عمره ليقضيها في دراسة جادة، ليوضح موضوعاً، أو يصل به إلى تجلية حقيقة، كمشكلة الانفصال الذي يعيشها المسلم بين سلوكه واعتقاده.

- (١) القرآن الكريم وتفاسيره .
- (ب) الأحاديث النبوية وعلوم الحديث .
- (ج) المؤلفات الإسلامية في الفقه والفلسفة والطب والتصوف والأدب .
- من شأن هذا الاستيعاب أن يؤدي إلى :
- ١ - إحياء الاهتمام بعناصر من التراث الإسلامي على جانب كبير من الأهمية، وتسخيرها للأجيال التالية .
  - ٢ - استخلاص أبعاد متغيرات وإطارات نظرية نفسية، لم تخطر ببال الباحثين الغربيين بعدهم عن الثقافة الإسلامية .
  - ٣ - استخلاص المصطلحات العلمية وإحياء الملائم منها، ومتابعة حياة ما يصلح أو يمكن أن يقام عليه .

ويتطلب هذا الاستيعاب للتراث ، تنظيم عملية التأصيل الإسلامي ، بإتاحة كنوز التراث العربي والإسلامي للباحثين النفسيين ، من خلال برامج ودورات للتعریف بالتراث الإسلامي ، وإنشاء مراكز بحثية ، وفرق للبحوث وميزانيات ومكافآت وجوائز للجهود التي تسهم في دعم عملية التأصيل التي تتطلب عرض وتلخيص ، وتكشف كتب التراث المتصلة بالجوانب النفسية ، سواء في كتب التفسير أم الحديث الشريف ، أم السيرة أم كتب الطب أم التصوف ، أم الأدب ، أم كتب فقه اللغة أم الفروق اللغوية . . . إلخ .

وعلى الرغم من وجود جهود متتابعة في محاولة تحقيق كتب التراث مثل كتب ابن سينا ، والرازي ، والغزالى ، والمحاسبي ، والقابسي ، والزرنوجي ، وابن جماعة وبعض جهود القراءة الحديثة للتراث (مثل عثمان ، سيد ١٩٨٩ م ؛ نجاتي ، عثمان ، ١٩٨٠ م) وجهود بعض الهيئات التطوعية في محاولة تكشف كتب التراث المتصلة بالدراسات النفسية (من ذلك محاولة المعهد العالمي للفكر الإسلامي التي تتضمن تكشف وتلخيص حوالي «٣٠٠» كتاب من كتب التراث الإسلامي في الطب والأدب والفلسفة . (المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٢ م) .

إلا أن العبء أكبر من أن يتحمله أفراد ، أو هيئات تطوعية محدودة الإمكانيات ، إذا أريد لعملية التأصيل أن تستوعب كل جوانب الثقافة الإسلامية ، من أجل التيسير على الباحثين في استكشاف أهم ملامح تراثهم ، مع عناية خاصة بعمل أولويات في تكشف

دعائم هذا التراث (في كتب التفسير وال الحديث والفقه وأصول الفقه .. إلخ). لأن هذا هو الشق الأول من عملية التأصيل الذي يتمثل في استيعاب التراث الإسلامي.

وبالرغم من أن ما تم من تحقيق ونشر الكثير من كتب التراث العربي الإسلامي التي تتصل بأحوال النفس الإنسانية، وتشري عمليات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، إلا أن عدداً كبيراً من ذخائر التراث العربي الإسلامي «النفسي» إما مطبوعة بطريقة غير مقتنة بحيث يشق على غير المترعرع الإفاده منها؛ لأنها غير محققة ولا مكتشفة، أو مازالت حبيسة في خزانات المخطوطات في البلاد العربية أو الأجنبية، مما يستدعي حصرها ونشر معلومات عنها، وتلخيصها وتكثيفها ورسم برنامج لتحقيقها ونشرها بناء على خطة للأولويات، بعد الاستعانة بكل من علماء التراث، وعلماء المكتبات والوثائق.

أما الشق الثاني، فيتمثل في صياغة قضايا ومشكلات تلائم الثقافة الإسلامية من ناحية، وتنمي طاقات الأفراد والجماعات في المجتمع المسلم، وتحميء من كيد أعدائه من ناحية أخرى.

وستلزم عملية التأصيل، تعاون الباحثين في مجال علم النفس مع الباحثين من تخصصات متکاملة ومتآزرة (مثل التربية، والمجتمع، والإعلام، و مختلف علوم الشرعية) وتكوين فرق بحثية للاتفاق على أهداف التأصيل ووسائله.

## ٦ - ترتيب أولويات البحث والدراسات النفسية والتربوية

من أهم ثمرات عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس، وجهود الفرق البحثية - متعددة التخصصات ابتداء من طلاب الماجستير والدكتوراه إلى أكبر الأساتذة، وموارك البحث النفسي<sup>(\*)</sup> والتربوية والاجتماعية والإعلامية - ومساعدة الباحثين من مختلف المستويات - على اختيار موضوعات بحثية تعود بأكبر فائدة على الإسلام والمسلمين .. وإدخال المتغيرات ذات الصلة بعناصر الشعور والاعتقاد والسلوك الديني في البحث، بشكل يسمح بوضعها في الحسبان عند رسم خطط تعديل السلوك أو تغيير الاتجاهات، أو حسن التخاطب مع مختلف فئات الجمهور المسلم (خاصة وأنه لوحظ أن عدداً من البحوث

(\*) مثل: الرد على افتراء المستشرقين وغيرهم للنيل من كتاب الله تعالى أو رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عقيدة المسلمين .. إلخ.

التي تجري في العالم الإسلامي تتجاهل هذه المتغيرات الدينية محاكاة للغرب)، مع أن الغرب يستخدم مبادئ علم النفس في خطابه المسلمين، بل وفي الإيقاع بينهم، وتشويه معلوماتهم.

وفيما يلي عدد من موضوعات البحث العلمي التي يعتقد أنها تحقق هدفًا عزيزًا علينا يتمثل في دعم مجتمعنا الإسلامي، وحمايته وتحقيق وحدته وثقافته، ونشر دعوته على أساس رشيدة، حيث يقترح إجراء دراسات حول الموضوعات التالية (على سبيل المثال لا الحصر):

- \* دعم الدعوة الإسلامية ومساندتها:

- وذلك بوضع ما تتوفر من العلم في خدمة الإسلام<sup>(\*)</sup>.

- وضع برامج لتدريب الدعاة المسلمين.

- وضع نتائج علم النفس في خدمة حسن التخاطب بين المسلمين فيما بينهم، وتعليمهم آداب تحمل الاختلاف - في غير الأصول، وتحمل وجود آراء متعددة وأساليب متنوعة تسهم في تحقيق الأهداف الأساسية للإسلام، وتجنب عيوب التفكير التي تمثل في التعميم الخاطئ، وغيره من عيوب التفكير التي تسهم في تزييق العالم الإسلامي.

(العلواني، طه جابر فياض، ١٩٨٧م؛ هويدى، فهمي، ١٩٨٧م؛ السيد، عبدالحليم محمود، دراسة غير منشورة).

- \* دراسة ودعم أهم أساليب ترشيد قيام المسلم بدور اجتماعي فعال ونبيل (ذكراً كان أم أنثى) - في مراحل العمر المختلفة - في مجتمع الأغلبية الإسلامية (ذي الأقلية غير الإسلامية المعادلة أو المحايدة). وفي مجتمع الأقلية الإسلامية ذي الأغلبية غير المبالغة، أو المعادلة.

- \* دعم بحوث التنشئة الإسلامية السليمة للأبناء في كل من الأسرة والمدرسة، ومن خلال جماعات الأصدقاء، ووسائل الإعلام، وأساليب نشرها ودعمها.

- \* تصور المسلم لنفسه ولجانب القوة والضعف في شخصيته، وفي مجتمعه، مقارنة بأبناء الملل الأخرى، والتخطيط لدعم جوانب القوة والتقليل من جوانب الضعف.

- \* تحديد أبعاد الحد الأدنى المشتركة من التصور الذي يتمثله فعلاً الأطفال المسلمين من أساسيات العقيدة والتصور الإسلامي، وتصحيح الأخطاء السائدة في هذا التصور، وإعداد برامج تربوية لمحاربة الأفكار التي تمثل أبناء المسلمين لمبادئ الإسلام الحنيف.



- تقديمها لأبناء المسلمين، وتقويم أساليب عرض وتقديم عناصر هذه الثقافة.
- \* إجراء دراسات عن كيفية الجمع بين جاذبية العرض، ودقة المضمون، للمعلومات الإسلامية التي تقدم لأبناء المسلمين من خلال وسائل التعليم والإعلام، من أجل زيادة إبقاهم على التعلم، واعتزاهم بالثقافة الإسلامية.
  - \* التخطيط لإعداد أجيال متابعة من الأدباء والفنانين والفنين المسلمين، الذين يحسنون تقديم فكرهم الإسلامي في قالب جذاب.
  - \* العناية بأساليب جذب النشء لاتقان تعليم اللغة العربية (باعتبارها لغة القرآن الكريم) تقويًّاً، وتحسينًاً، ونشرًاً، لمختلف مراحل العمر.
  - \* دراسة مستويات الدافعية للنهوض بالأمة الإسلامية، لدى الشباب المسلم تقويًّاً، وتحسينًاً.
  - \* دراسة أبعاد التلاقي والتنافر بين كل من: أصول العقيدة الإسلامية من ناحية، وما هو سائد في فكر الناس وسلوكهم على أنه إسلامي (في مختلف البلاد الإسلامية)، من أجل تضييق الهوة، والإسهام في تصحيح أفكار المسلمين وسلوكهم حول أصول عقيدتهم السمحاء.
  - \* دراسة درجة التنبه لأبعاد التلاقي والتنافر بين تعاليم الإسلام، وبين النظم والتشريعات الاجتماعية والاقتصادية والحياتية الشائعة في المجتمعات الإسلامية (وغير الإسلامية) وتأثير ذلك على وعي المسلمين من مختلف الفئات بالتجاهات الإسلامية لمختلف أوجه الحياة وما يقدمه الإسلام من حلول للمجتمع الحديث (الإسلامي أولاً ثم غير الإسلامي).
  - \* دراسة أهم الأساليب التي يتبعها أعداء الإسلام في تشويه معالم الإسلام:
    - (أ) بين أبنائه (بطرق مباشرة أو غير مباشرة).
    - (ب) بين الناس كافة.
 وأكفاء الطرق لمواجهة كل أسلوب من هذه الأساليب.
  - \* درجة التنبه لمشكلات العلاقة بين العقيدة الإسلامية وبعض جوانب الثقافة المخالفة للإسلام والتي تقدم لأبناء المسلمين والأساليب المقترنة لمواجهة هذه المشكلات بطريقة فعالة.

- \* ابتكار أساليب تربوية للتقریب بين المسلمين من مختلف أنحاء العالم من خلال وسائل الإعلام والتعليم.
- \* تشجيع أساليب إحياء التراث الإسلامي في الحياة اليومية المعاصرة، سواء بإعادة نشره بصياغات الأفراد ومن مختلف مستويات الثقافة أو العمر، أم بالتشجيع على صياغته بطريقة قصصية أو درامية تسهل الاستعانة به في إعداد مواد إعلامية جيدة، خالية من التشويه.
- \* إجراء دراسات ومشاهدات وتجارب تساعد على مشاركة أكبر عدد من المسلمين في الدعوة إلى الإسلام.
- \* دراسة الظروف الميسرة والمعوقة التي تواجه الدعوة، داخل البلد الإسلامية، وخارجها.
- \* إجراء دراسات وتجارب حول أكفاء أساليب الدعوة إلى الإسلام، في مختلف البلد، وبين مختلف المستويات الثقافية الاجتماعية والعمريّة في كل بلد - من أجل تنمية مهارات الدعوة للإسلام.
- \* إجراء دراسات حول الشعور الديني والصحة النفسية، ووضعها موضع التطبيق في مختلف الفئات العمرية والتعليمية، بهدف تنمية الصحة النفسية لدى أبناء المسلمين.
- \* دراسات حول أثر الدافع الديني في حفز الروح القتالية (وخاصة لدى المناضلين من الأقليات الإسلامية المضطهدة) ولدى عامة المسلمين دفاعاً عن دينهم.
- \* دراسات عن أثر الدافع الديني في مواجهة مشكلة التدخين والمخدرات لدى الشباب المسلم.
- \* وضع خطط للتربيّة والتعليم لتنمية مواهب وقدرات الأبناء المسلمين في الأسرة والمدرسة دون إغفال للجانب الروحي.
- وبعد.. أرجو أن يكون في هذا التصور بعض ملامح تساعد على التأصیل الإسلامي لعلم النفس.

### المراجع

- ١ - ابن جماعة الكناني، أبي إسحاق إبراهيم. تذكرة السامع والتكلّم في أدب العالم والتعلم، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٢ - ابن الجوزي، أبو الفرج. ذم الموى، القاهرة: دار الكتب الحديدة، ١٩٧٥ م.

- ٣ - ابن سينا، أبو علي. الإشارات والتنبيهات ، ج-٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨ م.
- ٤ - ابن سينا، أبو علي، تحقيق: أحمد فؤاد الأهوازي. أحوال النفس، القاهرة: الحلبي، ١٩٧٢ م.
- ٥ - ابن سينا، أبو علي. القانون، في الطب، وخاصة في الكلام عن القوى.
- ٦ - ابن مسكويه. اللذات والألام، مصور بجامعة القاهرة.
- ٧ - ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، بيروت: مكتبة الحياة، ١٣٩٨ هـ.
- ٨ - ابن الهيثم، أبو الحسن، تحقيق د. عبد الحميد صبره. كتاب المناظر، الكويت: ١٩٨٣ م.
- ٩ - أبو حطوب، فؤاد. «نحو وجهة إسلامية لعلم النفس»، ندوة: نحو علم نفس إسلامي، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٩ م.
- ١٠ - أحمد محمد خلف الله. «بحوث الذكاء في كتب العرب»، مجلة الثقافة.
- ١١ - الأهوازي، أحمد فؤاد، التربية في الإسلام، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).
- ١٢ - البدرى، مالك. «علم النفس الحديث من منظور إسلامي»، المؤتمر العالمي للتربية الإسلامية، القاهرة: ١٩٨٧ م.
- ١٣ - بن نبي، مالك (ترجمة عبد الصبور شاهين). شروط النهضة ومشكلات الحضارة، القاهرة: دار الفكر، ١٩٦٨ م.
- ١٤ - البيهقي، إبراهيم بن محمد. المحسن والمساوئ، بيروت: دار صادر، ١٩٧٠ م.
- ١٥ - ابن حيان، جابر. البحث، خطوط بدار الكتب المصرية.
- ١٦ - التوبيخى، أحمد بن عثمان. «نحو تأصيل إسلامي للمعايير النفسية والاجتماعية، وضوابط الخدمات النفسية»، ندوة المعايير النفسية والاجتماعية والضوابط للخدمات النفسية، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الملك سعود بالرياض: ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- ١٧ - شيخ، إدريس جعفر. «التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية»، مجلة المسلم المعاصر، عدد ١٢٥٧، ١٩٧٧ م.
- ١٨ - حفني، قدرى. دراسة في الشخصية الإسرائىلية («الأشكنازيم»)، القاهرة: جامعة عين شمس، مركز بحوث الشرق الأوسط، ١٩٧٥ م.
- ١٩ - حمودة، عبد الوهاب. القرآن وعلم النفس، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٤ م.
- ٢٠ - دراز، محمد عبدالله (ترجمة، شاهين، عبد الصبور). دستور الأخلاق في القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٣ م.
- ٢١ - طه، الزبير بشير، والحسن، أحمد محمد. أصول المفاهيم النفسية في التراث الإسلامي ، اللقاء الرابع حول قضايا المنهجية في العلوم السلوكية، الخرطوم: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، وقسم

- علم النفس، كلية الآداب، جامعة الخرطوم: ١٤٠٧ هـ.
- ٢٢ - الزرنوجي، الإمام برهان الإسلام. تعليم التعلم طريق التعلم، القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٨٧ م.
- ٢٣ - سعيد، جودت. حتى يغيروا ما بأنفسهم، دمشق: ١٩٧٥ م.
- ٢٤ - سويف، مصطفى. الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥ م.
- ٢٥ - السيد، عبدالحليم محمود. «نحو دستور أخلاقي لعلماء النفس المسلمين»، ندوة نحو علم نفس إسلامي، القاهرة، ١٩٨٩ م.
- ٢٦ - السيد، عبدالحليم محمود. مقدمة لـ «دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث: عرض وتكشف»، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢ م.
- ٢٧ - السيد، عبدالحليم محمود، وأخرون. علم النفس العام، القاهرة: دار غريب، ١٩٩١ م.
- ٢٨ - السيد، عبدالحليم محمود وأخرون. في علم النفس الاجتماعي، القاهرة: دار آمون، ١٩٨٩ م.
- ٢٩ - السيد، عبدالحليم محمود. الأسس المعرفية للإصلاح التربوي لناهج التفكير لدى الأجيال الجديدة في العالم العربي والإسلامي، (دراسة غير منشورة).
- ٣٠ - الشرقاوي، حسن محمد. نحو علم نفس إسلامي، الإسكندرية: النهضة المصرية العربية للكتاب، ١٩٧٦ م.
- ٣١ - الطويل، توفيق. حول قضية العلمية في علم النفس، محاضرة بالجمعية المصرية لعلم النفس، ١٩٨٣ م.
- ٣٢ - عبد القادر، حامد. العلاج النفسي عند المسلمين، القاهرة: الحلبي، ١٩٤٧ م.
- ٣٣ - العثمان، عبد الكرييم. الدراسات النفسية عند المسلمين، القاهرة: وهبة، ١٩٦٩ م.
- ٣٤ - عثمان، سيد عثمان. التعلم عند الزرنوجي، القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٨٩ م.
- ٣٥ - العلواني، طه جابر فياض. أدب الاختلاف في الإسلام، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧ م / ١٤٠٧ هـ.
- ٣٦ - غنيم، سيد. سيكلولوجية الشخصية، القاهرة: النهضة العربية، ١٩٧٥ م.
- ٣٧ - الغزالي، أبو حامد. أحياء علوم الدين، القاهرة: الحلبي وشركاه، ١٩٦٧ م.
- ٣٨ - الغزالى، أبو حامد، تحقيق سليمان دنيا. ميزان العمل، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ م.
- ٣٩ - الغزالى، أبو حامد. العلم والعمل، خطوط مصور بجامعة القاهرة.
- ٤٠ - الفاروقى، إسماعيل. «نحن والغرب» مجلة المسلم المعاصر، العدد ١١، ١٩٧٧ م.
- ٤١ - القرطبي، عبد الرحمن محمد بن أحد. الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: الشعب.
- ٤٢ - قطب، سيد. حقائق التصور الإسلامي ومقوماته، بيروت: الشروق.

- ٤٣ - قطب، سيد. في ظلال القرآن ، ط٣، ج٤، ج٥ ، بيروت: الشروق ، ١٩٧٧ م.
- ٤٤ - قطب، محمد. دراسات في النفس الإنسانية ، بيروت: دار الشروق ، ١٩٧٤ م.
- ٤٥ - المحاسبي . المسائل في الزهد ، مصور بجامعة القاهرة .
- ٤٦ - المحاسبي . ماهية العقل وفهم القرآن . بيروت: دار الفكر ، ١٩٧١ م.
- ٤٧ - المحاسبي ، أبو عبد الله الحارق. الرعاية لحقوق الله ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥ م.
- ٤٨ - محمود. مصطفى ، كلهم يعبدون العجل ، أخبار اليوم ، ٣١ يوليو ، ١٩٧٦ م.
- ٤٩ - محمود، مصطفى . الخروج من مستنقع فرويد ، الأهرام ، ٣ أغسطس ١٩٨٨ م.
- ٥٠ - المعهد العالمي للفكر الإسلامي. دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث (عرض وتكشف) ، ٣ مجلدات ، ١٩٩٢ م.
- ٥١ - نجاتي ، محمد عثمان. الإدراك الحسي عند ابن سينا ، بيروت: الشروق ، ط٢ ، ١٩٨٠ م.
- ٥٢ - نجاتي ، محمد عثمان. الحديث النبوي وعلم النفس ، بيروت: الشروق ، ١٩٨٩ م.
- ٥٣ - نجاتي ، محمد عثمان. «منهج التأصيل الإسلامي»، ندوة نحو علم نفس إسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة: ١٩٨٩ م.
- ٥٤ - نجاتي ، محمد عثمان. مقدمة لـ دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث (عرض وتكشف) ، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٢ م.
- ٥٥ - هول ولينزي ، (ترجمة فرج أحمد وأخرون). نظريات الشخصية ، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٦٩ م.
- ٥٦ - هويدى ، فهمي . «إشكالية الآخر في التفكير الإسلامي : الاختلاف الذي لا بد منه»، مجلة العربي ، العدد (٣٤٩) ، ديسمبر ، ١٩٨٧ م.

Al Farouki, I. *Islamizing the Social Sciences 1st World Conference on Islamic Education*, Makkah: 1977. ٥٧

Conont, J.R. *on Understanding Science*. Hew Haven: Yale University Press, ٥٨  
1972.

Hanson, N.R. *Pattern of Discovery*, London: Cambridge Univ. Press, 1958. ٥٩

Hare, P.A. *Handbook of Small Group Research*, (2nd ed.) N.Y., Free Press, ٦٠  
1972.

Hildgard, E.R. *Theories of Learning*, N.Y., Mc Graw-Hill, 1974. ٦١

Inesko, *Theories of Attitude Change*. New York, Appleton-Century Crofts, ٦٢  
1967.

- ٦٣
- Journal of Conflict, Resolution*, (1960-1989). - ٦٣
- Kahn, T.S. *The Structure of Scientific Revolution*. Chicago: Chicago Press, - ٦٤  
(2nd ed.), 1970.
- Lindzy, G. & Aranson, E. *Handbook of Social Psychology*, (3rd ed.), N.Y., - ٦٥  
Bandon House, 1985.
- Lindzy, T.S., & Powell, C. *Handbook of Clinical Adult Psychology*. Gower: - ٦٦  
Brokfield, 1987.
- McGuigan, *Experimental Psychology, Methods of Research*. (4th ed.), 1987. - ٦٧
- Mussen, P.H. *Handbook of Child Psychology*, N.Y., Wiley, 1983. - ٦٨
- Osfsky, J.D. *Handbook of Infant Development*. N.Y., John Wiley, 1979. - ٦٩
- Pepper, S. *World Hypothesis*. Berkeley: California Univ. Press, 1942. - ٧٠
- Popper, K.X. *The Logic of Scientific Discovery*, London: Hulchenson, 1959. - ٧١
- Popper, K.X. *Conjunction and Refutation*, The growth of Scientific Know- - ٧٢  
ledge. London: Routledge & Kegan Paul, 1972.
- Watt, W. Montogomry. *Mohamed Prophet and Statesman*. London: Oxford - ٧٣  
Univ. Press, 1974.

## الأسس والمبادئ الواجب توافرها لتأصيل المناهج التعليمية

الدكتور زين محمد شحاته محمد

أستاذ مشارك بكلية التربية - جامعة الملك سعود

### ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد، لم يعد يوجد أدنى شك في أن أساس علة الأمم والشعوب إنما يكمن في اعتلال مناهجها التعليمية. وقد تعرضت أمتنا الإسلامية لنطريق استعماري نتجت عنه آثار فكرية، وحضارية، واجتماعية بعيدة الغور. فلم يكتف المستعمر بالغزو العسكري الخارجي وإنما ساور النفوس، ودخل العقول، وأسس مؤسسات فكرية وثقافية في المجتمعات الإسلامية لتكريس الاغتراب، والابتعاد عن الإسلام، وتراثه، ونمطه في الحياة.

وبدأت في الآونة الأخيرة صحوة إسلامية تهدف إلى السير على منهج الإسلام في تنمية المجتمعات الإسلامية، وتنظيم حياتها. وتعتبر عملية تأصيل المناهج التعليمية هي الحلقة الأساسية الأولى لإعادة بناء كيان الأمة ونميتها ل الانطلاق نحو حضارة إسلامية معاصرة. وهناك مجموعة من المبادئ والأسس التي لابد من توافرها عند الدخول في عملية التأصيل، حتى يُؤتي التأصيل ثماره المرجوة، وقد رصدت هذه الدراسة بعض هذه الأسس وتناولتها بالشرح والإيضاح، ومن أبرز هذه الأسس:

- ١ - التمكّن من التراث الإسلامي.
- ٢ - استيعاب المعرفة الحديثة.
- ٣ - الوعي بالفروق الجوهرية بين روافد الثقافة الغربية ومنطلقات الثقافة الإسلامية.
- ٤ - الوعي الكامل بما يحيط بالأمة الإسلامية.
- ٥ - التخطيط السليم.
- ٦ - الجهد الجماعي.
- ٧ - الثقة وإنجاز.
- ٨ - ترشيد وسائل التربية الأخرى.

### مقدمة

من أخطر التحديات التي يواجهها المسلمون اليوم ، تحديات التبعية الفكرية وفقدان الذاتية والأصالحة الإسلامية ؛ وقد جاء ذلك بسبب خضوع معظم بلادهم للاستعمار، وما نتج عن ذلك من فرض المناهج الغربية في شتى نواحي الحياة، وبخاصة في ميدان التربية والتعليم، وقد أدى ذلك كله إلى ظهور جيل بل أجيال لا تعرف إلا النذر اليسير عن الإسلام ومناهجه وقيمته وأفكاره ورجاله [١ ، ص ٣].

وقد مررت الأمة منذ حوالي منتصف القرن الماضي وحتى الآن بأربع مراحل ، تمثل كل مرحلة منها تحدياً صعباً ، واختباراً قاسياً ، وجاءت هذه المراحل كالتالي : [٢ ، ص ٣٨٥].

**١ - مرحلة الصدمة:** وتمثلت هذه المرحلة في الاحتلال الأوروبي لمعظم بلاد العالم الإسلامي ، وقد قوضت هذه الصدمة كثيراً من البنيات التقليدية ، وفرضت على الأمة هيكلًا سياسياً جديداً يلائم سياسة المستعمر في الاستغلال ومحو الهوية الإسلامية للبلاد التي احتلتها.

**٢ - مرحلة النضال السياسي والجهاد التحريري:** وتمثلت هذه المرحلة في حركات الجهاد في سبيل استعادة الاستقلال الوطني ، والدفاع عن الأصالة والهوية الإسلامية.

**٣ - مرحلة تحقيق الاستقلال:** وتم في هذه المرحلة تحقيق الاستقلال ، وإقامة النظم السياسية والوطنية التي تعمل على توطيد ذلك الاستقلال ، وبنية أنظمة الدول المحررة من منطلق النهج الغربي في الشؤون الإدارية والاقتصادية والاجتماعية.

وتعتبر هذه المرحلة من أخطر المراحل التي مررت بها الأمة ؛ لأنها انطلقت من منظور (علمي) في معظم البلاد الإسلامية - وإن لم تعلن ذلك ؛ لأن القوى السياسية التي أمسكت بزمام الإدارة السياسية عقب الاستقلال كانت (علمانية) في تفكيرها ومناهجها ، وإن ظلت على ولائها للعقيدة الإسلامية كشعار أو كعاطفة.

**٤ - مرحلة الصحيحة:** وهي المرحلة التي تعيشها الأمة الإسلامية الآن ، والتي تبدو مظاهرها وولائها في عودة كثير من المسلمين إلى التمسك بالإسلام ، واستلهامه كمنهج حياة. وتعتبر هذه المرحلة بداية مشروع للنهوض بالأمة الإسلامية ، ولذلك فهي تحتاج إلى التخطيط البعيد لبناء مستقبل العالم الإسلامي على النحو الذي نرجوه من التضامن ، والوحدة ، والقدرة على اتخاذ القرار ، وصيانة العقيدة ونشر مبادئها ، وإقرار شريعة الله - عز

وجل - في الأرض. تحقيقاً لقول الله تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاكُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...» (آل عمران: ١١٠).

وممثل التربية الحلقية الأساسية في هذه المرحلة؛ لأنها هي المعنية بتنشئة الفرد وتكوينه. والفرد هو اللبننة الأساسية للأمة، وضعف هذه اللبننة يؤدي إلى تصدع البنية كلها.

ولم يعد يوجد شك في أن أساس علة هذه الأمة، وتخلفها عن الركب الحضاري إنما يكمن في اعتلال النظام التربوي فيها، وذلك لأن حضارة العصر التي نراها الآن، أمامنا إنما قامت على أساس من العلم، ومن ثم فالمدخل إليها لن يكون إلا عن طريق العلم، والمُسؤول عن ذلك بداعه هو النظام التعليمي.

وقد تعرضت مناهج التربية في كثير من بلاد العالم الإسلامي لموجة من الغزو الفكري، فاستعادت محتويات هذه المناهج، وأطرها الفكرية من الغرب مما جعلها تهدد معتقدات كثير من أبناء المسلمين، وتضعف انتهاءهم الإسلامي.

وقد أوضح عن ذلك زويمر - أحد أقطاب التنصير - في خطاب ألقاوه على جبل الزيتون في القدس عام ١٣٥١ هـ الموافق ١٩٣٥ م، قائلاً:

«لقد قبضنا - أيها الأخوان - في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في المالك الإسلامية، وإنكم أعددتم نشئنا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلمين من الإسلام، ولم تدخلوهم في المسيحية، وبالتالي جاء الشيء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسيل، ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، إنه يجد بكل شيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون: إن مهمتكم تتم على أكمل الوجه». [٣، ص ٦٣].

على أننا لا نسلم لزويمر بكل ما قاله، فهناك طائفة من أبناء هذه الأمة بقيت وستظل موصولة بربها متمسكة بدينه، وهي الطائفة المنصورة التي عناها رسول الله ﷺ في قوله: «لَا تَزَالْ طَائِفَةٌ مِّنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مِّنْ خَالِفِهِمْ حَتَّى تَقُومِ السَّاعَةُ». (رواية البخاري في كتاب التوحيد).

بيد أنه نتج عن الغزو الفكري فجوة بين أبناء الأمة الإسلامية، وأدت هذه الفجوة - التي زكاها الاستعمار - إلى انشطار الأمة إلى فتنتين: فئة انجرفت مع تيار الغزو الفكري، وبقيت الأخرى متمسكة بأصولها تدافع عنها أمام هذا الغزو.

وقد حذر من آثار هذا الانشطار المفكر الإسلامي أبو الحسن الندوبي بقوله: «وكليما استغير منهاج من بلاد غير إسلامية، أو اختيرت كتب وضعت في بلاد غير مسلمة، ولشاشة غير مسلمة كان هذا المنهاج، وكانت هذه الكتب قلقة نابية لا تفي، ولا تساعد في المطلوب، ويكون الصراع مستمراً بين الفكر الإسلامي والروح الإسلامية، وبين العقلية الجديدة والنفسية الجديدة التي تنشأ بتأثير هذه الكتب ومفعول هذا النظام التعليمي، وهذا الصراع ليس أقل شؤماً لهذه الأمة، ولا أقل عناء على حياتها وإسلامها من صراع الدين والسياسة، والعقل والديانة في أوروبا في قرونها الوسطى... وقد تجلى هذا الصراع وعنف واستفحال في جميع الأقطار الإسلامية التي أخذت العلوم الغربية برمتها، والكتب الحالية من روح الدين على علاقتها، وطبقت نظم أوروبا، أو بلاد أخرى في التعليم في بلادها، أو أدخلت عليه شيئاً من التعديل. فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة، واضطرب وتناقض في الأفكار والأراء، وشك وارتياح في الدين، واستخفاف بفرازه وواجهاته، وثورة على الآداب والأخلاق، وضعف وانحطاط في الأخلاق والسيرة وتقليل للأجانب في القشور والظواهر...». [٤، ص ٧، ٨].

فالتبعة الفكرية في مناهج التربية والتعليم من أخطر التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وبدون تأصيل هذه المنهاج، وردها إلى أصولها الإسلامية فإنه لا خير يرجى لهذه الأمة، ولا تقدم يتوقع لها. وقد أجريت دراسات عدّة عن تأصيل المناهج التعليمية(\*) حيث إن الباحث لم يعثر - على حد علمه - على دراسة تناولت أهم الأسس والمبادئ التي ينبغي أن تراعي عند تأصيل هذه المنهاج. ومن هنا جاء اهتمام هذه الدراسة لرصد هذه الأسس.

### هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى رصد أهم الأسس والمبادئ التي يجب مراعاتها عند القيام بتأصيل المناهج التعليمية.

(\*) من أبرز هذه الدراسات دراسة إسحاق فرحان وأخرون «نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية والتعليم»، ودراسة أنور الجندي «أسلمة المناهج والعلوم» ودراسة حمدي أبو الفتوح عطيفة: «أسلمة مناهج العلوم المدرسية».

### أهمية الدراسة

تبين أهمية هذه الدراسة من موضوعها الذي يتناول جانباً من جوانب تأصيل المنهج التعليمية، وهو أسس ومبادئ هذا التأصيل. ولاشك أن التأصيل له ثمار ذاتية لعل من أبرزها:

١ - إعادة العزة والكرامة، والتضامن والوحدة للمسلمين بصفة عامة، وللعرب بصفة خاصة.

ومن المؤثر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال لأبي عبيدة: «إنكم كتم ذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهمها طلبوا العز بغیره بذلكم الله». فإذا انقطعت صلة العرب بالإسلام ضاقت عليهم الأرض بما رحب، وغشيم الذل من كل مكان. [٥، ص ٦٦].

وهذا ما عنده ابن خلدون بقوله: إن العرب لا يحصل لها الملك إلا بصبغة دينية من نبوة، أو ولادة، أو أثر عظيم من الدين على الجملة. [٦، ص ١٥].

٢ - كما يسهم التأصيل أيضاً في توضيح الرؤية الكلية للإسلام في شتى جوانب الحياة، ومن ثم تطبيق النظام الإسلامي في جميع نواحيها.

٣ - ويدعم التأصيل - أيضاً - الصحة الإسلامية المعاصرة، ويعطي لها قوة صمود، ودفع من الداخل، لتمضي هذه الصحة نحو تحقيق أهدافها البعيدة.

٤ - كما يقضي التأصيل على أخطر الأمراض التي تتخر في عظام الأمة ألا وهو مرض التفكك الداخلي الذي عطل مسيرة الأمة، وشل مراكزها، ويتمثل هذا المرض على مستويين:

(أ) مستوى التجزئة العنصرية، والذي تمثل في إثارة النعرات القومية، كالتركية والعربية والفينيقية والفرعونية.

(ب) مستوى التجزئة الفكرية والثقافية، والذي تمثل في صنع أجيال متصارعة داخل الوطن الواحد، كل منها يتمي إلى أيديولوجية مختلفة.

### منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي يرصد أهم الأسس التي ينبغي الانطلاق منها عند تأصيل المنهج التعليمية من خلال ما كتب في أدبيات هذا الموضوع.

### نتائج الدراسة

**يحتاج تأصيل المنهج التعليمية إلى أساتذة متميزين لهم سمات خاصة، يقول المفكر الإسلامي أبو الحسن الندوبي :**

«إننا لابد أن نستأنف حياتنا من جديد، ولا يكون ذلك إلا باستقلال نظامنا التعليمي، ونحتاج لذلك إلى أساتذة بارعين في كل فن يضعون منهاجاً تعليمياً يجمع بين محكمات الكتاب والسنة وحقائق الدين التي لا تتبدل ولا تتغير وبين العلوم العصرية النافعة، والتجربة، والاختبار، ويدونون العلوم العصرية للشباب الإسلامي على أساس وبروح الإسلام وفيها كل ما يحتاج إليه النشء الجديد، مما ينظمون به حياتهم، ويحافظون به على كيانهم... فيستخرجون به كنوز أرضهم، ويستعمون بخبرات بلادهم، وينظمون مالية البلاد الإسلامية، ويدبرون حكوماتهم على تعاليم الإسلام». [٧، ص ٢٩٧].

ولذلك فهناك مجموعة من المبادئ والأسس لابد من توافرها أولاً عند القيام بتأصيل المنهج التربوية. وتتمثل هذه الأسس نقطة البدء في عملية التأصيل ومن أبرز هذه الأسس :

#### ١ - التمكّن من التراث الإسلامي

التمكّن من التراث الإسلامي هو الدعامة الأولى للبدء في التأصيل، والمقصود بالتراث الإسلامي هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وأداب وفنون وصناعات، وسائر الم杰ّزات المعنوية، والمادية، ومن ثم فالتراث عندنا لن يقتصر على الم杰ّزات الثقافية، والحضارية المادية فقط، بل يشتمل أيضاً على الوحي الإلهي (القرآن والسنة). ومن هذا المنطلق فإن التعامل مع هذا التراث لن يكون واحداً إذ أن الوحي الإلهي لا يقبل الانتقاء والنقد والتطوير لواقع. أما الم杰ّزات البشرية والحضارية والثقافية فإنها قابلة للنقد، والانتخاب والتوظيف حسب الحاجة والمصلحة، ولذلك يختلف مصطلح تراث عندنا عن مصطلح التراث في الحضارة الغربية المعاصرة، فالتراث (Legacy) عندهم يطلق - أيضاً - على المخلفات الحضارية والثقافية والدينية، ولكن تعامل معها معاملة واحدة لا فرق بين ما مصدره الإنسان المخلوق، وما مصدره الإله الخالق. فالكل يتعرض لعملية النقد، والانتقاء والقبول والرفض. [٨، ص ٢٩].

والتراث الذي ينبغي التمكّن منه يتمثل في :

(١) القرآن الكريم والسنة النبوية.

(ب) آثار السلف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ، والثابت من سيرتهم، وفكرهم، ومنهج عملهم.

(ج) فكر علماء الأمة، ومفكريها، وقادتها المصلحين على مر العصور وتأملاً لهم في مختلف مجالات المعرفة، وهذا الفكر قابل للانتخاب والتوظيف والنقد والغربلة لاستخلاص الصحيح المفيد من عيوبه، الصادر عن روح الإسلام، وغاياته لا عن الخرافات أو الانحرافات التي ألمت بروح الأمة الإسلامية وفكرها على مر العصور.

ويحتاج التراث لتيسير التمكّن منه إلى تبوييب وتصنيف بشكل علمي منظم مع مراعاة تقسيمات المعرفة والعلوم المعاصرة. والاستعانة بالحاسوب الآلي في تبوييب وترجمة هذا التراث أمر لا بد منه.

والمتمكن من هذه الأصول لا يعني الوقوف عند هذا الحد. إنما يجب اتخاذها قاعدة راسخة ووجهة نطلق منها في معركتنا الحضارية من أجل تضييق الفجوة بيننا وبين الأمم المتقدمة.

## ٢ - استيعاب المعرفة الحديثة

المتمكن من المعرفة الحديثة أمر ضروري لتأصيل هذه المعرفة، وقد تنوّعت المعرفة وتقدّمت تقدّما هائلاً - في هذا العصر - بفعل التقدّم المادي الهائل الذي أحرزته الحضارة المعاصرة.

وقد استطاع الغرب بمنجزات هذه المعرفة غزو العالم الإسلامي سياسياً، واقتصادياً، وعسكرياً، وثقافياً، وأصيب كثير من المسلمين بالذهول والانبهار من جراء هذا الغزو الساحق. ومن ثم تسابقوا إلى بلاد الغرب عسى أن يحملوا ضعفهم إلى قوة وتأخرهم إلى تقدم، ومررت العقود تلو العقود، ولم يصلوا إلى ما يبغون وعجزوا عن اللحاق بالركب الحضاري، ومن أسباب هذا العجز أنهم يأخذون العلوم والمعارف والتنظيمات بصورة مجرأة، وعلى علاتها، دون تحيص أو غربلة أو تقييم. وقد غفلوا عن جغرافية الكلمة. وأن الأفكار لها جذور وغيارات وملابسات مما يجعلها قد تنبت في مكان بينما تموت في مكان آخر.

وهذه التجزئة والحرفيّة في تلقى معارف الغرب هي التي منعّتنا من القدرة على الدراسة العميقّة النّقدية الشاملة التي يمكن أن ندرك بها كليات معارف الغرب ولباب حضارته،

والفلسفة التي بنيت عليها، والغايات التي تستهدفها، والقيم التي تعكسها، ولذلك لم نتمكن من ناصية تلك العلوم، ولم نحقق القدرة الإبداعية في مجالاتها وبقينا تبعاً، وعالة على تلك المعرف مع أننا نرسل كل عام الكثير من أبنائنا النابحين.

وحتى يمكن أن نضع حداً لهذا العجز وننمّي في كياننا طاقات المعرفة وقدرات الإبداع فلابد من استيعاب المعرفة الحديثة، وهضمها، وتمثل طاقاتها المبدعة بشكل سليم، واستيعاب هذه العلوم والمعرف ليس مقالاً يكتب أو كتاباً ينشر أو ندوة تعقد، وإنما هو معاناة وجهد وجهد تسهم فيه كل الأمة بجميع مؤسساتها ومعاهدها ومعاملتها ورجالها، وتُفقد عليه العزم للبناء والمشاركة، ومن ثم تسقط في سبيله مظاهر الترف والركون إلى الاستسلام والتواكل . [٩، ص ١١٢].

وهذا يتطلب أولاً أن نعي ، وأن ننزوء بالفهم الشمولي والنقد الموضوعي للحضارة الغربية أصلاً ومنبعاً ، وغاية وفلسفة وإنجازاً .

فالقبول الجزئي الأعمى وكذلك الرفض الشامل المتشنج للحضارة الغربية لا يفيدان شيئاً في مواجهة التحديات المعاصرة ، ولن تستطيع الأمة الإسلامية أن تقلع نحو حضارة إسلامية معاصرة إلا بعد التمكن من إمكانات الحضارة الحديثة وطاقاتها ثم تقدم من خلال تراثها الإسلامي حضارة أرحب في الدلالة وأذكى في العطاء .

وهذا التمكن سينبثق من روح الإسلام الذي يقر مبدأ العصرية ، ولكنه لا يقر الاستسلام لها إذا كان ذلك من شأنه أن يتجاوز القيم الأساسية له . فهناك قيم أساسية لا يمكن تجاوزها كما لا يمكن التضحية بها في سبيل الحصول على أي قدر من التقدم المادي ، ومبدأ العصرية يدخل في باب المتغيرات ، أما روح الأمة وهو الإسلام فيدخل في باب الثوابت ولا بد من خضوع المتغيرات للثوابت .

فتمكن المسلم من ناصية العلوم الحديثة ، وبلورة وعيه الشمولي النقدي الموضوعي تجاه الحضارة المعاصرة ، مع وصل جذوره بقيم الإسلام ، وغاياته ، وربطة فكر أسلافه ، ونفائس تراثه ، أمران أساسيان ، وشرطان ضروريان لتأصيل العلوم والمعرفة تمهدًا للإقلالع الحضاري ، ولذلك لا ينبغي ألا نعي اهتماماً من انبهروا بالحضارة وأصبحوا ينادون بقلع الأمة من تراثها ، وقيمها ، وإخراجها من جذورها لتندمج كليّة في الحضارة الغربية بدعوى أنه إذا لم يتم ذلك فلا تقدم ؛ لأن هذه الدعوة مخالفة ل السنن الله الكونية . فلقد جعل

(سبحانه) في كل أمة ميلاً طبيعياً للاحتفاظ بمقوماتها والاعتزاز بها ضيقاً، والأمثلة على ذلك كثيرة:

(أ) فالشعوب الأوروبية عندما نهضت وتقدمت احتفظت كل شعب بخصائصه، ماضيه، فإيرلندا أمة صغيرة تجاوز إنجلترا، وقد بذل الإنجليز جهداً كبيراً ليديمحو الإيرلنديين في سوادهم، وباءت جهودهم بالفشل، وبقي الإيرلنديون بلسانهم وعقيدتهم، وأذواقهم وعاداتهم. [١٠، ص ٥٣].

(ب) وحاول الروس إدخال بولونية في الجنس الروسي بحجة أن العرق السلافي يجمع بين الروس والبولنديين، وفشل هذه المساعي، واحتفظ البولنديون بقوميتهم الخاصة. [١١، ص ٥٤].

(ج) واليابانيون حتى سنة ١٨٦٨ كانوا أمّة كسائر الأمم الشرقية، فلما أرادوا اللحاق بركب الحضارة تعلموا علم الأوربيين، وصنعوا صناعاتهم، بل وتفوقوا عليهم، ولم يتفرقوا دينهم، ويشاربوا ماضיהם. فالماضي لا يزال عند اليابانيين مقدساً مغضباً في جميع طبقاتهم، وهناك هياكتش (شنينتو) ومعابد (زن) والهياكتش البوذية وهي مكرمة معظمها. فالشعب الياباني عرف كيف يختار الأصلح من حضارة الغرب مع الاحتفاظ باستقلاله وقوميته وأدابه وثقافته. [١٠، ص ٥٧].

(د) والهنود - أيضاً - يحافظون على ثقافتهم، ويزكيتهم، فنهرروا وأوراد - كريشنان كانوا يذهبان إلى أوروبا، وهما مرتديان السروال الأبيض واللبدة الهندية ليخبرو الحضارة والثقافة الأوروبية أن الهند أمّة مستقلة، ذات قيم ومبادئ وتراث. [١٠، ص ٦١].

فك كل هؤلاء من أوربيين، ويبانيين، وهنود تقدموا وتحضروا مع احتفاظهم بأصواتهم، وانطلاقهم من ثقافاتهم. فمن باب أولى أن يتمسك المسلمون بأصواتهم، وينطلقوا من ثقافتهم، خاصة وأنها ثقافة ربانية منبعها وحي السماء.

ويجب ألا يقتصر التمكن على فئة محدودة من المبعوثين الدراسيين، بل يجب أن يشمل كوادر الأمة العلمية، والثقافية كافة. ويطلب ذلك توفير الترجمة بصورة شاملة لجميع الدارسين والمتلقين باللغة العربية ولغات الشعوب الإسلامية.

وقد فعلت اليابان ذلك فهي لم تكتف بمن تبعthem إلى الغرب وإنما تبنت حركة للترجمة شملت جميع المعارف والعلوم فكانت النتيجة انصهار الأفكار مع إمكانات الإنسان الياباني

بتقاليد، وتراثه، وقيمه في بوتقة واحدة نقلت المجتمع الياباني إلى الصنف الأول وبدون خسائر تذكر. [٩، ص ٨٦].

٣- الوعي بالفارق الجوهرية بين روافد الثقافة الغربية ومنطلقات الثقافة الإسلامية هناك اختلافات جوهرية بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية. فالثقافة الغربية في تشكيلها النهائي ترجم إلى ثلاثة روافد تاريخية وثقافية متكاملة:

(١) الرافد الأول: تاريخ الثقافة اليونانية واللاتينية، أو تاريخ اليونان والرومانيين اجتماعاً، وتجانساً، وأثروا الثقافة الهملزية والمذاهب الفلسفية الممثلة لهذه الثقافة مختلفة شديدة الاختلاف في تصوير الحقيقة الأزلية التي هي الذات الإلهية وواقعة كلها في أسر التصور المادي، وقصارها في الإيمان بوجود إله عظيم أنها تعتبره موجوداً لكنه عديم الإرادة وهو إما متعال عن العالم أو مثبت فيه كالذرات أو أنه قد يُقدم المادة نفسها، والإنسان في هذا الوضع إما كائن كسائر الكائنات المادية التي لا نهاية لها، وإما أنه يجب أن يتحرر من هذه المادة ليتاح له الفناء في كائنات أعلى.

(ب) الرافد الثاني: تاريخ العقيدة النصرانية، وما كان لها من سلطان عميق خلال القرون الوسطى في أوربا، وقد ظهرت المسيحية في وسط جو مشبع بهذه التيارات الفلسفية والمعتقدات الشرقية القديمة، وأصول من البيانات السماوية السابقة فضلاً عن كونها ظهرت في وسط مشبع بالتراث الديني العربي (اليهودي) الذي حول اليهودية إلى عقيدة قومية مغلقة على نفسها، ولذلك لم تتمد المسيحية أمام عوامل التحرير والتوجيه الفلسفى واليهودي فتشبعت بالأراء الدخيلة وتسرب إليها الزيف عن حقيقة التوحيد فأخضعها قساوستها إلى تصوّر مادي للألوهية أو تصوّر فلسي بحيث صار الإله يتجسد في عيسى ابن مریم عند طائفة أو صارت صفاتـه تمثل بذاتها آلهة أخرى هي الإله القديم تصدر عنه الكلمة فتصير إلـها هو (المسيح).

(ج) الرافد الثالث: التاريخ الأوروبي الحديث. أدى تشييع الثقافة الأوروبية في العصور الوسطى بالسيجية إلى انغلاق هذه الثقافة على نفسها، ومن ثم سدت كل المنافذ أمام كل اقتباس، أو تفتح ، أو معرفة فصارت بذلك حجر عثرة أمام أي تقدم علمي أو تطور منهجي مما ولد الثورة على هذه الأفكار ومن ثم الصراع بين الكنيسة والتيار العلماني المضاد لها . وقد أسفر هذا الصراع عن انتصار هذا الأخير بما يمثله من نزعة عقلية .

وقد ازدهرت العلوم التجريبية بسبب هذا التحرر الذي أحرزه العقل من سلطان الكنيسة فاكتشف الإنسان الغربي مصادر الثروة والطاقة وتمكن من اختراع الأجهزة والآلات العلمية العجيبة التي ذلل بها كثيراً من صعاب الحياة وسخر بها كثيراً من قوى الطبيعة وتحت تأثير هذا التقدم الذي أحرزته العلوم التجريبية اتجهت العلوم الاجتماعية إلى اعتبار الإنسان ظاهرة مادية.

وقد ظهرت الفلسفه الوضعية التي تهدف إلى إحلال الروح العلمية محل الروح الدينية واحتراق (كونت) دينًا جديداً أسماء دين الإنسانية يقوم على ثلاثة أقانيم: الموجود الأعظم وهو الإنسان والوثن الأعظم وهو الأرض والمحيط الأعظم وهو الفضاء الخارجي المحيط بالأرض ولا موجود وراء ذلك، ولذلك ينبغي إحلال الروح العلمية محل الروح الدينية. [١١، ص ١٤٨].

وقد التقت هذه الوضعية المنطقية مع الماركسية التي تنكر وجود الإله، وتعتبر الحياة مادة، وما وراء ذلك خرافه، والمعرفة نسبية، ومع (الفرويدية) ذات التحليل النفسي القائل بالغرائز وحدها، ومع التطورية الدارونية التي جعلت الكائن الإنساني مجرد حلقة في سلسلة من التطور الحيواني لتجتث جميعها الفكر الإنساني من كل أصل يمكن الاعتداد عليه من الأصول الثابتة سوى القانون الطبيعي المبني على المادة. [٢٠، ص ١٩٤].

وقد صبغت هذه النزعات المادية الثقافة الغربية بصبغتها مما جعل هذه الثقافة فاقدة لأي أساس ميتافيزيقي للوجود، أو للاعتقاد بمصدر رباني للكون، وقد أدى ذلك إلى حصر الإرادة في مستوى الرغبات والشهوات، وحصر الخيارات في الميادين الكونية، والاجتماعية دون الدينية والأخلاقية، والهدف النهائي إيجاد الفرد المستهلك، والمحافظة على جسده البشري، لأن الحياة الدنيا هي الغاية والمهدى.

أما الثقافة الإسلامية فمصدرها الأساسي القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة إلى التجربة التاريخية والفكرية التي تخضت في المجتمعات الإسلامية والتي نشأت بتأثير القرآن الكريم والسنة النبوية.

فينبعو هذه الثقافة «وحي السماء» وهو الحق المطلق. ومن ثم فلا مجال لتصارع الأهواء وتضارب الآراء، وأول ركائز هذه الثقافة:

(١) التوحيد: فالله (سبحانه وتعالى) واحد لا شريك له، فهو الواحد الأحد الفرد

الصمد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ (الإخلاص)، وهو مطلق الكمال ليس كمثله شيء وكل موجود سواء مغاير له ومخلوق له، وهو (سبحانه) مصدر كل حق وكل خير وكل جمال.

وهو (سبحانه) مبدأ كل شيء، وغاية كل شيء الكل يفني ويبقى سبحانه ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧). وهو سبحانه الذي يحيي ويميت، ثم يبعث الخالق للحساب والجزاء. وله سبحانه صفات تليق بعظمته وجلاله فلا يشبهها فيها مخلوق من مخلوقاته.

(ب) **تسخير الكون:** الكون مخلوق من مخلوقات الله (سبحانه)، وينقسم إلى قسمين:

\* قسم غيبى .

\* قسم مشهود .

والقسم الغيبى : هو الذي لم يره الإنسان، ولا يستطيع إدراكه بحواسه ولكنه يؤمن به بناء على ما ورد عنه في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومثال ذلك عالم الملائكة، وعالم الجن والروح وعداب القبر ونعمته.

والإيمان بهذا هو أول صفات المتقين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رِيبُ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ﴾ (البقرة: ٣-١).

والقسم المشهود : وهو ما نشاهده في الكون ونحس به ويوئر الإنسان فيه، وقد عرض القرآن لهذا الجانب كثيراً مطالباً الإنسان بضرورة استغلاله لنفعته، وقد وضع الحق سبحانه لهذا الكون سنناً يسير عليها ولم يتخل عنده بعد أن وضع له هذه السنن وإنما زمام هذا الكون بيده سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾ (يس: ٨٢، ٨٣).

(ج) **الإنسان مخلوق مكرم:** خلق الله (سبحانه) الإنسان متميزاً مكرماً: ﴿وَلَقَدْ كَرَمْنَا بْنَيْ آدَمَ وَهَمَنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

ومن مظاهر هذا التكريم: خلقه في أحسن تقويم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ

تقويم» (التين: ٤). وأمر ملائكته بالسجود له: «إذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا...» (البقرة: ٣٤). وأنعم عليه بنعم لا تعد ولا تحصى «إذن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار» (إبراهيم: ٣٤). وقد سخر الله له كل ما في الكون وكل مخلوق في الكون من حولنا هو مظاهر تكريم الإنسان وإعلاء شأنه وإشعاره برئاسته لهذا العالم المحسوس. قال تعالى: «ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض» (لقمان: ٢٠). وهذا الإنسان رسالة وغاية «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات: ٥٦).

يقول المفكر الشهيد سيد قطب: «الإنسان ليس إلهًا ينافر الآلة وتنافرها، وليس كذلك حيواناً جاءت سيادته على الأرض مصادفة وليس آلة... وليس عبداً للهادة، ولا هو لوحة تطبع فيها المادة. أو الطبيعة ما تريد. إنما الإنسان إنسان وهو سيد هذه الأرض وهو عبد الله وهو مسلط على هذه الأرض ومسخر له كل ما فيها. وعليه أن يختلف الله (سبحانه) فيها، ويغير فيها ويبدل وينمي فيها ويرقي، فهو مخلوق فذ في هذا الكون، مخلوق قصدًا. ولخلقه حكمة، ومزود بطبيعة خاصة فوق طبائع الحيوان، وبخصائص معينة فوق خصائص الحيوان لأداء وظيفة معينة في الأرض لا يؤدinya الحيوان، وله من ثم مقام كريم يعادل وظيفته الكريمة. [١٢، ص ١٦٩].

(د) الالتزام الخلقي: الالتزام الخلقي من أبرز ركائز الثقافة الإسلامية. فللأخلاق في هذه الثقافة مكانة عالية، وقد كان نبي الإسلام ﷺ، أسوة حسنة في أخلاقه العالية لأمته، وقد أثرت عنه أحاديث كثيرة تحض على حسن الخلق، مثل قوله: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً». (رواه الترمذى)، وقال: حديث حسن صحيح). وعندما سُئل ﷺ، عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تفوى الله وحسن الخلق». (رواه البخاري ومسلم والترمذى في باب البر، وقال: حسن صحيح).

وليست الأخلاق في الثقافة الإسلامية من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها بل هي من أصول الحياة التي يعييها الإسلام ويرفع درجة صاحبها. وقد أحصى الإسلام مكارم الأخلاق ومعاليها وفصلها تفصيلاً وحث أتباعه على التزامها والتمسك بها. [١٣، ص ١٥].

(هـ) تكامل الوحي والعقل: العقل هو وسيلة الإنسان للإدراك وطلب الأسباب

وتحمل المسؤولية وهو ليس وحده مصدر المعرفة عند المسلم، بل هناك مصدر آخر للمعرفة، هو الوحي المتزل من لدن الخالق العظيم.

والوحي يكمل إدراكات الإنسان: ذلك لأن العقل الإنساني محدود في إدراكاته، ولذلك فهو لا يستطيع إدراك الأمور الكلية التي تتعلق بها وراء هذه الحياة، فيأتي الوحي ليمد العقل الإنساني بهذه المدركات الكلية.

فالعقل والوحي متكملاً في حياة الإنسان وفي سعيه لبلوغ حاجاته وتحقيق غايات وجوده وحمل مسؤولياته في الحياة.

(و) الشمولية: الشمولية ركيزة مهمة من ركائز الثقافة الإسلامية فهي ثقافة شاملة تشمل الإنسان كله: روحه، وعقله، وجسمه، وإرادته ووجوده. كما أنها تشمله منذ ميلاده، بل قبل ميلاده حتى يستقر في الجنة أو في النار. ففي هذه الثقافة تعاليم تتعلق باختيار الزوجة من أجل تكوين الذرية الصالحة، وتعاليم تتعلق بالولود ساعة ميلاده، واختيار اسمه، وذبح عقيقته، ومدة رضاعته، تصحب هذه التعاليم والأحكام الإنسان حتى موته، ودخوله في قبره، ثم من شره يوم القيمة، ووقفه أمام الله (عز وجل) للحساب على ما فعل في حياته الدنيا ثم مصيره إلى الجنة أو النار.

فهي ثقافة شاملة استوعبت الحياة كلها، والإنسان كله في أطوار حياته، وكل مجالات هذه الحياة.

(ز) الوسطية: الوسطية من أبرز ركائز الثقافة الإسلامية، وتتجلى هذه الوسطية في العقيدة التي تقوم عليها هذه الثقافة فهي عقيدة لا تصدق بكل شيء بغير برهان كما أنها لا تنكر ما وراء الحس وإنما هي تؤمن بما قام عليه الدليل. وهي وسط بين من يقدسون الأنبياء ويرفعونهم إلى مرتبة الألوهية، وبين من كذبوا عليهم واتهموهم، وصبووا عليهم كؤوس العذاب.

[٤، ص ١٢٢].

كما أنها وسط في النظر إلى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة واعتبروا الحياة الدنيا كل شيء وبين الذين رفضوا هذه الحياة، وألغوا اعتبارها من وجودهم، واعتبروها شرًا يجب الفرار منه فهي ثقافة تعتبر الحياتين وتجعل الدنيا مزرعة للأخرة.

والإنسان في هذه الثقافة مخلوق مركب فيه العقل وفيه الشهوة، فيه غريزة الحيوان وروحانية الملائكة قد هدي للنجدين تهياً بفطرته لسلوك السبيلين، إما شاكراً وإما كفوراً، فيه

استعداد للفجور، واستعداد آخر للتفويت، ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتركى . [١٤] ، ص ١٢٥]

ولا نهدف من وراء هذا الإيضاح ، والتمييز ، وإبراز الفروق إلى الانغلاق على الثقافة الإسلامية وحدها ، وإنما المدف ببيان تميز الثقافة الإسلامية وتفرداتها ككائن مستقل وأنها شجرة ثابتة الأصول تتفاعل مع غيرها من الثقافات الأخرى بيد أنها في النهاية لا تقبل إلا ما يتفق مع أصولها ، ولا تثمر غير ثمرها .

#### ٤ - الوعي الكامل بما يحيط بالأمة الإسلامية

من الأسس المهمة التي لابد من معرفتها وفهم أبعادها عند التأصيل الوعي الكامل بما يحيط بالأمة الإسلامية من أحداث ، ما يدبر لها من مكائد ، لأن هذا الوعي سيعين على تحديد قضايا الأمة الإسلامية تحديداً جيداً ثم ترتيب هذه القضايا حسب أولوياتها . وقد لعب الغزو الفكري دوراً كبيراً جيداً ثم ترتيب هذه القضايا حسب أولوياتها . وقد لعب الغزو الفكري دوراً كبيراً للحيلولة دون إدراك قضايا الأمة الإسلامية بصورة شمولية ، وساعده على ذلك ضعف الإسلام في نفوس أبنائه .

وقد استهانت هذا الغزو في ترويض أبناء المسلمين على الرضوخ لختمية الاستعمار وسيادة الرجل الغربي وتفوقه ، وأهليته وحده للتحكم في التاريخ الإنساني . وقد نتج عن ذلك فقدان كثير من المسلمين للثقة في أنفسهم ، واستيلاء اليأس والقنوط عليهم ، مما ولد إحساساً داخلياً عندهم فحواه أن صناع الحضارة الغربية هم الأعلون على كل حال ، وأنه لا سبيل لغالبتهم بوجه من الوجه ، ولم يزد هذا التهيب يزداد ويتحمر في صدورهم حتى صار أعداؤهم ينصرون بالرعب وصار الأقل منهم يقوم للأكثر من المسلمين .

ويجب أن نعي جيداً أن الغرب لن يترك الأمة الإسلامية تمضي في طريق التقدم والازدهار ومن ثم فهو يحاول بشتى الوسائل الحيلولة دون انتهاء المسلمين الجاد إلى إسلامهم؛ لأنه يعلم أن الانتهاء الجاد يعني الموافقة المبدئية على الدخول في السباق الحضاري . يقول عماد الدين خليل : «إن الإنسان بمجرد انتهائه إلى الدين يضع نفسه ، وقدراته في سباق واحد ، وتوجه واحد ، وبغرى واحد مع خلائق الله كافة ، وستنه المذخرة في الطبيعة ، ونوميسه العاملة في الكون ، فيتحول المؤمن إلى طاقة فذة في ميدان الفعل

والإنجاز. قدرة مذهلة في مجال العطاء والإبداع.. شعلة متوجهة يمتد إشعاعها إلى أعماق الذات فيضيها ويدفعها». [١٥، ص ٣٣].

والوعي بها يحيط بالأمة الإسلامية، وما يدبر لها سيسهم إسهاماً فعالاً في:

- \* تفهم طبيعة أزمات هذه الأمة، وأسباب هذه الأزمات، والوسائل المطلوبة لمواجهتها والتغلب عليها.
- \* تجديد فكر الأمة، وبعث طاقاته، وتطوير مناهجه، وبلورة منطلقاته، وربطه بمقاصده الإسلامية الأصيلة.
- \* دفع العقل المسلم نحو التفاعل مع الحياة، والاهتمام بمشكلات أمهه فيخرج بذلك من حالة الخمول والكسل واللامبالاة.

\* إعادة تنظيم طاقة المسلم الحيوية وتوجيهها. يقول المفكر الإسلامي مالك بن نبي : «إن المشكلة التي تواجه المسلم اليوم هي تقريراً المشكلة التي عبر عنها الرسول ﷺ ، في قوله: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها». فتحن بحاجة إلى إعادة تنظيم طاقة المسلم الحيوية وأول ما يصادفنا في هذا السبيل هو أنه يجب تنظيم تعليم القرآن الكريم بحيث (يوحى) من جديد إلى الضمير المسلم (الحقيقة القرآنية) كما لو كانت جديدة نازلة من فورها من السماء.. وثاني ما يصادفنا هو أنه يجب تحديد رسالة المسلم الجديدة في العالم، فبهذا يستطيع المسلم منذ البداية أن يحتفظ باستقلاله الأخلاقي حتى لو عاش في مجتمع لا يتفق مع مثله الأعلى، ومبادئه. كما أنه يستطيع أن يواجه - على الرغم من فقره أو ثرائه - مسؤولياته منها يكن قدر الظروف الخارجية الأخلاقية أو المادية، وهو بهذه الطريقة يستطيع أن ينشئ وسطه الخاص شيئاً فشيئاً، حين يؤثر على الظروف الخارجية بحياة نموذجية ينقل أثرها إلى ما عادها كما كانت حفنة الرجال الذين عاشوا حول النبي ﷺ ، بمكة المكرمة أيام الإسلام الأولى». [١٦، ص ٦].

#### ٥- التخطيط السليم

يعتمد نجاح أي مشروع على التخطيط لهذا المشروع تخطيطاً جيداً، وقد اهتم الإسلام بالتخطيط اهتماماً بالغاً، وقد ساق القرآن الكريم في سورة يوسف أنموذجاً للتخطيط الجيد عندما خطط يوسف، عليه السلام، لأهل مصر ليخرجهم من المعاقة.

قال تعالى : ﴿تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سَنِينَ دَأْبًا فِي حَصْدِكُمْ فَذَرُوهُ فِي سَنْبَلَهِ إِلَّا قَلِيلًا مَا تَأْكِلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شَدَادًا يَأْكُلُنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مَا تَحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِي بَغَاثِ النَّاسِ وَفِي يَعْصُرَوْنَ﴾ (يوسف ٤٧-٤٩).

ومن يقرأ سيرة الرسول ﷺ، يجد أنه كان دائمًا يعد للأمر عدته ويخطط على المدى القريب والمدى البعيد، فقد كان يأخذ بالأسباب ويخطط للأمور مقدارًا كل الاحتمالات ومستشيراً لكل من حوله ويتجلّى ذلك في غزواته ﷺ، وفي هجرته درس بلغ في التخطيط السليم ، والتهاش الأسباب مع أنه كان يدرك تماماً أن الله ناصره، وإنما يريد من وراء ذلك أن تقندي به أمتة .

وفي ضوء ذلك يجب إعداد خطة مستقبلية واضحة المعالم لتأصيل المناهج التربوية، وتحدد في هذه الخطة المدى الزمني لهذا العمل، ثم يوزع العمل على هذه المساحة الزمنية ولتجنب في هذا الأمر الحماس الواقعي ، والعشوانية؛ لأن الحماس الواقعي سرعان ما ينطفئ والعشوانية تؤول إلى الفشل مما يؤدي إلى تشبيط الهمم وتعيق اليأس .  
وفي هذا التخطيط ترتب العلوم والمعارف التي يراد تأصيلها حسب أولوياتها، أي توضع في منظومة متسلسلة .

## ٦ - الجهد الجماعي (الفريق المتعاون)

كلما اتسع العمل احتاج إلى تضافر جهود كثيرة، وتأصيل المناهج التربوية عمل كبير، ومن ثم يحتاج إلى جهد جماعي ، يقوم به فريق عمل يوزع عليهم العمل حسب تخصصاتهم، وليس كل متخصص يستطيع الإسهام في هذا الأمر وإنما الأمر يحتاج إلى من حذقوا هذا التخصص وتمكنوا من تراث الأمة واستوعبوا المعرفة الحديثة، لأن هناك كثيراً من المتخصصين تشكلت ثقافتهم الإسلامية بشكل عفوي، وبمؤثرات خاصة . كما أن هناك من رفضوا كثيراً من العلوم والمعارف الحديثة ولم يحاولوا تمييز غثها من ثمينها، وكلا الفريقين لا يصلح لمثل هذا العمل .

ومن وراء هذا الفريق ينبغي أن تتكافف الأمة بكل طاقاتها، ومؤسساتها وعقولها لتكون المسيرة عريضة ، والعطاء مدراراً .

## ٧ - الثقة والإنجاز

ونعني بالثقة أن يثق المسلم أنه هو وحده - بانتهائه إلى الإسلام - الذي يملك القدرة على التصدي للمسكلات التي تواجه العالم اليوم، ويعمل على حلها طبقاً للرؤية الإسلامية، فلا يوجد على وجه الأرض منهج حق سوى النهج الإسلامي ، ومن المؤكد أنه ليس إلا الإسلام ، والرؤية الإسلامية سبيلاً إلى حل مشكلات البشرية فكراً، وتحطيطاً، وتغيفداً . وعندما تصدى الأمة الإسلامية لرسالتها ، وتحملها من جديد كما حملها الأسلاف تكون سعادة هذه الأمة بل وسعادة البشرية كلها . [١٧٤ ، ص ١٧٤] .

فأمّتنا إسلامية - بل وإنسانية كلها - في أمس الحاجة اليوم إلى حضارة مؤسسة على ركائز الوحي ، وهداية الحق ، وإلهام القيم ، وتلك بحمد الله متوفرة عندنا ولدينا القدرة الكاملة على معالجة كل أدوات الإنسانية من تخلف وفراغ ، وخلل ، وانحطاط دون تجاهل الواقع الحضاري المعاصر ، وما تحقق فيه من مكاسب وإيجابيات ودون أن نصاب بسلبيات هذا الواقع وجرائمها . [٩ ، ص ١٢٠] .

وينبغي أن تكون هذه الثقة هي القاعدة ، والمنطلق نحو توظيف الطاقات ، واستثمار كل رصيد نحو الإنجاز لتقديم الحلول ، والبدائل الإسلامية . ولذلك ينبغي المسارعة نحو تأصيل المناهج وتقديم مناهج مؤصلة إسلامياً لتكون بدليلاً عن المناهج التي لوثت بفعل الغزو الفكري .

ويعتبر هذا الأمر جهاداً في معركة من أكبر المعارك التي تواجه الأمة الإسلامية . ومن ثم فلا مجال للتسواني أو الانتظار ، وإنما هو العمل الدؤوب لسد الفجوة التي ألمت بالبناء الحضاري الإسلامي عبر قرون التخلف ، ولدفع العلوم والمعارف إلى آفاق أبعد وأرحب مما بلغته الإنسانية اليوم وبذلك يوضع الفكر الإسلامي في الموضع الصحيح قائداً ومعلماً في جميع مجالات الفكر والبناء الحضاري لسائر أمم الأرض .

وتعتبر هذه المرحلة بداية الاستقلال والإقلاع الحضاري ، وعليينا أن ندرك أن بداية الطريق ستكون صعبة ، والنمو فيها سيكون بطئاً ، غير أن النمو الطبيعي لا يعني ضياع الجهد؛ لأن هذا أمر طبيعي في مرحلة الغرس . ومن ثم يجب الصبر، ولنتذكر قول الله - عز وجل - «إنه من يتق ويسير فإن الله لا يضيع أجر المحسنين» (يوسف : ٩٠) .

## ٨ - المراجعة والتقويم

يعتمد نجاح أي عمل على مراجعة العمل وتقويمه بصورة مستمرة. فتقدير العمل يعتبر جزءاً لا يتجزأ من هذا العمل.

ونعني بالتقدير في ميدان التأصيل مدى التقدم في إنجاز العمل في الخطة الزمنية المحددة لذلك. كما يعني أيضاً مراجعة العمل خطوة خطوة ثم التزول به إلى الواقع لمعرفة مدى تحقيقه للأهداف المرجوة.

وهذا الأمر يستوجب وجود مكان لتجربة الإنجاز (في المدارس الخاصة مثلاً) لمعرفة مدى ملاءمة المادة المؤصلة للتلميذ، والمرحلة، والمجتمع، وطبيعة المادة. فالالتحام بالواقع هو المحك والاختبار الحقيقي للأعمال، وهو الذي يجعلنا نقر ما وصلنا إليه أو نحذف منه أو نعدله بغية تحقيق الهدف المنشود.

وينبغي أن يوضع في الاعتبار أن وجود بعض السلبيات، ثم القيام بتلافيها، لا يعني اليأس والقنوط أو اللجوء إلى تبرير هذه السلبيات، فالاعتراف بالسلبيات هو بداية الطريق الصحيح نحو علاجها. وهذا المبدأ من المبادئ الثابتة التي أرساها القرآن الكريم ومن توجيهاته في هذا المجال:

﴿وَمَا أَصَابُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيهَا كُسْبَتِ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠).

﴿فَلَا تَرْكَوْا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢).

وقد اعترف آدم وحواء بعد أن أكلتا من الشجرة المحرمة: ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٢). وكان من السهل أن ينسب الخطأ إلى إبليس؛ لأنَّه هو الذي أغواهما، ولكنَّها لم يفعلا ذلك وأعلنَا مسؤوليتهم بذلك توجيهًا للذرية.

## ٩ - ترشيد وسائل التربية الأخرى

المناهج الدراسية ليست وحدتها التي تقوم بالعملية التربوية في المجتمع. وإنما هناك وسائل تربوية أخرى تقف نداً لهذه المناهج إن لم تتفوق عليها في كثير من الأحيان. وعلى رأس هذه الوسائل الإعلام ولن تؤدي عملية التأصيل ثمارها إذا ترك الإعلام في المجتمعات الإسلامية دون ترشيد.

وقد كان الإعلام من الوسائل التي اخترقها الغزو الفكري لتغريب المجتمعات الإسلامية. يقول المستشرق الإنجليزي (جب) : وللوصول إلى أنجح وسائل التغريب لتغريب المسلمين تغريباً حقيقياً يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصراً إلى إيجاد رأي عام ، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة؛ لأن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي .

فينبغي أن يسير ترشيد الإعلام جنباً إلى جنب مع تأصيل المناهج الدراسية. أما إذا ترك الإعلام بدون ترشيد فإننا بتأصيل المناهج نكون كالذى يجرث في بحر، أو كما قال الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تاماً  
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟  
ولا ننسى في هذا المجال أيضاً دور الأسرة في التربية؛ لأن دورها لا يقل عن دور المدرسة إن لم يفوقه. فهي مطالبة أيضاً بالتعاون مع المدرسة من أجل تربية النشء تربية إسلامية صحيحة. فينبغي على الوالدين أن يكونوا قدوة حسنة للأبناء في سلوكهم، وتصرفاتهم كما يقومان بتوجيههما في الحياة توجيهًا إسلاميًّا.

ولا ننسى دور المؤسسات الإسلامية المختلفة في العالم الإسلامي ، فيجب أن تعنى دورها في إنجاح هذا المشروع الذي يحتاج إلى تمويل مادي كبير، وتعضيد معنوي واسع من الجميع .

### خاتمة

يتضح مما سبق أن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى العودة إلى ذاتها، والانطلاق من تراثها الذي يمثل روحاً وكيانها. ونقطة البدء في العودة إلى هذه الذات هي تأصيل المناهج التعليمية حتى تتمكن الأمة من بناء نفسها عن طريق تربية جيل مؤمن بربه واعٍ مستنير يقدر المسؤولية ويكون على مستوى الأحداث الحاربة التي تحيط بأمته ليجمع شتات هذه الأمة ويلم شعثها.

والعودة إلى الذات أو تأصيل المناهج لا يعني الانغلاق على التراث ، وإنما يشمل أيضاً بجوار التمكن من هذا التراث استيعاب المعرفة الحديثة وأخذ الصالح منها وترك الطالع ،

ولا يكون ذلك إلا بعد إدراك الفروق الجوهرية بين روافد الثقافة الغربية ومنطلقات ثقافتنا الإسلامية، والوعي الكامل بما يحيط بالأمة الإسلامية، وما يدبر لها من مكائد. ويتطلب التأصيل أيضاً تحطيطاً سليماً يقوم على أساس علمية بعيداً عن الحماس الواقعي والعشوئية.

ولابد من تضافر جماعي في عملية التأصيل؛ لأنها عمل كبير لا يستطيع أن يقوم به فرد أو عدة أفراد، وإنما يتطلب تكاتف الأمة بكل طاقاتها، ومؤسساتها، وعقولها للتخطيط والتنفيذ والمراجعة والتقويم.

ولن تؤتي عملية التأصيل ثمارها إلا إذا تضافرت مع المدارس والجامعات وسائل التربية الأخرى في المجتمع كوسائل الإعلام والأسرة. فيجب أن ينطلق الجميع نحو هدف واحد.

## المراجع

- [١] فرحان، إسحاق وآخرون. نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية والتعليم، عمان: مطبع وزارة الأوقاف، ١٤٠٠هـ.
- [٢] الكتاني، محمد. من المنظور الإسلامي، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ.
- [٣] سعيد، عبدالستار فتح الله. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٨هـ.
- [٤] الندوى، أبو الحسن. كيف توجه المعرف في الأقطار الإسلامية.
- [٥] الغزالي، محمد. مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٢هـ.
- [٦] عبدالرحمن، (ابن خلدون). مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- [٧] الندوى، أبو الحسن. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، القاهرة: دار الأنصار، ١٣٩٧هـ.
- [٨] العمري، أكرم ضياء. التراث والمعاصرة، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ.
- [٩] سفر، محمود محمد. دراسة في البناء الحضاري، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٩هـ.
- [١٠] أرسلان، شكيب. لماذا تأخر المسلمون؟، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م.

- [١١] صبري، مصطفى. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- [١٢] قطب، سيد. الإنسان ومشكلات الحضارة، القاهرة: المركز السلفي للكتب، ١٤٠١ هـ.
- [١٣] الغزالي، محمد. خلق المسلم، القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٠.
- [١٤] القرضاوي، يوسف. الخصائص العامة للإسلام، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٦ هـ.
- [١٥] خليل، عهاد الدين. حول إعادة تشكيل العقل المسلم، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١ هـ.
- [١٦] نبي، مالك. ميلاد مجتمع، ج ١ ترجمة عبد الصبور شاهين، طرابلس (لبنان): دار الفكر، ١٩٧٤ م.
- [١٧] المعهد العالمي للتفكير الإسلامي. إسلامية المعرفة، واشنطن: ١٤٠٦ هـ.

#### مراجع مختارة

- [١] الجندي، أنور. أسلمة المناهج والعلوم، القاهرة: دار الاعتصام، ١٤٠٦ هـ.
- [٢] صادق، حامد. الإنسان في التصور الإسلامي، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٠ هـ.
- [٣] عطيفة، حمدي أبو الفتاح. أسلمة مناهج العلوم المدرسية، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٧ هـ.
- [٤] الكيلاني، ماجد عرسان. مقومات الشخصية المسلمة، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١ هـ.

# **Education and Psychology**

**Scientific  
Refereed  
Series**



**Published by**  
**SAUDI EDUCATIONAL AND**  
**PSYCHOLOGICAL ASSOCIATION**